

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - الجزائر-

جامعة أحمد دراية - أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم: العلوم الإنسانية



## الشيخ ماء العينين القلبي ودوره العلمي والجهادي في الصحراء الغربية (1831-1910) م.

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة دكتوراه ألمدي في العلوم الإنسانية.

تخصص تاريخ معاصر

— إشراف:

أ.د مبارك جعفري

— إعداد:

حمادو نورالدين.

أعضاء لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
كمون عبد السلام	أستاذ محاضر - أ -	جامعة أدرار	رئيسا
جعفري مبارك	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفا ومقررا
بوسعيد أحمد	أستاذ محاضر - أ -	جامعة أدرار	مناقشا
بابا عبد الله	أستاذ محاضر - أ -	جامعة أدرار	مناقشا
علي زين العابدين	أستاذ محاضر - أ -	جامعة أدرار	مناقشا
عمار غرايسة	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الوادي	مناقشا

السنة الجامعية 1441-1442 هـ / 2020-2021 م.

# إهداء

أهدي هذا العمل:

إلى نبي الرحمة عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

إلى الوالدة الكريمة بآرك الله في عمرها.

إلى روح الوالد طيب الله ثراه.

إلى أفراد عائلتي.

إلى زملائي وأصدقائي، وطلبة العلم كافة.

الطالب: حمادو نورالدين

# شكر و عرفان

" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ " سورة الأحقاف.

أشكر الله عزَّ وجلَّ أن سهل لنا ظروف طلب العلم، ووفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، ثم أنه من تمام النعمة أن أتقدم بالشكر والتقدير الخالص إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور مبارك جعفري على توجيهه الهامة، ونصائحه القيمة التي لم يخلل بها علينا طيلة مشوار هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الدكتورة بن سالم خديجة المشرفة الثانية على جهوداتها لإتمام هذا العمل، وأوجه شكري للدكتور بن دارة محمد صاحب الفضل الكبير في الوصول إلى الوثائق الأرشيفية المتعلقة بالدراسة، وفي الأخير أتقدم بأسمى تحيات التقدير والامتنان لفريق التكوين في الدكتوراه، وكذا أساتذة قسم العلوم الإنسانية بجامعة أدرار، وكل من ساهم في إخراج هذا العمل من قريب أو بعيد.

وأتمنى التوفيق لزملائي الأستاذ عبد القادر حاج أحمد والأستاذة مقدم.

الطالب: نورالدين حمادو

## قائمة المختصرات.

### المختصرات بالعربية:

- (ب. ن): بدون ناشر.
- (ب. س): بدون سنة.
- ص: الصفحة.
- صص: صفحتين متتاليتين.
- ص ص: صفحات متتالية.
- ف. ف: فرنك فرنسي.

### المختصرات باللغة الفرنسية.

- G.G.A.O.F : Gouvernement Général De L'Afrique Occidentale Française.
- M. A. E : Le Ministre Des Affaires Etrangères.
- M.C : Ministre des Colonies.
- D. S. M : Direction des Services Militaires.
- D. A. P.A : Direction des Affaires Politiques et Administratives.
- S. D. A : Sous-Direction de l'Afrique.

# مقدمة

تعتبر الطرىقة القادرىة إحدى الطرق الصوفىة التى تحظى باهتمام كبرى وانتشار واسع فى شمال وغرب إفريقيا، وذلك راجع بالأساس إلى نشاط وحركىة منتسبى وأعلام تلك الطرىقة، فبالإضافة إلى دورهم الاجتماعى والتعلیمى، كثيراً ما تميز شيوخ الطرىقة القادرىة بالجهاد والوقوف ضد الإحتلال الأوروبى، الذى بدأ يتوسع باتجاه إفريقيا وآسىا بداية من القرن 19م.

ويعد الشيخ مصطفى بن محمد فاضل بن مامىن الملقب بأبى الأنوار ماء العينىن القلزمى الشنقىطى، صاحب المؤلفات العدىة ومؤسس الزاوىة المعىنىة فى مدىنة السمارة، أحد أهم مُنتسبى الطرىقة القادرىة فى الصحراء الأطلنطىة وغرب إفريقيا بصفة عامة، حىث ولد بمنطقة الحوض الغربى المورىتانى فى الثلاثىنات من القرن الـ19م، أما والده فهو العالم الجلىل الشىخ محمد فاضل بن مامىن، قائد أهل الطالب المختار إحدى قبائل الزواىا بشنقىط ومنطقة الساحل.

هاجر الشىخ ماء العينىن من منطقة الحوض إلى الصحراء الغربىة فى النصف الثانى من القرن الـ19م، وتمكن من فتح زاوىته التى بدأ تشىيدها نواحى وادى سلوان أواخر القرن 19م، وكان يسعى بواسطة ذلك الصرح الدىنى، نشر العلم وبث الإشعاع الدىنى فى الصحراء الغربىة والمناطق المجاورة لها، وبفضل موقع الزاوىة فى الشمال الشرقى من الصحراء الغربىة، قرب طرىق عبور القوافل التجارىة المتحركة بىن الشمال والجنوب، أصبح للشىخ أتباع ومرىدون لطرىقته الصوفىة فى الصحراء وبلاد المغرب.

ومن زاوىته بالسمارة قاد الشىخ ماء العينىن حركته الجهادىة ضد اسبانىا وفرنسا، أثناء محاولتهم إحتلال المنطقة أواخر القرن التاسع عشر 19م، لىشكل بذلك النواة الأولى للمقاومة الشعبىة التى استمرت إلى ما بعد وفاته سنة (1328هـ / 1910م)، وحتى نستطىع الحوض بالدراسة والبحث فى ما سبق ذكره، وقع إختيارنا على الموضوع الموسوم بـ:

الشىخ ماء العينىن القلزمى ودوره العلمى والجهادى فى الصحراء الغربىة(1831 / 1910)م.

حدود الموضوع:

تأتى هذه الدراسة للبحث فى ثنائىة العلم والجهاد فى حىاة الشىخ ماء العينىن، وكخطوة أولى فى هذا الصدد اخترنا سننى (1831 / 1910)م كحدود زمنىة للدراسة، وهى تمثل السنة التى ولد فىه الشىخ حسب أغلب الرواىات وسنة وفاته، ولعل هذا الإختيار أردنا من خلاله تتبع مختلف الأحداث التى

عاشها هذا العالم منذ مولده إلى غاية وفاته، حتى نستطيع بذلك الحصول على بعض المعطيات، نستنتج من خلالها علاقة العلم بالجهاد فى حياة الشيخ ماء العينين، أما اختيار الصحراء الغربىة كمجال جغرافى للدراسة، لأن الشيخ ماء العينين قضى معظم حياته فى هذا المجال الصحراوى، منذ خروجه لرحلته الحجازىة سنة (1274هـ / 1858م) إلى غاية انتقاله إلى تيزنيت سنة (1327هـ / 1909م). حيث كان هذا المجال أرضاً خصبة لنشر حركته الإصلاحىة التى بدأت تتضح ملامحها منذ خروجه من الحوض سنة 1858م، وقد شكلت السمارة منطلقاً ومركز إمداد لحركة الجهاد والمقاومة، التى قادها الشيخ إنطلاقاً من الجنوب الموريتانى بداية القرن الـ20م.

### أسباب اختيار الموضوع

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، فهناك أسباب ذاتىة وأخرى موضوعىة وقد وضحنا ذلك فى ما يلى:

- جدة الموضوع وحدثه.
- محاولة البحث فى التراث الصوفى الجهوى، ومقارنته صوريا مع التراث الصوفى المحلى والوطنى.
- شخصىة الشيخ ماء العينين القلزمى المتمىزة التى كانت سببا فى إقبال العديد من الطلبة والمريدين لزاويته من داخل وخارج إقليم الصحراء الغربىة.
- توفر المادة العلمىة حول موضوع الدراسة وتنوعها، ما بين الوثائق الأرشىفىة والمخطوطات والكتب المطبوعه.
- إضافة إلى رغبتى فى حوض أول تجربة لى فى مرحلة ما بعد التدرج، بمعالجة موضوع يعرف بإحدى الشخصىيات القلائل الذين جمعوا بين العلم والجهاد.

### أهمىة وأهداف الموضوع

وتكمن أهمىة موضوع الدراسة فى ما يلى:

أهمىة هذا الموضوع مستمدة من كونه يعالج شخصىة العالم الشيخ ماء العينين القلزمى الشنقىطى مولداً ونشأة، الصحراوى داراً ومسكناً، هذا الأمر يجعل الباحث والقارئ يتساءل حول ما هى العوامل التى ساعدت الشيخ ماء العينين فى توطيد نفوذه فى الصحراء الغربىة، واستمالة ذلك العدد الهائل من المريدين، بل وقيادة حركة الجهادىة فى منطقة هو غريب عنها؟ ونسعى من خلال هذه الدراسة تحقق جملة من الأهداف لعل من بينها:

- محاولة التعرف والتعريف بمنطقة الصحراء الغربية جغرافيا واجتماعيا وثقافيا، إضافة إلى معرفة الإسهامات العلمية والجهادية الشيخ ماء العينين بالمنطقة، محاولين إبراز الدور الاجتماعي والديني لزاويته بعد تأسيسها بالمنطقة.

### إشكالية الموضوع:

أما إشكالية الدراسة فقد حاولنا بعد اطلاعنا على مختلف المصادر والمراجع التي لها صلة بالموضوع، أن نسلط الضوء على أهم العوامل التي جعلت الشيخ ماء العينين يستقر بالصحراء الغربية، بالرغم من قلة إمكاناتها، وكيف استطاع هذا العالم الصوفي القادري، أن يستقطب إليه ذلك العدد الكبير من المريدين من مختلف القبائل الصحراوية والشنقيطية، بالإضافة إلى سبل توظيف هؤلاء "التلاميذ" في حركته العلمية والجهادية بالصحراء الغربية والمناطق المجاورة لها، ومن هذا المنطلق جاءت إشكالية الدراسة للبحث في: آليات توظيف المؤهلات العلمية والتعليمية للشيخ ماء العينين، في المقاومة والجهاد ضد الإستعمارين الفرنسي والإسباني للصحراء الغربية؟

وتتفرع من هذه الإشكالية الرئيسة مجموعة من الأسئلة الفرعية تتمثل في:

- كيف كان الوضع الاجتماعي للصحراء الغربية في القرن 19م؟
- كيف كانت نشأة الشيخ ماء العينين؟ وما هي أهم ملامح تكوين شخصيته العلمية؟
- ما هو دور التنشئة العلمية الصوفية للشيخ ماء العينين في حركته التعليمية والجهادية بالصحراء الغربية؟ وفي ما تتجسد إسهاماته في مجالات العلم والجهاد بالصحراء الغربية ومحيطها الإقليمي؟
- ما هي أسباب استقرار الشيخ ماء العينين في الصحراء الغربية وبناء قصبه السمارة؟ وما هو دور هذه الأخيرة في جهاد ومقاومة الشيخ ماء العينين للاستعمار؟
- ما هي الاستراتيجية التي انتهجها الشيخ ماء العينين في مواجهته للاحتلال الإسباني والفرنسي للمنطقة؟

### المنهج المتبع في البحث:

أما المناهج المتبعة في هذه الدراسة، فقد اعتمدنا المنهج التاريخي بدرجة أولى، بالإضافة إلى المنهج الأنثروبولوجي كمنهج مساعد.

فأما المنهج التاريخي فقد جسدناه من خلال، جمع المادة المصدرية للموضوع وتحديد إشكالية الدراسة التي أشرنا إليها سابقا، مروراً باستنباط البيانات من المصادر والمراجع الأساسية للموضوع، مع



تحليل هذه البيانات ونقدها، قبل عملية التركيب والتفسير والعرض، وهذا حتى يتسنى لنا إعادة بناء الحادثة التاريخية محل الدراسة.

أما المنهج الأنثروبولوجي فيعد من المناهج المعتمدة في العلوم الإنسانية، حيث يستخدم كمنهج لدراسة الإنسان دراسة شاملة من مختلف الجوانب، وقد حاولنا توظيفه من خلال سرد ووصف الظاهرة الإنسانية كما وردت في مصادرها، ومحاولة استنتاج دلالاتها وبراهينها أو نقدها بالاعتماد على مصادر أخرى، وهذا في محاولة منا للوصول إلى الحقيقة التاريخية.

### خطة البحث:

بالنسبة لهيكل البحث فقد جاء في مقدمة وستة فصول متضمنة مجموعة من المباحث وخاتمة أوردنا فيها استنتاجات الدراسة، أما فصول هذا البحث فقد جاءت على الشكل التالي:

الفصل الأول من الدراسة، خصصناه للحديث عن جغرافية الصحراء الغربية وأوضاعها الاجتماعية، وقد حاولنا من خلاله تضمين إشارات عن الوضع العام في الصحراء الغربية، قبل استقرار الشيخ ماء العينين بها، حتى نستطيع بعد ذلك في بقية الفصول أن نلتمس التغيير الذي طرأ على هذا المجال الإقليمي من الصحراء الكبرى، وفي الفصل ثلاثة مباحث، بالنسبة للمبحث الأول منه تحدثنا عن جغرافية الصحراء الغربية، بدءاً بالتسميات المختلفة التي عُرفت بها المنطقة وأقاليمها، إضافة إلى موقع وتضاريس ومناخ الصحراء الغربية، أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد خصصناه للحديث عن الملامح الديموغرافية، وفيه عرجنا عن أصول السكان وأهم القبائل البيطانية التي تظعن في هذه الأقاليم، فيما تحدثنا في المبحث الثالث من هذا الفصل عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان الصحراء الغربية.

في الفصل الثاني تحدثنا عن الشيخ ماء العينين المولد والنشأة وتأسيس السمارة، ولعل هذا الجزء من الدراسة جاء كإطار نظري، حاولنا من خلاله الإشارة إلى كل ما له علاقة بنشأة الشيخ العلمية والصوفية، وكذا الحديث عن رحلته الحجازية، ودورها في استقراره بالصحراء الغربية، وقد قُسم بدوره إلى ثلاث مباحث، خصصنا المبحث الأول منه للحديث عن مولد ونشأة هذا العالم الجليل، وقد عرجنا من خلاله عن مختلف الروايات الواردة حول نسبه وتنشئته العلمية والصوفية، أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد عنوانه بـ: الاستقرار في الصحراء الغربية وتأسيس مدينة السمارة، وفيه تحدثنا عن مختلف الأحداث التي عايشها الشيخ منذ خروجه لرحلة الحج سنة (1274هـ، 1858م) إلى غاية تشييد قسبة السمارة أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أما المبحث الثالث من هذا الفصل، فقد سلطنا من خلاله

الأضواء عن الحياة الاجتماعية والتعليمية في مدينة السمارة، وعرجنا في جزئية منه عن أبناء الشيخ ماء العينين.

الفصل الثالث من هذه الدراسة، يحمل عنوان: تلاميذه وإجازاته العلمية، حيث أردنا من خلاله الإشارة إلى بصمات الشيخ ماء العينين في نشر العلم والتصوف، بالصحراء الغربية ومحيطها الإقليمي، وقد تضمن ثلاث مباحث، أما المبحث الأول فقد أردنا فيه ترجمة موجزة لطلبة الشيخ من الأقاليم الصحراوية، فيما تحدثنا في المبحث الثاني من هذا الفصل عن تلاميذ الشيخ من مختلف مناطق إفريقيا والعالم، وفي آخر مباحث الفصل سلطنا الضوء على نماذج من طلبته وجهودهم العلمية في المغرب الأقصى وإفريقيا الغربية.

في الفصل الرابع تحدثنا عن جهود الشيخ ماء العينين في حركة التأليف بالصحراء الغربية، وقد عنوانه بـ: المؤلفات العلمية للشيخ ماء العينين، حيث قسمناه بدوره إلى ثلاثة مباحث، تحدثنا في المبحث الأول عن مؤلفات الشيخ في الأصول والفقه، أما المبحث الثاني فقد تحدثنا عن آثاره في الأدب والتصوف، وقد خصصنا المبحث الثالث من هذا الفصل، للحديث عن ما ألف في العلوم الأخرى التي كانت منتشرة في عصره.

في الفصل الخامس سلطنا الضوء عن بدايات الحركة الجهادية للشيخ ماء العينين، وقد اخترنا له عنوان: الإحتلال الإسباني والفرنسي للمنطقة وبداية الحركة الجهادية للشيخ ماء العينين، حيث قسمنا الفصل إلى مبحثين، في المبحث الأول عالجنا من خلاله مسألة الأطماع الأجنبية في الصحراء الغربية، بداية من القرن الخامس عشر الميلادي، مروراً بمؤتمر برلين (1302هـ، 1885م)، إلى غاية المفاوضات الفرنسية الإسبانية حول تحديد مناطق نفوذهما بالمنطقة، أما المبحث الثاني من هذا الفصل، فقد سلطنا فيه الأضواء على بداية التوسع الفرنسي والإسباني في تراب البيضان وردود أفعال الشيخ ماء العينين. وقد عالجنا فيه الفترة الممتدة من بداية القرن الـ20م، إلى غاية وفاة منظر الحملة الفرنسية على المنطقة الإداري "كرافيه كوبولاني" (Xavier Coppolani) سنة (1322هـ، 1905م).

في الفصل السادس من هذا العمل، تحدثنا عن المواجهات المباشرة بين الشيخ ماء العينين والاستعماريين الفرنسي والإسباني، وقد تضمن بدوره ثلاث مباحث، حيث خصصنا أول مبحث منه للحديث عن مؤتمر السمارة الأول سنة (1321هـ، 1904م)، وفيه أردنا مجريات هذا المؤتمر الذي تمخض عنه أول تحالف للمقاومة بقيادة الشيخ ماء العينين، أما المبحث الثاني فقد عنوانه بـ: مؤتمر

السمارة الثاني (1325هـ، 1907م)، حيث عاجلنا فيه مجريات هذا المؤتمر، وأهم العمليات العسكرية لجيش السمارة بقيادة الشيخ حسنا ابن الشيخ ماء العينين، وفي المبحث الثالث الذي يحمل عنوان: احتلال ادرار وباقي الأقاليم الصحراوية، فقد تكلمنا فيه عن إخضاع الجيش الفرنسي لأدرار التي تعد ثاني قواعد الإمداد لجيش الشيخ حسنا بعد السمارة، وفيه عرجنا عن تحضيرات الحملة على ادرار بقيادة العقيد "غورو" (Gouraud)، ومختلف المعارك التي خاضها هذا الأخير مع جيش السمارة، وصولا إلى إخضاع أدرار وهجرة الشيخ ماء العينين من السمارة إلى تيزنيت ووفاته سنة (1328هـ، 1910م).

### الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي كانت لها صلة بموضوع هذه الدراسة نذكر منها:

أولا: الرسائل الجامعية:

1- التصوف والمجتمع بالصحراء الأطلنتية مقارنة تاريخية وأنتروبولوجية، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر بالمغرب الأقصى، وقد أعدها الطالب الباحث عبداتي الشمسدي، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم مدون للموسم الجامعي 2015-2016م، وقد انطلق الباحث في دراسته هذه من إشكالية تمحورت حول التصوف والطريقة الصوفية كآلية جديدة لتأسيس القبيلة، عبر رصد تطور تاريخي لتشكيل القبيلة المعروفة اليوم باسم قبيلة الشيخ ماء العينين.

2- "فاتق الرتق على راتق الفتق" للشيخ مصطفى ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين الشبقيطي الحسني الإدريسي تـ (1328هـ، 1910م) دراسة وتحقيق، وهو موضوع لأطروحة دكتوراه، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد ابن عبد الله بالمغرب الأقصى، من إعداد الطالب حمزة الرشيد، تحت إشراف الأستاذين: خالد سقاط وعبد الوهاب الفيلاي، وقد نوقشت الأطروحة سنة 2014.

3- الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903/1960م)، وهو موضوع لمذكرة ماجستير، بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، من إعداد الطالب علي بدوي علي سليمان، وإشراف الأستاذين عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وماهر عطية شعبان، وقد نوقشت هذه الرسالة سنة 2003، أما الإشكالية التي انطلق منها الباحث في هذا الرسالة، تمحورت حول جهود منتسبي القادرية في مقاومة الإستعمار الفرنسي لموريتانيا في الفترة الممتدة من 1903م إلى غاية 1960م.

ثانيا: أعمال الملتقيات.

**1-** الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، وهو عبارة عن أعمال الندوة العلمية المنظمة من طرف المجلس البلدي لمدينة تيزنيت، يومي الـ 28 و 29 أبريل سنة 2000م، وقد جاءت محاور هذا الكتاب في ثلاثة أقسام رئيسة، ويتعلق الأمر بالمحور الأدبي، والمحور الديني، والمحور التاريخي، وقد طُبعت طبعته الأولى بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء سنة 2000م.

**2-** الصحراء وسوس من خلال الوثائق والمخطوطات، ويعد من سلسلة الندوات والمناظرات، المنشورة عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 2001م، حيث جاءت محاور هذا الكتاب في أربعة فصول، وقد طُبعت بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء سنة 2001م.

**3-** سوس والصحراء تواصل ثقافي وحضاري، وهو عبارة عن أعمال يوم دراسي نُظم من طرف المجلس البلدي لمدينة تيزنيت يوم الأحد 12 جويلية 1998م، أما محاور هذا الكتاب فهي ثلاثة محاور أساسية، وقد تم نشره من طرف مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي بالمغرب سنة 1999م.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

حتى يستطيع الباحث في علم التاريخ تقصي الحقائق التاريخية، يتوجب عليه تحمل عناء البحث في مختلف المصادر التي عاجلت الحادثة التاريخية محل البحث، ومن هذا المنطلق حاولنا أن تكون المادة المصدرية لهذه الدراسة متنوعة، تضم قدر الإمكان مختلف المصادر والمراجع التي تحدثت عن الشيخ ماء العينين وجهاده، وقد جمعنا فيها بين الوثائق الأرشيفية، والمخطوطات، والكتب المطبوعة، ومن بين أهم مصادر الدراسة نذكر:

الأرشيف:

1- Archives Nationales d'outre-Mer (A.N.O.M) AIX-EN-PROVENCE

الأرشيف الوطني ما وراء البحار بأكس -آن- بروفانس بفرنسا، خصوصا العلبه الخامسة ((1-5)-V-CARTON))، التي تضمنت العديد من التقارير الصادرة عن الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية، التابعة لوزارة المستعمرات، بخصوص الأوضاع في موريتانيا، وتحركات الشيخ ماء العينين، بداية من سنة 1908م.

## المصادر المخطوطة:

### أ- الكتب المناقبية.

1- **سحر البيان في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان:** لصاحبه الشيخ ماء العينين ابن العتيق، وهو حفيد الشيخ ماء العينين وأحد تلاميذه الذين لازموا رباطه طيلة حياته، حيث يعد هذا المصدر من المصادر الرئيسية في بحثنا هذا، لأنه تضمن معلومات دقيقة حول حياة الشيخ ماء العينين ومختلف الأحداث التي عايشها هذا الأخير، كما تضمن المخطوط ترجمات مختصرة لأبناء الشيخ وبعض تلاميذه، ورغم أن ابن العتيق عاصر مختلف الأحداث التي عايشها الشيخ ماء العينين، إلا أنه أهمل في مخطوطه هذا الحديث عن مقاومة وجهاد الشيخ.

2- **مجمع البحرين في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين:** لصاحبة المؤلف الشيخ محمد العاقب ابن مايبا الحكني، أحد مريدي الشيخ من قبيلة تجكانت، حيث يعتبر مخطوطه هذا من المخطوطات المهمة التي خدمتنا في بحثنا، خصوصا الفصلين الثاني والثالث، لاحتوائه على معلومات حول نسب ونشأة الشيخ ماء العينين وطريقته الصوفية، كما تطرق المؤلف إلى كرامات الشيخ وإسهاماته العلمية في مختلف العلوم والفنون.

3- **تنوير الملون في تاريخ شيخنا الشيخ ماء العينين:** لصاحبة الشيخ بوننا الفاضلي القلزمي، حيث يعد هذا المخطوط من المصادر الهامة التي أرخت للشيخ ماء العينين، حيث يتضمن معلومات مختلفة حول نشأته ورحلته الحجازية، كما تطرق صاحب المخطوط إلى محطات من جهاده إلى غاية وفاته سنة (1328هـ / 1910م).

## المصادر المطبوعة:

1- **النفحة الأحمدية في بيان الأوقات الحمديّة:** للمؤلف الشيخ أحمد ابن الشمس الشنقيطي، حيث يعد هذا الأخير من أبرز مريدي الشيخ والقيم على زاويته بفاس، وقد جاء كتابه النفحة الأحمدية في جزأين، عالج من خلالهما الكاتب مسائل متعلقة بأوقات الصلاة، كما أورد ابن الشمس في محطات من كتابه هذا، معلومات حول نشأة شيخه الشيخ ماء العينين، وكراماته إضافة إلى ذكر تلاميذه، وقد ضَمَّن في الكتاب بعض القصائد التي جاءت في مدح الشيخ ووالده الشيخ محمد فاضل ابن مامين.

2- **العمليات العسكرية في موريتانيا.** تأليف النقيب غاستون دوفور، ويعد هذا الأخير من بين الضباط الفرنسيين الذي شاركوا في العمليات العسكرية بموريتانيا منذ سنة (1320هـ / 1903م)، وقد ترجم هذا الكتاب المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيه، وقد استفدنا كثيرا من هذا المصدر، في

حديثنا عن الجانب الجهادي في حياة الشيخ ماء العينين، كون النقيب عايش مختلف الأحداث والوقائع التي شهدتها المنطقة فترة قيادة الشيخ عملية الجهاد.

3- **التوغل في موريتانيا:** تأليف الرائد جليليه، وهو أحد الضباط الفرنسيين الذي قادوا عملية التوغل الفرنسي بموريتانيا بداية القرن العشرين، وقد تُرجم هذا الكتاب من طرف الأستاذ محمدن ولد حمينا، ويعد كتاب التوغل من المصادر الهامة في هذا البحث، خصوصا الفصلين الخامس والسادس، لاحتوائه على تفاصيل بخصوص مختلف المعارك التي خاضها "التلاميذ" ضد القوات الفرنسية، أثناء عملية التوغل العسكري في تراب البيضان بداية القرن العشرين.

4- **كوبولاني في موريتانيا (Coppolani en Mauritanie)**، للمؤلف الفرنسي "فيلمان" (Vuillemin)، ويعد هذا المصدر من الكتب الهامة في بحثنا هذا، خصوصا الفصل الخامس أين تحدثنا عن بداية التوغل في تراب البيضان، حيث ضَمَنه فيليمان معلومات مفصلة حول مهمة الإدراي كوبولاني في موريتانيا الغربية، بداية من سنة (1316هـ / 1899م) إلى غاية وفاته سنة (1322هـ / 1905م).

5- **(La pacification de la Mauritanie)**، تهذئة موريتانيا من تأليف العقيد "هنري غورو" (Gouraud Henri)، وهو أحد أهم الضباط الفرنسيين في التوسع الفرنسي بموريتانيا، وقائد حملة إخضاع أدرار، حيث يعد كتاب تهذئة موريتانيا تأريخا لفترة قيادة غورو جيش الإحتلال بالمنطقة، لذلك اعتمدنا عليه كثير في حديثنا عن إخضاع ادرار مطلع سنة 1909م.

## المراجع:

1) **الشيخ ماء العينين علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار الأوروبي:** لصاحبه المؤلف الطالب أختيار بن الشيخ مامينا، حيث يعد هذا الكتاب من أهم ما أُلِف حديثا في تاريخ الشيخ ماء العينين، وقد قسمه الطالب أختيار إلى جزئين، تضمن الجزء الأول الجانب العلمي في حياة الشيخ ماء العينين، أما الجزء الثاني فقد تناول من خلاله الجانب الجهادي في حياته، كما تحدث فيه عن المقاومة في المجال الموريتاني بعد وفاة الشيخ ماء العينين، ويعد هذا المرجع المادة المصدرية الرئيسة في بحثنا هذا للاعتبارات السابقة، إلى جانب أن المؤلف من آل الشيخ ماء العينين، الأمر الذي يضيف الكثير من الأهمية حول ما كتب عن جده.

2) **دراسات صحراوية:** للباحث الأنثروبولوجي الإسباني خوليو كارو باروخا، وقد ترجمه الأستاذ أحمد صابر سنة 2019م، وتتمثل أهمية هذا الكتاب في كونه دراسة ميدانية ذات طابع إثنوغرافي

قام بها هذا الباحث، بتكليف من المدير العام للمغرب والمستعمرات "ضون خوصي دياث" سنة 1952م، وقد تضمن الكتاب معلومات دقيقة حول نمط عيش القبائل الصحراوية، بالإضافة إلى معارك الساحل كما يحكيها الرحل، وقد حُصص جزءٌ كبيرٌ من هذا الكتاب، لتقديم تفاصيل دقيقة حول الشيخ ماء العينين وقصة السمارة.

### (3) (Los Territorios) españoles del Sahara y sus grupos

(Nomadas)، الأراضي الإسبانية بالصحراء ومجموعاتها المتنقلة للضباط الإسباني مانويل موليرو كليمانتي، ويعد هذا الأخير أحد الضباط الإسبان الذين عملوا بالإدارة الإسبانية في الصحراء الغربية، وقد كتب هذا الكتاب بناء على مشاهدة عينية من موقعه كمسؤول في إدارة هذه الأقاليم، الأمر الذي جعل معلوماته حول القبائل البيضاوية بالمجال الصحراوي دقيقة جدا، لذلك اعتمدها كمرجع أولي في حديثنا حول القبائل الصحراوية.

#### صعوبات الدراسة.

لقد واجهتنا في بحثنا هذا العديد من الصعوبات نجملها في ما يلي:

- طبيعة البحث حتمت علينا التعامل مع المصادر المخطوطة، ولأن أغلبها غير محقق يجعل التعامل معها صعباً، وانتقاء المعلومات منها أصعب، مما جعلنا نقوم بعمل على شاكلة عمل المحقق في بعض الأحيان.
- حساسية الموضوع وايدولوجية الكتابات، جعلت عملنا في طيات هذا البحث تتطلب مضاعفة الجهد والتحري في نقل المعلومات، والحرص ما أمكن على الوصول إلى المصادر الأصلية، مع محاولة الإلتزام بالموضوعية المطلوبة في البحث العلمي.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل لمشرفي الأستاذ الدكتور مبارك جعفري، لمتابعته هذا العمل منذ اختيار موضوعه إلى غاية طباعته على هذه الشاكلة، كما أشكر الأستاذة الدكتورة بن سالم خديجة المشرفة الثانية على جهودها في هذا العمل، مع تمنياتي لهما بدوام الصحة والتوفيق.

## الفصل الأول: جغرافية الصحراء الغربية وأوضاعها الاجتماعية.

- المبحث الأول: جغرافية المنطقة.
- المبحث الثاني: الملامح الديموغرافية.
- المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان الصحراء.



## الفصل الأول : جغرافية الصحراء الغربية وأوضاعها الاجتماعية

تكتسي الصحراء الغربية أو صحراء المثلثين، أهمية كبيرة في تجارة القوافل العابرة للصحراء الكبرى، نظراً لموقعها الجغرافي بالشمال الغربي لإفريقيا، أين كانت تعرف هذه الطرق نشاطاً كبيراً، وحركية واسعة في هذا المجال من الصحراء، ولا شك من أن هذا النشاط، قد انعكس بشكل أو بآخر على الحياة الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية لقبائل المنطقة.

### المبحث الأول: جغرافية المنطقة

#### 1) التسمية

يحمل مصطلح الصحراء الغربية أبعاداً ودلالات تتناسب والمتغيرات التاريخية التي عرفتھا المنطقة، إذ يطلق المصطلح على الأقاليم الواقعة في الناحية الغربية من الصحراء الكبرى حيث تضم اليوم إقليمين رئيسيين هما الساقية الحمراء ووادي الذهب، ولكن عرفت المنطقة أحداثاً تاريخية عديدة جعلتها جزءاً من المغرب الأقصى تارة ومن بلاد شنقيط أو موريتانيا تارة أخرى وأراضي مستقلة أحياناً أخرى، الأمر الذي جعل هناك اختلافاً كبيراً في تسمية المنطقة محل الدراسة، ولوضع المصطلحات في سياقها نحاول إيضاح بعض التسميات التي أطلقت على المنطقة المعروفة اليوم بالصحراء الغربية. فهناك من ضمها إلى شنقيط كما أسلفنا الذكر، حيث يرى حماد الله ولد السالم أن اسم شنقيط تم إطلاقه هذه على البلاد وسكانها في ظرفية يشرحها إجمالاً ضمن رسالة من تأليف الفقيه الشنقيطي عبد الله بن إبراهيم العلوي تـ(1233هـ/ 1814م) وعنوانها: صحیحة النقل في علوية إدوعل وبكرية محمد قل، والمكتوبة سنة (1204هـ/ 1790م) وفيها يقول " وكان الركب يمشی من شنقيط الى مكة كل عام ويحج معهم من أراد الحج من سائر

الآفاق، حتى أن أهل هذه البلاد أعني: من الساقية الحمراء إلى السودان إلى اروان يُعرفون عند المشاركة إلى الان بالشناقطة"<sup>1</sup>.

وفي المقابل فإن المغاربة اعتبروا المنطقة جزءاً من بلاد سوس الأقصى المغربي<sup>2</sup>، عكس البكري الذي رأى أن (وادي تارجا) الساقية الحمراء الواقعة شمال الصحراء الغربية هي بداية الصحراء الكبرى أو صحراء الملثمين<sup>3</sup>.

أما تسمية الصحراء فقد أطلقه الاستعمار على المنطقة القاحلة الخالية من كل نشاط بشري، وقد سماها الإسبان بالصحراء الإسبانية تمهيدا لضمها لمناطق نفوذهم المتناثرة في أرجاء إفريقيا، رغم أن المنطقة جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، وبالتالي فإن الأقاليم المعروفة حالياً بالصحراء الغربية هي جزء من الصحراء الكبرى التي تعد الفاصل الجغرافي بين إفريقيا الشمالية أو ما يعرف بإفريقيا البيضاء والجزء الجنوبي من القارة الذي اصطلح عليه مسمى إفريقيا السوداء<sup>4</sup>.

إلى جانب تلك التسميات تعد الصحراء الغربية جزءاً من بلاد البيضان<sup>5</sup> أو تراب البيضان التي تمتد في مفهومها الواسع لتشمل أجزاء واسعة من الشمال الموريتاني والصحراء الغربية وأجزاء من الجزائر ومالي والنيجر<sup>6</sup>. كما تعتبر المنطقة أيضاً جزءاً من صحراء الملثمين التي ضمت من

<sup>1</sup> حماد الله ولد السالم: دور موريتانيا في التواصل الفكري المشرقي-المغربي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2002، ص10.

<sup>2</sup> أحمد أبو العباس بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج3، ص58.

<sup>3</sup> أبو عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857، ص163.

<sup>4</sup> حسن سيد سليمان: ابعاد قضية الصحراء الغربية، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد13، يونيو1995، ص50.

<sup>5</sup> البيضان: اطلق مصطلح البيضان على الجزء الغربي من الصحراء الإفريقية الكبرى، ويعد الرحالين العرب في القرون الوسطى اول من اطلق التسمية على سكان المنطقة وذلك للتمييز بين هؤلاء السكان ذوي البشرة السمراء القريبة الى البياض، عن بقية سكان المنطقة ذوي البشرة السوداء. انظر: محمدو ولد محمدان امين: المجتمع البيضان في القرن ال19قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بجامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، 2001، ص04.

<sup>6</sup> نفسه: ص06.

خلال مدلول التسمية المناطق الواقعة تحت سلطة ونفوذ المثلثون<sup>1</sup>، وطبقا لهذا المفهوم فان حدود صحراء المثلثين كما يذكر الناني ولد الحسين نقلا عن علي بن أبي زرع الفاسي، تشمل معظم الصحراء الكبرى الممتد من بلاد البربر الى بلاد السودان، فيما تشمل عرضيا معظم أقاليم غرب افريقيا<sup>2</sup>.

كما تعد المنطقة جزءاً من الشمال الافريقي المعروف ببلاد المغرب الممتد من مصر إلى المحيط الاطلسي غربا ومن المتوسط إلى جنوب الصحراء الكبرى، والراجح أن اسم الصحراء الغربية أطلق على المنطقة نظرا لموقعها الجغرافي بالنسبة للصحراء الكبرى، وتمييزا لها على الصحراء الشرقية والوسطى.

بالنسبة لأقاليم الصحراء الغربية تعود تسمية الساقية الحمراء بهذا الاسم نسبة إلى ممر مائي يعبر المنطقة، يمتد على طول 450 كلم ويروي حوالي 65000 كلم<sup>2</sup> من الأراضي الفلاحية، يتغير لون المياه به موسم الأمطار نتيجة لاختلاطها بالأتربة لتتحول إلى اللون الاحمر، ومن هنا جاءت تسمية الساقية الحمراء، وهناك من يرى أن التسمية جاءت من احمرار تربة الوادي لكثرة مادة الحديد فيها<sup>3</sup>، أما الإقليم الجنوبي للصحراء الغربية، وادي الذهب فقد أطلق عليه هذا الاسم "نهر

<sup>1</sup> المثلثون: تسمية اطلقها مؤلفو كتب المسالك والممالك والمؤرخون العرب في القرون الوسطى على سكان الصحراء الفاصلة بين الشمال الافريقي وبلاد السودان، وان كانت القبائل الصنهاجية في غرب الصحراء قد اشتهرت بتلك التسمية اكثر من غيرها حتى عرفت بها في معظم الكتابات العربية الوسيطة. ينظر: ولد الحسين الناني: صحراء المثلثين وعلاقتها بشمال وغرب افريقيا من منتصف القرن 2/8م الى نهاية القرن 5/11م، تق محمد حجي، (ب.ن)، (ب.س) ص 09.

<sup>2</sup> ولد الحسين الناني: مرجع سابق، ص 09.

<sup>3</sup> محمد عمرون: تطور نزاع الصحراء الغربية من الانسحاب الاسباني إلى مخطط بيكر الثاني 1975/2005، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور بوقارة حسين، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2006، ص 16.

الذهب " المستعمرين البرتغاليين في القرن 15م فترة الكشوفات، أين لاحظوا أن النهر يحتوي على رواسب للذهب، إلا أن شوقي الجمل يرى أن ادعاءات البرتغاليين بعيدة عن الواقع<sup>1</sup>.

### ب) الموقع:

تنتمي الصحراء الغربية إلى أراضي افريقيا الغربية في شقها الشمالي، حيث تنحصر فلكيا بين دائرتي عرض 20.40 درجة - 27.30 درجة شمالا أي أنها تقع في المنطقة ذات المناخ المداري في نطاقه الصحراوي بالذات في المنطقة الصحراوية الواقعة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، بينما تنحصر بين خطي طول 8.45 درجة - 17.15 درجة غربا حيث تقع المنطقة كليا في النصف الغربي من خط غرينيتش<sup>2</sup>.

أما موقعها الجغرافي فيتنوع بين الحدود البرية والبحرية، حيث يبلغ طول الشريط الساحلي المطل على المحيط الاطلسي حوالي 1125 كلم، فيما تمتد حدودها البرية على مسافة 2045 كلم، منها ما يقارب 1570 كلم مع موريتانيا في الناحية الجنوبية والشرقية، وطول 415 كلم مع المغرب الأقصى شمالا، أما مع الجارة الشرقية الجزائر فيبلغ طول الشريط الحدودي حوالي 60 كلم<sup>3</sup>.

وبناء على ذلك يكون للصحراء الغربية موقع ذو أهمية كبيرة تكمن في تلك الواجهة البحرية المقابلة لجزر الكناري والممتدة على مسافة 1125 كلم على الساحل الشرقي للأطلسي، الأمر الذي يساهم في تسهيل الملاحة والصيد البحري واستخراج الملح... كما يساهم في تحسين ظروف

<sup>1</sup> أحمد رمضان شقليه وجلال شوقي: الصحراء الغربية دراسة جغرافية، مجلة الدارة، العدد 04، دار الملك عبد العزيز، السعودية، 1402هـ، ص 02.

<sup>2</sup> أحمد رمضان شقليه وجلال شوقي: المرجع السابق، ص 135.

<sup>3</sup> محمد عمرون: المرجع السابق، ص 16.

المناخ فترات الجفاف والحرارة في فصل الصيف خصوصا وأن المنطقة صحراوية<sup>1</sup> ، اما طول الحدود البرية الذي يربطها بثلاث دول عربية فيساهم بدوره في تسهيل التواصل العلمي والثقافي، إلى جانب تنشيط الحركة التجارية كون الصحراء الغربية تشكل رابطاً وطريقاً حيويًا واستراتيجياً يربط المغرب الأقصى والجنوب الغربي الجزائري بغرب إفريقيا، مما يساهم أيضا في إيجاد نوع من التلاقح الحضاري بين تلك المناطق.

### ج) الاقاليم

تضم الصحراء الغربية اقليمين رئيسيين، الساقية الحمراء ووادي الذهب يتوزعان جغرافيا على النحو التالي:

#### 1- الساقية الحمراء

يقع هذا الإقليم في الناحية الشمالية للصحراء الغربية، يحده من الشمال منطقة السوس المغربية، ومن الناحية الشرقية تحده الجزائر وموريتانيا فيما يتشارك في حدوده الجنوبية مع وادي الذهب، بينما يطل على المحيط الأطلسي من الناحية الغربية، تبلغ مساحة الإقليم حوالي 82 ألف كيلومتر مربع<sup>2</sup>، كما يضم الإقليم مدينة السمارة ذات البعد الروحي للصحراويين<sup>3</sup>.

#### 2- وادي الذهب(الداخلة)

يقع هذا الإقليم في الناحية الجنوبية للصحراء الغربية، يحده من الناحية الجنوبية والشرقية موريتانيا أما غربا فنجد المحيط الاطلسي وفي الشمال له حدود مع الساقية الحمراء، يشمل إقليم

<sup>1</sup> احمد رمضان شقليه وشوقي جلال: المرجع السابق، ص135.

<sup>2</sup> Notes et Etudes Documentaires, Le Sahara Occidental Espagnol, Paris, 1950, p03.

<sup>3</sup> حسن سيد سليمان: مرجع سابق، ص51.

وادي الذهب المنطقة الممتدة من جنوب الساقية الحمراء بداية برأس بوجادور حتى رأس بلانكو، وتبلغ مساحته حوالي 184 ألف كلم<sup>2</sup> وعاصمة الإقليم مدينة الداخلة<sup>1</sup>.

#### د) التضاريس

تنتمي أراضي الصحراء الغربية في بنيتها الجيولوجية إلى كتلة الصحراء الإفريقية التي تتصف بالاستقرار نوعاً ما نظراً لوقوعها خارج نطاق الأراضي النشطة زلزالياً<sup>2</sup>، وهذا ما يساعد على الاستقرار في المنطقة بالرغم من الطابع البدوي القائم على الترحال لمعظم سكان الصحراء، عكس المنطقة الواقعة في الضفة المقابلة للأطلسي والمتمثلة في جزر الكناري المعروفة بنشاطها الزلزالي.

أما التركيبة الجيولوجية تتوزع أراضيها على ثلاث عصور متميزة، بداية بالعصر الحديث من عصور الكانيزوي الرباعي، حيث أخذت شكل رمال وحصى وأصداف تنتشر على السواحل وتتسع لتشمل أطراف السواحل الداخلية، أما التكوين الثاني فقد شمل تكوينات العصر الكريتاسي آخر عصور الزمن الميزوزوي الذي تميز بالمياه الوسيطة التي بدأت من الصين غرباً إلى غاية الحدود الموريتانية شرقاً، وآخر التكوينات الأركية التي تنتمي إلى زمن ما قبل الحياة أو الزمن ما قبل الكامبري، أين تكونت الصخور الجرانيتية والمتحولة مشكلة بذلك القاعدة الهامة لمعظم الأراضي الصحراوية<sup>3</sup>.

بالنسبة لتضاريس الصحراء الغربية فهي بسيطة قليلة المظاهر، حيث تتميز في أغلبها بالطابع السهلي القليل الارتفاع خصوصاً الناحية الغربية التي تتميز بالانخفاض ناحية الساحل، و يظهر ذلك من خلال أوديتها الجارية معظمها ناحية المحيط الأطلسي، على غرار وادي عساج، الساقية

<sup>1</sup> محمد عمرون: مرجع سابق، ص 17.

<sup>2</sup> أحمد رمضان شقليه وشوقي جلال: المرجع السابق، ص 136.

<sup>3</sup> نفسه: ص 137.

الحمراء، الخط... الخ<sup>1</sup>، وتعطي هذه الأودية نوعا من الحيوية والنشاط للسكان، أين يتم استغلالها في الزراعة وإن كان بنسب ضئيلة، فيما تشكل تلك السهول في بعض المناطق الداخلية هضابا يصل ارتفاعها حوالي 1000 قدم فوق سطح البحر، ويزداد الارتفاع كلما اتجهنا جنوبا مشكلة جبال متوسطة الارتفاع تصل ما يقارب 600م على الحدود الموريتانية<sup>2</sup>.

أما المظهر التضاريسي للشمال الشرقي للصحراء الغربية فيميزها حمادة الدراع الممتدة من صحراء تندوف الجزائرية، فيما يتميز الساحل الغربي المطل على المحيط الاطلسي بالاستقامة مع تواجد عدد من الخلجان اهمها خليج "سنتر" وخليج "فيلا سيروس" المتواجد أمام شبه جزيرة "يالا" YALLA، كما يغلب على مياه الساحل بصفة عامة انها ضحلة وذلك راجع إلى الرواسب التي حملتها مياه تيار كناريا على امتداد ملايين السنين من النشاط في هذه السواحل، بالإضافة إلى حركة الامواج وما تسببه من عملية النحت والترسيب<sup>3</sup>.

كما تتميز الصحراء الغربية على غرار اغلب باقي الصحراء الكبرى بالكثبان الرملية التي تغطي معظم السهول، نتيجة هبوب عواصف رملية قارية على هذه الجزء من الصحراء طيلة فصول السنة<sup>4</sup>، خصوصا وأن المنطقة تكاد تكون خالية من النباتات، إلا اذا استثنينا بعض النباتات الشوكية أو بعض واحات النخيل المتناثرة في الصحراء، مما يساهم ولا شك في طغيان عملية التصحر وزحف الرمال، ويبقى معدل التساقط فيها حوالي 0.6 ملم سنويا الأمر الذي جعل الصحراء شبه خالية من الالهة الدائمة الجريان<sup>5</sup>، إلا اذا استثنينا بعض الغدران الناتجة عن سقوط الأمطار في فصل الشتاء بالمناطق المنخفضة، حيث تبقى بها المياه طيلة السنة حين تكون كميات

<sup>1</sup> احمد رمضان شقلبه وجمال شوقي: مرجع سابق، ص136.

<sup>2</sup> محمد عمرون: مرجع سابق، ص17.

<sup>3</sup> احمد رمضان شقلبه وجمال شوقي: مرجع سابق، ص137.

<sup>4</sup> ولد الحسين الناني: مرجع سابق، ص12.

<sup>5</sup> محمد عمرون: مرجع سابق، ص17.

التساقط كبيرة، وقد استُعملت مياهها في استغلال بعض المراعي نادرة الآبار إلى جانب استعمالها في السقي طيلة ايام الامطار<sup>1</sup>، وتبقى الآبار أهم مصادر المياه بالنسبة لسكان الصحراء، كون المنطقة صحراوية قليلة المجاري المائية من جهة، والسبب الآخر أن الصحراء الغربية نقطة عبور للقوافل التجارية كما أشرنا سابقا الأمر الذي جعل الآبار حتمية للتزود بالماء الشروب.

## هـ) المناخ

ينتمي مناخ الصحراء الغربية بوجه عام إلى المناخ الصحراوي شبه المداري، الذي يمتاز بارتفاع درجات الحرارة التي قد تصل بين  $40^{\circ}$ - $46^{\circ}$  درجة مئوية صيفا، أما فصل الشتاء فتتراوح درجات الحرارة بين  $10^{\circ}$ - $12^{\circ}$  درجة مئوية، مع مراعاة تأثيرات مياه الاطلسي على المناخ طيلة فصول السنة، إلى جانب تيار "كناي" البارد الذي يساهم بدوره في تلطيف درجات الحرارة المرتفعة في فصل الصيف<sup>2</sup>. أما معدل تساقط الأمطار فيصل إلى 0.5مم وهي قيمة نادرة جدا، حيث نجدتها تتركز في المناطق الشمالية من الصحراء، أين تمر الرياح الشمالية الغربية من منطقة الضغط المرتفع الأزوري، لكن قد ترتفع كمية التساقط في بعض المناطق الشمالية خصوصا في فصل الشتاء<sup>3</sup>، بداية من شهري أكتوبر ونوفمبر والتي تؤدي في بعض الأحيان إلى فيضان نهر الساقية الحمراء، حيث تنعكس إيجابا على القطاع الفلاحي الذي كان من بين الأنشطة التي يقوم عليها اقتصاد السكان<sup>4</sup>، لكن بعض المصادر العربية أوردت أن المنطقة كانت تمر بفترات قحط تتخللها في بعض الأحيان أمطار في غير موسمها، أطلق عليها سكان الصحراء اسم "النكظة"، وقد أطلقوا تسميات مختلفة على نكظة كل شهر من اشهر السنة، فمثلا أطلق اسم "مارسية" على

<sup>1</sup>) ولد الحسين الناني: مرجع سابق، ص17.

<sup>2</sup>) محمد عمرو: مرجع سابق، ص17.

<sup>3</sup>) شقليه رمضان: مرجع سابق، ص137.

<sup>4</sup>) Max F Hubner: Die französische Sahara, Dietrich'sche Verlagsbuch handling, Leipzig, 1907, p23.



الأمطار التي تتساقط في شهر مارس، و"النيسان" تطلق على أمطار شهر أبريل، فيما أطلقوا على أمطار شهر أكتوبر اسم "أكتوبرية" وأمطار الشتاء عرفت باسم "بوتة"<sup>1</sup>.

### المبحث الثاني: الملامح الديموغرافية

تزداد صعوبة الباحثين عند الحديث عن أصل سكان المنطقة، نظرا لنقص الكتابات المتخصصة والمضبوطة حول الموضوع، وفي هذا الصدد نجد جل الكتابات المتوفرة تتحدث عنها إما كجزء من صحراء شمال إفريقيا، أو كجزء من تراب البيضان التي نضم إلى جانب الصحراء الغربية موريتانيا وجزءاً من السينغال، أو كجزء من صحراء الملثمين التي سبق وأن تحدثنا عنها، ومن الطبيعي أن نعتمد على هذه الكتابات على اختلافها محاولة منا للوصول إلى أصول أهم قبائل الصحراء الغربية.

#### أولاً: أصل السكان

يتكون المجتمع الصحراوي اليوم من مجموعة قبائل، يرجع أصل غالبيتهم إلى قبائل بربرية أو عربية، وحول دخولهم المنطقة يكاد يكون إجماع بين المؤرخين على أن البربر وصلوا المنطقة قبل العرب، وقد اختلف هؤلاء المؤرخون حول تاريخ دخولهم للمنطقة خصوصاً القبائل البربرية ومما ورد في ذلك نذكر:

يعود أصل سكان الصحراء الغربية شأنها شأن سكان بلاد المغرب، إلى الشعوب التي قدمت من آسيا إلى شمال إفريقيا عبر السويس وذلك خلال العصر العاتيري، حيث انتشرت هذه السلالات عبر ضفاف المتوسط وتوسعت لتصل ضفاف نهر السينغال مروراً بشواطئ الأطلسي، ثم توالى الهجرات بعد ذلك إلى المنطقة متأثرة طردياً والتغيرات المناخية التي عرفتتها الصحراء، ومن جهة أخرى كان للوضع السياسي الذي تعيشه شمال إفريقيا دور كبير في هجرة سكانها باتجاه الصحراء القاحلة على غرار فترة حكم الرومان للمنطقة أين كانت الصحراء الملجأ الآمن للقبائل

<sup>1</sup> (المختار بن حامد: حياة موريتانيا "الجغرافيا"، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994، ج1، ص12.

هروبا من بطش الرومان ومعاملاتهم التعسفية وسياستهم الضريبية تجاه البربر<sup>1</sup>. حيث استقر هؤلاء السكان الذين قدموا بهجرات فردية وجماعية في واحات المنطقة، التي كثيرا ما تميزت كما أشرنا سابقا بوفرة المياه الباطنية، الامر الذي شجعهم على اشتغال حرفة الزراعة منذ السنوات الأولى لاستقرارهم في الصحراء.

فيما يرجع البعض أصل سكان الصحراء، إلى البربر الذين قدموا بلاد المغرب قبل أربعة آلاف سنة تقريبا، حيث توسعوا باتجاه الصحراء بعد أن هجرها السكان السود المزارعون الذين استقروا في ما وراء جنوب الصحراء، وهذا بعد التغيرات المناخية التي شهدتها المنطقة حيث خلفت جفافاً أتى على الأخضر واليابس، فكان من الطبيعي أن تتحول المنطقة المهجورة إلى مأوى مناسب للقادمين الجدد للمنطقة<sup>2</sup>.

## 1- أصل البربر

هناك اختلاف حول أصلهم، فهناك من المؤرخين من نسبهم إلى حام ابن نوح عليه السلام، لكن هؤلاء أنفسهم اختلفوا حول نسبهم من أبناء حام، وحول قدومهم إلى بلاد المغرب ذكر البكري أن حام نفسه هو من هاجر إلى الشمال إفريقيا، بخلاف ابن عبد البر الذي قال أن أبناء قبط ابن حام هم أول من هاجر إلى بلاد المغرب، حيث نزلوا بمصر ومنها توسعوا في الناحية الغربية حتى وصلوا الأطلسي والسوس الأقصى ومنهم قبائل صنهاجة وكتامة وكدالة... الخ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ولد الحسين الناني: مرجع سابق، ص 38.

<sup>2</sup> من وثائق المنظمة الماركسية اللينينية المغربية "الى الامام" حول قضية الصحراء، طريقان لمعالجة مسألة الصحراء الغربية، (ب.ن)، 2006، ص 138.

<sup>3</sup> عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ج1، ص 266.

ومن الروايات الواردة في أصل البربر فهناك من أرجعهم إلى فروع وقبائل عدة من قريش وحمير ومضر والعمالقة والقبط، حيث التقوا في الشام فحجّوا فلغطو فسماهم افريقش<sup>1</sup> بربر لكثرة كلامهم، واستعان افريقش بهذه الشعوب ودخل بهم إفريقيا غازيا وترك منهم فريقا بعد عودته للشام هم نواة قبيلتي كتامة وصنهاجة، إلا أن ابن خلدون نجده ينتقد بشدة هذا الرأي شأنه شأن الآراء الأخرى التي سبقتها، حيث قال أنها بعيدة عن الصواب وأقرب منها إلى الخرافة<sup>2</sup>.

في رواية أخرى أرجعت أصل البربر إلى الملك ولد النعمان بن حمير بن سبا، أين أوعز إلى بنيه للتوسع ناحية الشمال الإفريقي وإعمارها فكان منهم لمت جد لمتونة ومسوف جد مسوفة وأصناك جد صنهاجة حيث نزل كل فرد منهم في منطقة من بلاد المغرب، إلا أن هذا الرأي يبقى بعيداً عن الواقع والحقيقة، لأنه من غير المعقول أن يقدم أبناء ملك على إعمار أرض وصف جزء منها بالصحراء الكبرى، يضاف إلى ذلك انتقاد ابن خلدون لهذا الرأي، حيث أكد أن حمير لم تكن لهم طريق إلى بلاد البربر، ولم يذكر ذلك أي كتاب إلا في خرافات مؤرخي اليمن، ويضيف ابن خلدون تحليلاً في غاية الأهمية حول المسألة، حيث يفند الرأي السابق لعدم وجود أي دليل أو رواية، تقول بحدوث اتصال أو صراع بين حمير وسكان مصر، ومن غير المعقول أن يصل حمير إلى بلاد المغرب دون المرور على مصر<sup>3</sup>، وحتى في حالة قدومهم للصحراء عبر الجنوب، يُعد بعيداً عن الصحة لاستحالة عبور جيش هذه المسافة كاملة دون أن يحتاج إلى مصادر تمويل، سواء تعلق الأمر بكلاء المواشي أو غذاء الجيش كون هذه المنطقة غالبيتها صحراء قاحلة.

<sup>1</sup> افريقش: هو افريقش بن قيس بن صيفي، اخو الحرث الرائي حيث ينسب اليه ادخال العرب افريقية وبه سميت، وساق البربر اليها من ارض كنعان، ويقال انه هو من سمى البربر بهذا الاسم، لأنه لما فتح بلاد المغرب وسمع رطانتهم قال ما اكثر بربرتكم؟ فسمو بالبربر، والبربرة في لغة العرب هي اختلاط اصوات غير مفهومة. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، 08 جزاء، دار الفكر، لبنان، 2000م، ج2، ص 59.

<sup>2</sup> عبد الوهاب بن منصور: مرجع سابق، ص268.

<sup>3</sup> عبد الرحمان ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص 127.

ويرجع ابن خلدون أصل البربر إلى أنهم "هم أبناء كنعان بن حام بن نوح وأسم أبيهم مازيغ وكان ملكهم جالوت سمة معروفة له، إخوتهم اركيش وفلسطين إخوانهم بنو كسلوجيم بن مصرايم بن حام، وكان بنو كنعان واركيش شيعا لفلسطين فلا يقعن في وهمك غير هذا فهو الصحيح الذي لا يُعدل عنه"، لكن ابن خلدون يعود ويورد أن هناك خلافاً حول نسب كتامة وصنهاجة هل هي ذات أصول عربية؟ أو بربرية؟ دون أن يرجح رأياً على حساب آخر<sup>1</sup>، وقد أيدته في هذا الرأي ابن حزم الذي انتهى إلى القول بأن البربر أبناء كنعان قدموا بلاد المغرب من الشام، ويشير الناني ولد الحسين بوجود أدلة مادية تثبت وجود هجرات بشرية من جزيرة العرب باتجاه الشام حوالي 9000 ق.م، وسنوات 3500 ق.م، 2150 ق.م فترة حكم ملك اليمن الحميري آدد بن وائل، أين قام بحملة تجاه الشام أدت إلى ترسيخ الوجود العربي هناك ومن ثم هجروا المنطقة باتجاه بلاد المغرب والصحراء بعد سقوط دولتهم من قبل المصريين، وهذا الرأي يدعم أكثر الرأي القائل بعروبة البربر<sup>2</sup>.

وعلى عكس ابن خلدون هناك روايات تؤكد عروبة صنهاجة وكتامة، على غرار القلقشندي الذي قال إنهم من حمير عرب اليمن، وذهب على رأيه المسعودي والطبري وابن الكلبي وعبد العزيز الجرجاني، غير أن الاختلاف بينهم وقع في تحديد سبب وتاريخ هجرة هؤلاء إلى بلاد المغرب، حيث أورد البعض أن هجرتهم جاءت بعد تحطيم سد مأرب، والبعض الآخر رأى أن هجرتهم جاءت نتيجة لغزو ملك الحبشة لليمن، وهناك من أتى برأي أقرب للأسطورة منه إلى الحقيقة، حيث يرى بعض النسابين أن أحد ملوك اليمن من التبابعة آمن بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم قبل ميلاده حتى! وذلك عن طريق المنجمين، وقد آمن معه قومه لكن بعد

<sup>1</sup> عبد الرحمان ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص 127.

<sup>2</sup> الناني ولد الحسين: مرجع سابق، ص 44.

وفاته اضطهدوا، فما كان منهم سوى الفرار إلى بلاد المغرب والصحراء وجعلوا من اللثام وسيلة للتخفي<sup>1</sup>.

وبخصوص أصل البربر يشير عبد الوهاب بن منصور في كتابه قبائل المغرب، أن لهجة البربر أقرب إلى اللغات السامية التي تعد نواة اللغة أو اللهجة الحامية، وهذا الادعاء الذي تبناه يوافق ما ذهب إليه ابن خلدون في رأيه حول المسألة<sup>2</sup>، إلا أنه يرجح رأي ما توصل إليه العلماء المعاصرون حول أصل البربر، حيث أثبتت الأبحاث المعاصرة أن أصلهم يعود إلى المجموعة القوقازية التي انتشرت سلالتها في مناطق عديدة من العالم القديم، حيث نجدها تشترك غالباً مع سكان شمال افريقيا في الملامح والبنية، أما لون البشرة السمراء الذي ينتشر بين غالبية بربر الصحراء، فيعود إلى طبيعة المناخ الحار وأشعة الشمس إضافة إلى تأثيرها بإفريقيا السوداء بحكم الجوار<sup>3</sup>.

## 2- العرب

استوطن العرب في الجزيرة المنسوبة اليهم جنوب غرب آسيا، حيث كانت منطقة حضرية أكثر منها بدوية كونها محاطة بمياه من جوانبها الثلاث، إلا أن الجانب الشمالي منها كان يشهد لا استقراراً كون سكانه كثيراً ما ارتحلوا بحثاً عن الكأ، نظراً لظروف طبيعة المنطقة التي ينتمون إليها، إلا أن ظهور الإسلام فيها غير موازين القوى لصالح شمال الجزيرة العربية فكانت مركز قوة العرب آنذاك<sup>4</sup>. وتوسعت مناطق نفوذهم بفضل الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بداية بالمناطق المحيطة بالجزيرة العربية كبلاد الشام والعراق وبلاد فارس، لتصل إلى مصر التي ستكون بمثابة البوابة الرئيسية لدخول العرب إلى بلاد المغرب، ومن الطبيعي أن تتم مع عملية الفتح البدايات الأولى للاستقرار العربي الرسمي في بلاد المغرب، وإن كان البعض

<sup>1</sup> النابي ولد الحسين: مرجع سابق، ص 40.

<sup>2</sup> عبد الوهاب بن منصور: مرجع سابق، ص 276.

<sup>3</sup> نفسه: ص 279.

<sup>4</sup> نفسه: ص 344.

يرفض الفكرة على غرار النابي ولد الحسين الذي يؤكد أن الوجود العربي في بلاد المغرب كان قبل هذه الفترة بكثير أين يورد في دراسته المتعلقة بصحراء الملثمين وعلاقتها بشمال إفريقيا وغرب إفريقيا بحدوث هجرات عربية إلى المنطقة عن طريق مصر حوالي ما بين 1500 ق.م و 1200 ق.م مدعماً رأيه بوجود كتابات بالخط الحميري على خرائط قرطاجة وقد اطلع عليها العرب الفاتحون حينما قدموا المنطقة<sup>1</sup>.

### أ) الفتح الاسلامي لبلاد المغرب

بدأ الفتح العربي لبلاد المغرب في عهد ولاية عمرو ابن العاص (ت43ه، 662م) على مصر، فبعد استقرارهم مباشرة بدأت جيوش المسلمين تتطلع لفتح أقاليم جديدة، خصوصاً بعد الاتصال الأول لجيش مصر ببعض قبائل بلاد المغرب (لواتة، نفوسة، نفزة، هوارة... ) أين قدمت لهم هذه الاخيرة فروض الطاعة بسلاسة، بل سارت تعينهم وتدلمهم على الروم، وقد اختلف المؤرخون حول سبب خضوع البربر للجيش العربية، واقبالهم على دفع الخراج طواعية منهم، فالبعض أرجع ذلك إلى خوف البربر من قوة الجيوش العربية التي ذاع صيتها منذ الغارات الأولى على المنطقة، أما فريق آخر فقد أرجع ذلك إلى طبيعة المعاملة التي عامل بها المسلمون البربر<sup>2</sup>، ويبقى السبب الاقرب حسب ظننا يعود إلى طبيعة وقيم رسالة الاسلام، والتي استطاع المسلمون إيصالها إلى مناطق بعيدة عن اللسان العربي، من دون إراقة قطرة دم أو ضربة سيف، إلى جانب سبب جلي تمثل في معاملة الروم التعسفية تجاه البربر كما أشرنا سابقاً.

لقد كان أول جيش رسمي دخل بلاد المغرب، ذلك الذي أرسله الخليفة عثمان بن عفان في عهد ولاية عبد الله بن سعد بن أبي السرح (ت35ه، 656م) على مصر، أين أرسل جيشاً ضم حوالي 20 ألف جندي، يعرف في كتب التاريخ والسير بجيش العبادلة (لأنه كان يضم أبرز

<sup>1</sup> النابي ولد الحسين: مرجع سابق، ص 44.

<sup>2</sup> عبد الوهاب ابن منصور: المرجع السابق، ص 368.

الصحابة الذين سموا بعبد الله)، وزحف نحو بلاد المغرب أين تمكن من هزيمة الروم، إلا أن عبد الله بن أبي السرح لم يخلف عساكر هناك، نظرا لعقد الرومان اتفاقا مع المسلمين يقضي بجلاء الجيوش العربية من المنطقة، مع الحفاظ على مكتسبات المسلمين هناك، وبالتالي في هذه المرحلة لم تسجل الكتابات العربية أي استقرار عربي معتبر في بلاد المغرب<sup>1</sup>.

عاد عمرو بن العاص إلى ولاية مصر في عهد خلافة معاوية، فأرسل حملتين الأولى بقيادة معاوية بن حديج (ت52هـ، 672م) والثانية بقيادة عقبة بن نافع (ت63هـ، 682م) سنة (50هـ، 670م) حيث تمكن عقبة بن نافع من تشييد القيروان أولى مراكز العرب المسلمين في بلاد المغرب، وبذلك اعتبره العديد من المؤرخين على غرار كارل بروكلمان، اعتبره المؤسس الحقيقي للحكم العربي في المنطقة<sup>2</sup>، وخلفه أبو المهاجر دينار (ت63هـ، 683م) الذي أسس بدوره تيكروان، التي اعتبرت ثاني المراكز العربية بالشمال الإفريقي، وفي ولاية عقبة الثانية (63هـ، 682م) تمكن من الوصول إلى طنجة والسوس وصحراء تيفيلالت وقام بفتحها، إلا أن سياسته التعسفية تجاه البربر وقائدهم كسيلة كانت سببا في إغارتهم عليه سنة (64هـ، 683م)<sup>3</sup>، هذا وقد تخللت كل فترة من فترات الفتح إرسال بعثات من العلماء لتعليم البربر شؤون دينهم، إلا أن هؤلاء تلقوا صعوبة التواصل في اللغة مع البربر خصوصا في المناطق الجبلية.

في عهد عبد الملك ابن مروان كان الفتح الحقيقي لبلاد المغرب أين زحف حسان بن النعمان (ت80هـ، 700م) على رأس جيش قوامه أكثر من 40 ألف مقاتل ضم بعضا من البربر الذين أسلموا حديثا، من بينهم القائد الأمازيغي هلال بن ثوران اللواتي، حيث تمكن من إخضاع الروم والبربر بقيادة الكاهنة بعد مخاض عسير، وبهزيمة الكاهنة يكون عهد عبد الملك بن مروان

<sup>1</sup> عبد الوهاب ابن منصور: المرجع السابق، ص371.

<sup>2</sup> محمد زيتون: المسلمون في المغرب والاندلس، 1990، ص28.

<sup>3</sup> عبد الوهاب ابن منصور: مرجع سابق، صص 372\_375.

بداية الاستقرار العربي في بلاد المغرب<sup>1</sup>، بعدما عم الفتح معظم البلاد، تم تجنيد 12 الف<sup>2</sup> من البربر في الجيش الإسلامي، وذلك بهدف توسيع رقعة ديار الإسلام، لتصل مناطق الصحراء جنوبا وبعض المناطق النائية كونهم من سكان المنطقة وأكثر معرفة بجباياها، حيث ستكون البدايات الأولى لفتح أقاليم الصحراء الغربية.

### ب) الفتح الإسلامي للصحراء الغربية

يعتقد البعض أن بدايات الفتح الإسلامي للصحراء الغربية، كان مع حملة عقبة بن نافع على افريقية، حيث توغل في بلاد الطوارق غرب افريقيا ووصل إلى بلاد التكرور وغانا، وتمكن من فتحها حوالي 60هـ ويقال أنه بنى فيها عدداً من المساجد<sup>3</sup>، إلا أن هذا الرأي يُعد بعيداً عن الحقيقة، كون الصحراء منطقة مترامية الأطراف، كانت تشكل دائماً الملجأ الآمن للفارين من بطش سلطة الشمال نظراً لصعوبتها وتشعبها، لذلك لا يمكن بأي حال من الأحوال فتحها بهذه السهولة وتشييد مساجد بها، إضافة إلى أن هذه المساجد التي يقال أنها شيّدت هناك، لا توجد أي قرائن تثبت تواجد بعثات من العلماء لتعليم هؤلاء أمور دينهم مثل بلاد المغرب، دون أن ننكر بأن عقبة بن نافع وصل إلى بلاد السوس في حملة خاطفة قد يكون الهدف من خلالها التعرف على طبيعة الصحراء دون ان يتوغل فيها كما اشار إلى ذلك ابن خلدون<sup>4</sup>.

وتشير دراسات أخرى أن الاسلام دخل المنطقة (117هـ، 735م) على يد حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع أو ابنه عبد الرحمان ابن حبيب، أين تمكنت الطلائع الأولى من الجيوش

<sup>1</sup> عبد الوهاب ابن منصور: المرجع السابق، صص 377\_378.

<sup>2</sup> احمد رمضان شقليه وجمال شوقي: مرجع سابق، ص145.

<sup>3</sup> حسن احمد محمود: دور العرب في نشر الحضارة في غرب افريقيا، (ب.ن)، (ب.س)، ص54.

<sup>4</sup> عبد الرحمان ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في شأن العرب والبربر ومن جاورهم من ذوي الشأن الاكبر، مصدر سابق، ج6، ص213.



الاسلامية الوصول إلى مشارف نهر السينغال على المحيط الأطلسي، حيث يؤيد هذا الرأي المختار ولد حامد والبكري، غير أن هؤلاء لم يستبعدوا دور الطرق السلمية في نشر الإسلام بالمنطقة<sup>1</sup>.

اتخذت العلاقة بين الشمال الإفريقي والصحراء شكلاً جديداً بعد دخول الإسلام بلاد المغرب، حيث لم تعد تقتصر على هجرة بعض سكان الشمال من البربر بغرض الحصول على العبيد، من بعض القبائل الزنجية المرابطة في المناطق الأولى لجنوب الصحراء، وإنما أصبحت بعض هذه القبائل التي أسلمت حديثاً تتجه نحو الجنوب بغرض الإقامة الدائمة هناك، حتى وصل استقرارهم أواخر القرن العاشر ميلادي إلى منطقة أدرار، وقد ساهمت بشكل كبير في نشر الإسلام في المناطق الصحراوية حتى وصل نفوذها إلى مشارف السينغال، وقد لعبت هذه القبائل دوراً كبيراً في حماية ظهر دولة الإسلام الفتية من هجمات القبائل الزنجية، وهذا يرجع بالأساس إلى الحرية التي كانت تتمتع بها هذه القبائل، عكس فترة الحكم الروماني للمنطقة أين كان الرومان يقيمون الحصون لصد هجمات هذه القبائل<sup>2</sup>.

لقد شكل المثلثون أبرز هذه القبائل البربرية، حيث كان لها الفضل الكبير كما ذكرنا سابقاً في تهيئة الطريق أمام التجار العرب الذين بدأوا يتوغلون في هذه المناطق الصحراوية إلى غاية مدينة اودغست، التي ستكون عاصمة لمملكة اودغست الاسلامية التي قامت حوالي القرن الثالث هجري، وقد تمكن موسى بن نصير(ت716،ه97م) من توطيد الإسلام بين الطوارق، وأسس مسجداً بمدينة "أغمات" نواحي مراكش، التي ستكون بمثابة أولى المراكز العربية لنشر الإسلام بالمغرب الأقصى والصحراء الغربية، ومن غير المستبعد أن يكون موسى بن نصير، قد عين إلى جانب هؤلاء العلماء الذين أوفدهم إلى بلاد الطوارق، بعض الأهالي من البربر المثلثين حتى يديروا

<sup>1</sup> محمد المحجوب ولد بيه: موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 15 / 21، موريتانيا، 2016، ص74.

<sup>2</sup> حسن احمد محمود: مرجع سابق، ص 52.

شؤونهم<sup>1</sup>، وقد ساهم التجار المسلمون دورا كبيرا في توطيد الإسلام بالصحراء الكبرى وإفريقيا جنوب الصحراء.

### ت)الهجرات الحسانية الى المنطقة

تعود أصول بني هلال وبني سليم وبني حسان إلى عرب الحجاز وقد استوطنت في مصر قادمة من الشام، بدأت هجرات هذه القبائل إلى بلاد المغرب بداية من القرن 11م، أين أمدهم الخليفة المستنصر بالله بالمال والسلاح في مقابل تأديب المعز بن باديس الصنهاجي حاكم افريقية، والذي خرج على سلطة المستنصر واعترف بسلطة الخلافة في بغداد، وقد تمكنت هذه القبائل العربية من هزيمة المعز بن باديس والاستيلاء على القيروان (449هـ، 1057م)<sup>2</sup>. بذلك يكون المستنصر قد حقق هدفين في آن واحد، حيث تمكن من التخلص من هذه القبائل العربية التي كانت تهدد سلطته، وتأديب المعز لدين الله الذي خرج على سلطانه واستبدل المذهب الشيعي بالسني.

واصلت القبائل العربية انتشارها في بلاد المغرب، خصوصا بعد التحاق موجات جديد من بني سليم ازداد نفوذهم في المنطقة حيث توسعوا بالمغرب الاوسط والأقصى، وامتد النفوذ الهلالي ليصل الأرياف المغربية، وعلى غرار بني هلال وصل عرب المعقل إلى نواحي شنقيط بعد أن اجتازت الساقية الحمراء حوالي (663هـ، 1265م)<sup>3</sup>. وبناء على ذلك يكون للهجرات العربية التي عرفت المنطقة دورا كبيرا في انتشار اللسان العربي هناك، وهذا سيكون له أثر بليغ في الحياة الاجتماعية لسكان البلاد المغاربية والصحراء، وسنورد ذلك أثناء الحديث عن الحياة الاجتماعية.

مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي استطاعت القبائل العربية حديثة العهد في المنطقة أن تكسب ود بني مرين، حيث أوكلت هذه الاخيرة لهم حماية الحدود الجنوبية للدولة المرينية، وبذلك

<sup>1</sup> حسن احمد محمود: مرجع سابق، ص 54.

<sup>2</sup> محمدو ولد محمدن امين: مرجع سابق، ص 233.

<sup>3</sup> ابن عذارى: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، الرباط، 1963، ج4، ص 229.

سيصبح هؤلاء من بين القبائل السلطانية ذات الصلاحيات الواسعة، حيث تجبي الضرائب عن باقي القبائل الصنهاجية، وقد امتلك بنو حسان منهم إقطاعات واسعة امتدت من درعة إلى البحر المحيط والسوس الأقصى، ولعل ذلك انعكس سلبا على مسالك القوافل التجارية عبر الصحراء، نتيجة إغارة أعراب البادية على القوافل، الأمر الذي أدى إلى انتقال الريادة من طريق لمتونه إلى طريق تمنطيط بإقليم توات<sup>1</sup>. ويذكر محمدو ولد محمدان أمين نقلا عن كتاب الرحالة المستكشفين الذين زاروا المنطقة بداية القرن الخامس عشر الميلادي، أن السيادة في الصحراء الغربية تعود للقبائل الحسانية التي كانت تطبق نظام ضرائب الحماية على بقية القبائل الأخرى<sup>2</sup>، وتمكنت بذلك من فرض سيطرتها على المنطقة في شكل قبائل جمع بينهما اللسان العربي الحساني، ومن بين القبائل العربية التي استوطنت بالمنطقة هم أولاد داوود، أولاد يونس، البرابيش، أولاد دليم، أجمان، أولاد مبارك، البراكنة، التراززة، أولاد يحيى بن عثمان، أولاد داوود بن محمد، أولاد رزق، أولاد عقبة، وينتسب جميعهم إلى الصحابي الجليل جعفر ابن ابي طالب<sup>3</sup>.

وبناء على ذلك نستنتج أن البربر شكلوا السكان الاصليين للمنطقة، وإن اختلف المؤرخون حول تحديد أصول نسبهم، إلا أن الثابت في شأنهم أنهم قدموا من آسيا عبر هجرات عديدة وسكنوا بلاد المغرب وتوسعوا بتجاه الصحراء خاصة بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، أما العرب الذين يشكلون الجزء الثاني من سكان الصحراء الغربية فقد كان نشر الإسلام العامل الأول لوجودهم بالمنطقة، بالرغم من صعوبة اختراقها أين كانت قبل هذا العهد دائما الملجأ الأول والآمن للثائرين عن السلطة في الشمال.

<sup>1</sup> محمدو ولد محمدان امين: مرجع سابق، صص 235\_236.

<sup>2</sup> نفسه: ص 237.

<sup>3</sup> محمد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (ب. س)، ص ص 53\_67.

## ثانيا: أهم القبائل

يتكون سكان الصحراء الغربية من مجموعة قبائل يغلب عليها الطابع البدوي، وقد أشرنا سابقا أن هذه القبائل أصلها إما عربي أو بربري، بالإضافة إلى شعوب أخرى تشكل أقلية في المجتمع الصحراوي، وبالحدث عن القبائل الصحراوية نجد معظمها ينتمي إلى صنهاجة التي تعد إحدى أكبر القبائل البربرية، إضافة إلى القبائل الحسانية التي قدمت المنطقة عقب الهجرات العربية المختلفة، وقد أطلق العرب في العصر الوسيط على هذه القبائل التي سكنت الصحراء إسم المثلثين، وقد عُرفوا أيضا بقبائل البيضان أو البيضان، ومن أهم البطون الصنهاجية التي انحدرت منها قبائل الصحراء هي:

### 1. كيدالة:

هي إحدى قبائل صنهاجة تعد من أكثر قبائل المثلثين تعدادا، حيث ينحدرون من جدهم الأول جدال أو كدال، يرجع البعض أصلها إلى شعوب الجيتول الذين قدموا المنطقة قبل أربعة آلاف سنة، ويمتد انتشار قبيلة كيدالة في أغلب مناطق الصحراء ويبلغ نفوذها إلى مشارف نيل السودان، واستقر الكيداليين في الجانب الغربي للصحراء الغربية على ضفاف الأطلسي، واشتهرت القبيلة بقيادة اتحاد صنهاجة الصحراء، وقد يكون مرد ذلك إلى الثراء الذي عرفت به القبيلة وذلك نتيجة لبسط نفوذها على طريق المبادلات التجارية مع السودان إضافة إلى سيطرتها على مملحة "أوليل" التي كانت تصدر ملحها إلى غانة ومملكة النيجر<sup>1</sup>.

### 2. لمتونة:

تعد لمتونة إلى جانب كدالة من أهم قبائل صنهاجة، حيث ينحدرون من نسل جدهم الأول لمت أو تلميت، ويمتد نفوذ قبائل لمتونة إلى غاية الساقية الحمراء ووادي نون شمالا، أما الناحية

<sup>1</sup> (الناني ولد الحسين: مرجع سابق، ص51.

الشرقية فيمتد بين أراضي مسوفة شرقا وكدالة غربا، وقد امتدت مناطق ظعنها من بلاد السوس الأقصى إلى غاية اودغست خلال القرنين الثامن والتاسع ميلادي، ويلمح البكري إلى القوة العددية للمتونين أين يشير إلى طول مسيرة رحلتهم بين بلاد السودان والمغرب الأقصى<sup>1</sup>، وبناء على ذلك اعتبر البعض أن تعدادهم كان سبباً في سيطرتهم على طريق المبادلات التجارية، الذي يعد من أقدم الطرق التي تعبر الصحراء الغربية باتجاه السودان الغربي، وقد عرف باسم طريق لتونة، ولعل ذلك كان سبباً في منح القبيلة وزناً سياسياً إذ كان رئيس صنهاجة في حال اتحاد قبائنها يختار من لتونة، إضافة إلى أنها إحدى القبائل المؤسسة لدولة المرابطين<sup>2</sup>.

### 3. مسوفة:

على غرار لتونة تعد مسوفة من بين القبائل المنتسبة إلى صنهاجة، حيث تسيطر على الجانب الشرقي للصحراء بمحاذاة قبائل لتونة، امتد نفوذها من تيندوف ووادي درعة شمالاً إلى النيجر جنوباً، وعلى الرغم من تمركزها في منطقة جافة من صحراء الملثمين، إلا أن قوتها مستمدة من سيطرتها على طريق سجلماسة- غانا، إضافة إلى استيلائها على مملحة تغاز منذ القرن الثامن ميلادي، الأمر الذي أكسبها مكانة كبيرة من بين قبائل صنهاجة، رغم أن تعدادها البشري قليل إذا ما قورن بقبيلتي كدالة ولتونة، وقد عرفت القبيلة باتصالها بالعرب الفاتحين في فترات مبكرة، ذلك ما أورده ابن خلدون في خضم حديثه عن معارك عقبة ابن نافع<sup>3</sup>.

### 4. كزولة:

تنتمي القبيلة إلى صنهاجة حسب معظم الكتابات العربية، حيث كان لها نفوذ في المناطق الشمالية للصحراء الغربية، أين كانت بطونها تنتجع إلى غاية درعة ووادي سوس، ومما ورد حول

<sup>1</sup> (أبي عبيد الله البكري: مصدر سابق، ص 164).

<sup>2</sup> (الناي ولد الحسين: مرجع سابق، ص 52).

<sup>3</sup> (نفسه: ص 56).

هذه القبيلة أن تعداد أفرادها قليل، الأمر الذي انعكس على مكانتها حيث كانت مناطقها يغلب عليها الطابع الصحراوي، إضافة إلى انعدام أي مصدر اقتصادي كسيطرها على بعض الطرق التجارية، رغم أن مناطق نجعهم تمر بها أهم الطرق العابرة للصحراء الغربية، ونتيجة لتلك العوامل كانت القبيلة في بعض الفترات، تمتن الإغارة على القبائل العابرة للمنطقة كمصدر اقتصادي لها<sup>1</sup>.

## 5. ترغه (تارجا)

حسب النابي ولد الحسين فان قبيلة ترغه قد ضمها ابن حوقل إلى قبائل صنهاجة الخالص، حيث يعود أصلهم إلى فزان وانتقل قسم منهم إلى الصحراء الغربية، وقد كان موطنهم بين وادي درعة والساقية الحمراء، يبرز دور القبيلة كعنصر هام في الجيش المرابطي الذي اكتسبت فيه مكانة أكبر بعد النزاع الذي نشب بين لمتونة وكدالة، أين أدى إلى انسحاب الأخيرة من الحلف، هذا النفوذ سيمكن ترغه رغم نقص تعدادها من تعاضم دورها في التبادل التجاري بين غرب إفريقيا وبلاد المغرب، ولو أن العصر الذهبي للقبيلة كان أواخر القرن 11م أين تمكنت من بسط نفوذها على معظم الصحراء المحاذية لنهر النيجر<sup>2</sup>.

وقد تولدت عن هذه القبائل مجموعة قبائل وأفخاذ تشكل اليوم شرائح المجتمع الصحراوي، وذلك بعد سقوط اتحاد قبائل صنهاجة إثر تفكك دولة المرابطين، ومن بين القبائل المكونة للمجتمع الصحراوي نذكر:

## أ) الرقيبات

تعد من أكثر القبائل انتشارا في الصحراء الغربية اشتهروا بالزراعة إلى جانب النشاط التجاري، وقد تمركزوا بالساقية الحمراء أين بلغت أعدادهم حوالي 20 ألف نسمة، ووادي

<sup>1</sup> النابي ولد الحسين: المرجع السابق، ص 58.

<sup>2</sup> نفسه: ص 59.

الذهب حوالي 15 ألف نسمة، وقد وصل نفوذهم إلى شرق تندوف وبعض المناطق من النيجر والشمال الغربي لموريتانيا<sup>1</sup>، وتنتسب القبيلة أساسا إلى جدها الأول سيد أحمد الرقيبي<sup>2</sup>، الأمر الذي يفند الادعاء القائل بالأصول البربرية للقبيلة، ولو أننا لا ننكر العلاقات التي كانت تربطها ببقية القبائل البربرية، وتنقسم إلى:

### 1- رقيبات الساحل: والتي تضم أفخاذ:

أولاد موسى التي تتميز بغلبة العنصر العربي، إضافة إلى أولاد الشيخ، و أولاد الطالب، و السواعد، و أولاد داوود، والمؤذنين. وتتفرع منها قبائل أخرى على غرار أولاد لحسن، وأهل محمد سالم من أولاد موسى، وأهل عبد الله بن عمر، وأهل أبا إبراهيم من السواعد<sup>3</sup>...

### 2- رقيبات الشرق أو القواسم: وتضم الأفخاذ التالية:

أهل إبراهيم وداود، إضافة إلى البيهات، والفقرة. ويتفرع من هذه الأفخاذ قبائل وأفخاذ أخرى على غرار أهل الطالب بن أحمد، أهل دادا، أهل سيدي علال<sup>4</sup>...

### ب) أولاد دليم

حسب أغلب الروايات أن أصل القبيلة يعود إلى "مقفر" زعيم بني حسان ذات الأصول العربية، وقد عرف أولاد دليم بجروهم ضد القبائل المترحلة شمال الساقية الحمراء، إلى جانب مواجهاتهم مع المحاربين الكناريين الذين يترددون في السواحل الصحراوية شمال رأس بوجادور وقد

<sup>1</sup> محمد عمرون: مرجع سابق، ص 21.

<sup>2</sup> محمد سالم بن حبيب بن الحسين بن عبد الحي: جوامع المهمات في أمور الرقيبات، تح مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1992، ص 14.

<sup>3</sup> Paul Marty: les Tribus de la Haute Mauritanie, Paris, 1915, p 37.

<sup>4</sup> Ibid: p 43.

انتشروا بكثرة في إقليم وادي الذهب<sup>1</sup>، كما امتهن أولاد دليم إلى جانب الحراة الصيد البحري والرعي، وتفرعت منهم قبائل عدة على غرار الشناكلة، سلام، أهل أبنيجارة المناصير...<sup>2</sup>، وقد قدر مارتي (Paul Marrrty) عدد خيمهم حوالي 560 خيمة<sup>3</sup>.

### ت) العروسيون

يعود أصل القبيلة إلى مؤسسها سيد أحمد العروسي، وحسب رواية كليمانتي أن والد هذا الأخير كان وليا صالحا قدم المغرب الأقصى هاربا من الحروب ضد المسيحيين في تونس، وتزوج في مراكش وبعد ولادة سيد أحمد العروسي جيء به إلى الصحراء عبر السماء، وبعد أن تمزق حزامه الذي حمّله به أحد صالحى مراكش سقط في الصحراء بمنطقة تسمى الرياض<sup>4</sup>، وقد تزوج بالصحراء وخلف بعد وفاته ثلاثة ذكور هم سيدي بومهدي وسيدي بومدين وسيدي ابراهيم، وعن وظائفهم الاجتماعية فينتهي العروسيون إلى القبائل التي جمعت بين القلم والسلاح إلى جانب النشاط الزراعي والرعي نواحي إمريكلي بواد الذهب<sup>5</sup>.

### ث) أولاد تيدرارين

تنتسب هذه القبيلة إلى العالم الجليل سيد أحمد بوغمبرور الأنصاري نسبا، حيث عرف هذا الرجل بصلاحه وكراماته وسعة علمه، قدم إلى الصحراء الغربية من مصر حوالي القرن الخامس عشر الميلادي، وتزوج بامرأة من أهالي الصحراء لم نعثر على أصلها، وقد أنجبت له أولادا عدة اشتهر من بينهم الطالب علي وموسى، ويرى أحفاد موسى والطالب علي أنهم أصحاب النسب

<sup>1</sup>) Manuel Mulero Clemente: Los Territorios españoles del Sahara y sus grupos Nomadas, El siglo, Las Palmas, 1945, p 88.

<sup>2</sup>) الحسن الوزان: وصف افريقيا، تر محمد حجي ومحمد الاخضر، الرباط-بيروت، 1983، ج2، ص 53\_56.

<sup>3</sup>) Paul Marty: op , cit , p10.

<sup>4</sup>) الرياض: منطقة تقع شمال غرب مدينة السمارة بالساقية الحمراء، وفيها يوجد ضريح سيد أحمد العروسي.

<sup>5</sup>) Manuel Mulero Clemente: op. cit, p 86.



الصحىح المنحدر مبالرة من الجد أحمى بوغمبور، أما باقى مجموعات القبىلة فهم من نسل أبو  
دجانة الأنصارى<sup>1</sup>.

وتعد قبىلة أولاد تىدرارىن من القبائل المسالمة التى استوطنت الساحل، حىث اشتهر أفرادها  
بممارسة الرعى بمنطقة "الحسىان" رأس بوجادور أين تنتشر الأحساء على غرار أنوىفظ، آوفىست،  
أنوتى، سركاو، حىمر ماه... الصالحة لسقى المواشى كما عرف عن أفراد هذه القبىلة ممارستهم  
للنشاط الزراعى<sup>2</sup>.

### ج) قبىلة فىلالة

تنتسب القبىلة إلى مؤسسها سىدى بوبكر الفىلالى من شرفاء تافىلالت، اشتهرت القبىلة  
بالعلم والصلاح وقد استقروا نواحى الكعدة وبئر الحكونىة<sup>3</sup>.

### ح) آل الشىخ ماء العىنن

ىنحدرون من نسل الشىخ محمى مصطفى المرفوف بـ "ماء العىنن" والده محمى فاضل بن  
مامن القلزمى الشنقىطى قائد أهل الطالب المخرار فى بلاد شنقىط، وقد وُلد الشىخ محمى مصطفى  
فى منطقة الحوض الشرقى المورىتانى حوالى (1246هـ/1831م)، وقد أطلقى علىه والدىه اسم  
"ماء العىنن" تعبىرا عن حبها الشدىد له<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> Manuel Mulero Clemente: op. cit, p 85.

<sup>2</sup> Ibid: p86.

<sup>3</sup> Ibid: p90.

<sup>4</sup> Ibid: p80.

نشأ الشيخ ماء العينين وتلقى تعليمه على يد والده الشيخ محمد فاضل بمسقط رأسه في منطقة الحوض، قبل أن يغادرها مطلع (1266هـ / 1850م) متجها إلى الحج، وقد أمضى سنة كاملة في رحلته الحجازية زار خلالها إلى جانب الحرمين الشريفين المغرب الأقصى والشام ومصر، وبعد عودته من رحلة الحج مكث فترة في تجكانت بتندوف أين احتك بعلمائها وتزوج منهم امرأتان، كما أسس هناك مكتبة كبيرة عن طريق الإهداء والشراء<sup>1</sup>، وبعد مدة إنتقل إلى أدرار ليعود بعدها ويستقر لأول مرة في الساقية الحمراء سنة (1289هـ / 1873م)، ويؤسس أول زاوية له في منطقة "أكريزيم" على ضفاف وادي الساقية الحمراء، بعدما ذاع صيته وكثر مريدوه أسس زاوية السمارة على ضفاف وادي سلوان حوالي (1315هـ / 1898م)، وقد قاد حركة الجهاد ضد الإستعمارين الفرنسي والإسباني في الصحراء الغربية وشنقيط، قبل أن يتوفى في مدينة تيزنيت سنة (1327هـ / 1910م)، وقد خلف مجموعة من الأولاد يشكلون بطون آل ماء العينين في المغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا<sup>2</sup>.

### خ) أولاد بالسباع

يعود أصل تسمية القبيلة إلى رواية تناقلتها كتب التاريخ والسير، مفادها أن الجد الأول للقبيلة الشريف سيد عامر الهامل حفيد مولاي إدريس، كانت له غنمٌ يرعى بها في جبال شتوكة بالأطلس الصغير، وأراد بعض الأعراب الاستيلاء عليها رغما عنه فتحولت تلك الغنم إلى أسود وعلى إثر ذلك الحدث أطلق عليه عامر بوسبع، هذا الأخير خلف ثلاثة ذكور هم بطون أولاد أبي السباع حاليا، ويتعلق الأمر بـ: أعمر وعمران والنومر، وقد وصل أفراد هذه القبيلة إلى الصحراء الغربية عبر جبال الأطلسي، وذلك بعد ثورتهم على السلطان مولاي إسماعيل أوائل القرن الثامن عشر، وقد اشتهر أولاد بالسباع بالحرابة حيث دخلوا في حروب عديدة ضد قبائل الصحراء، إلا

<sup>1</sup>) Pierre Bonte: La Politique coloniale Française et les Ahl Shaykh Ma al-cAynin. Jihad et résistances tribales, archivos, numéro 11, julio- diciembre 2011, p 02.

<sup>2</sup>) Manuel Mulero Clemente: op. cit, pp 81\_82.

أن الفترة الأخيرة من تاريخ إقامتهم بالصحراء امتهنوا التجارة والرعي وقد استقروا بشكل رسمي بوادي الذهب بعد مهادنتهم للإسبان سنة 1917م<sup>1</sup>.

### د) تجكانت

تعد القبيلة من أهم قبائل موريتانيا وتندوف، وقد امتدت فروعها إلى الصحراء جنوب وادي نون، وتعتبر القبيلة من بين القبائل التي جمعت بين القلم والسلاح، ومن البطون التي تنتمي إلى تجكانت: أولا ابراهيم، الرماطين، لكواليل، الزلامطة، أولاد موساني، الأنصار، إديشف، إديعقوب، إيديحة، إيدوشر<sup>2</sup>.

### ذ) الزركيين

في أصل القبيلة تشتهر روايتان أوردتهما كليمانتي على السياق التالي:

الأولى مفادها أن القبيلة تنتسب إلى الشيخ سعيد الزركي من قبائل تكنة، وإليه ينتسب فرع لحسن وبلة وهما أخوان اختلفا حول تقسيم واحة نخيل عند قبيلة آزوافيط التكنية، فكان الخلاف سببا في انقسام القبيلة إلى فرعين أحدهما في التراب الإسباني والأخرى في التراب الفرنسي<sup>3</sup>.

أما الرواية الثانية حول أصل الزركيين فيرى أصحابها أن الشيخ سعيد الزركي هو مؤسس فرع من القبيلة، وهو فرع أهل أحمد لعلي من فخذة أشتوكة، ويقول أصحاب هذا الرأي أن الزركيين ينتسبون إلى جعفر بن أبي طالب، وقد امتهن أفراد هذه القبيلة حرف الرعي حيث كانت مناطق ظعنهم من وادي درعة إلى جنوب غرب العيون<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>) Manuel Mulero Clemente: op. cit, p 88.

<sup>2</sup>) الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: الشيخ ماء العينين علماء وامراء في مواجهة الاستعمار الاوروي، ط2، جزئين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011، ج1، ص191.

<sup>3</sup>) Manuel Mulero Clemente: op. cit, p 88.

<sup>4</sup>) Ibid: p89.

## ر) يكوت

تنسب القبيلة إلى رجل يدعى يكوت حيث كان من المقرين للسلطان مولاي إسماعيل، وقد عرفت القبيلة بالرعي في مناطق هضاب الكعدة ولحميديات ومرتفعات زيني وأيدار<sup>1</sup>.

## ز) أولاد اللب

تعد القبيلة من القبائل العربية التي سكنت بلاد الساحل والصحراء، ويعود أصلهم إلى رجل يدعى "اللب بن شويخ"، هذا الأخير خلف أربعة أبناء ويتعلق الأمر بـ: أعلي بن اللب وسميت باسمه قبيلة أهل أعلي بن اللب، وبهدل جد البهادلة، وأحميدة جد أولاد أحميدة، وداود جد أولاد داود، أما الفرعين الآخرين من القبيلة (أولاد سدوم، وأولاد محمد بن أعلي) فهم من نسل سدوم أخ اللب مؤسس القبيلة، وأولاد محمد من نسل أعلي بن اللب<sup>2</sup>.

## س) توبالت

ينتسب أفراد هذه القبيلة إلى سيدي جامع حفيد سيدي أوسيدي أحد متصوفة تارودانت بالجنوب المغربي، وقد امتهنت قبيلة توبالت الرعي وكانت منتجعاتهم نواحي أخنيفيس<sup>3</sup>.

## ش) لفيكات

هي قبيلة صنهاجية تنسب إلى موسى بن افيكة، هذه الأخيرة هي امرأة كانت مع جماعة أوسعيد الزركي، لكن نزلت عند أحد خيام توبالت وأنجبت موسى الذي تنسب إليه بطون القبيلة، وقد تزوج موسى امرأة من مجاط الأمر الذي سيجعل الروابط قوية بين لفيكات ومجاط، وقد

<sup>1</sup>) Manuel Mulero Clemente: op. cit, p 89.

<sup>2</sup>) الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص200.

<sup>3</sup>) Manuel Mulero Clemente: op. cit, p 89.

اشتغل لفيكات بالصيد البحري في سواحل واد أشبيكة وكابو خوبي إلى حدود مصب واد الساقية الحمراء<sup>1</sup>.

### ص) لميار

تنسب هذه القبيلة إلى رجل يدعى الفقير المير، ويعود في أصله إلى عشيرة أولاد بن منصور من قبائل آيت المسعود، ويعتبر المير هذا أول من قدم منهم إلى الصحراء الغربية، ولميار من بين القبائل قليلة العدد إذ تتراوح أعداد خيمهم ما بين (30، 40) خيمة، حيث اشتغلوا الرعي ومناطق ظعنهم نواحي الذروة شرق أخنيفيس<sup>2</sup>.

### ض) مجاط

تنتمي عشائر القبيلة إلى بطن الجد الأول "الكرن" الذي قدم إلى الصحراء الغربية من منطقة مجاط الواقعة جنوب جبال أكردوس، وقد مارس أفراد القبيلة الصيد البحري ما بين سواحل أشبيكة شمالا والطرفاية جنوبا<sup>3</sup>.

### ط) أهل بارك الله

هي قبيلة اشتهرت بالدين والصلاح والعلم سكنوا نواحي بئر إنزران وواد الذهب<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup>) Manuel Mulero Clemente: op. cit, pp 89\_90.

<sup>2</sup>) Ibid: p 90.

<sup>3</sup>) Ibid: p 90.

<sup>4</sup>) Ibid: p 91.

## المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان الصحراء

### 1) الحياة الاجتماعية

بعد أن تعرفنا على أهم القبائل البيضانية، نحاول من خلال هذا الجزء من الدراسة تسليط الأضواء على الحياة الاجتماعية للقبائل الصحراوية ونمط عيشها، لكن قبل ذلك نعرض قليلا لتعرف على البدايات الأولى لظهور ما يسمى بالتراتبية الاجتماعية للقبائل، والتي تنقسم إلى ثمانية أقسام رئيسية، يتعلق الأمر بـ: المحاربين، الشرف، الزوايا، زناكة، لمعلمين، الإكاون، الحراطين، العبيد.

وبالعودة إلى جذور هذه الطبقة، نجد هناك اختلاف بين المؤرخين حول أصل وتاريخ هذا التقسيم، بين من يرى أنه يعود إلى "حرب شريبه"<sup>1</sup> وحركة ناصر الدين الإصلاحية أواخر القرن السابع عشر ميلادي<sup>2</sup>، فيما يرى المؤرخون البيضان أن أصل التقسيم يعود إلى القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، مرحلة حكم الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر، هذا الأخير عمل على تقسيم رجاله إلى ثلاث أقسام محاربين وزوايا ورعاة<sup>3</sup>، وفي ما يخص المميزات الخاصة بكل فئة ومجالها التراثي نذكر:

#### 1- المحاربين (حسان)

يُطلق عليهم أيضا تسمية العرب أو حسان، وتحتل هذه الفئة من القبائل هرم السلطة في المجتمع البيضاني، وقد أتاح لهم استعمال السلاح والشجاعة في الحروب، امتلاك مساحات هائلة من مناطق الرعي، إلى جانب فرض غرامات على القبائل التابعة أو اللحمية (أزناكة)، وحياة "حسان" قائمة على

<sup>1</sup> حرب شريبه: إندلعت هذه الحرب خلال سبعينات القرن السابع عشر الميلادي، في الجنوب الغربي الموريتاني بين حلفان رئيسيان هما الزوايا خاصة كونفيدرالية تشمشه تحت زعامة ناصر الدين الأمغري، والحلف الثاني ضم المغفرة خصوصا الترابزة والبراكنة وأولاد مبارك بمساندة بعض الأتباع من البافور، وكان من أهم أسباب هذه الحرب بالإضافة إلى الأسباب الدينية، هو التنافس على السلطة بين الاستقراطين الزاوية والحسانية، وقد انتهت الحرب بانتصار حلف المغفرة الذين كرسوا سيطرتهم السياسية والعسكرية على الزوايا المهزومين في الحرب، وبالتالي فإن الحرب كرس الطبقة وعجلت بظهور نظام الامارة في صحراء البيضان في القرن الثامن عشر. ينظر: محمدمو ولد محمدان: مرجع سابق، 244.

<sup>2</sup> رحال بوبريك: دراسات صحراوية، ط2، دار أبي رقرق، المغرب، 2008، صص 253\_254.

<sup>3</sup> خوليو كارو بروخا: مرجع سابق، ص54.

النهب والحروب والثأر ويرون وظائف التجارة والزراعة والرعي عيب لا يجوز للحساني القيام بها، وحسب رحال بوبريك فإن تسمية حسان تتخذ بعدا وظيفيا أكثر من ما هو سلاي<sup>1</sup>، مما يجعل مسألة النسب في التراتبية الإجتماعية غير ضروري إذا ما توفرت القوة والشجاعة والسلاح أيضا، ومن القبائل الصحراوية المحاربة نذكر: أهل تكنة الشمال، أولاد دليم الجنوب، أولاد اللب، أولاد الشويخ، الركييات، الصرنكة، "الكرة" المنضمون إلى ازركين، آيت بلا وآيت الجمل أحد فروع تكنة<sup>2</sup> (الملحق 01).

## 2- الشُرفة (البركة).

ينحدر نسل هذه الطائفة كما هو معروف من النسب الشريف، لذلك نجد أفراد هذه القبائل خصوصا الأعيان منهم يحفظون أسماء أسلافهم إلى غاية النبي صلى الله عليه وسلم، ويتميز بعض عائلات الشرفة بميزة خاصة تعرف بـ"البركة" وهي لا ترتبط بذكاء الشخص ولا بعلمه، وإنما هي هبة من الله لذلك الشخص، وهناك عائلات اشتهرت بذلك كالشيخ ماء العينين وأبنائه، والشيخ سيدي بوبكر من قبيلة فيلالة، وبعض العائلات من آيت لحسن<sup>3</sup>، وهناك بركة خاصة إن صح التعبير، تتميز بها بعض العائلات وتعرف بها في المجال الصحراوي، وكأمثلة عن ذلك نذكر:

- مثلا الأسبقية في الحديث أثناء الاجتماعات فالبركة تكون: أولاد علي ولد بلا، أهل عمر أوداود الركييات، آيت أحمد ولد لحسن، إنجورن، أما في المعارك فتكون الطلقة الأولى لأهل بوسباع، التي ينتمي إليها همو ولد بوسباع، في ما تكون الأسبقية في الحرث والزراعة لأهل داود أوعبد الله، كما أن هناك بعض أفراد قبائل البويهات من الرقييات يتميزون ببركة في هذا المجال...، ومن القبائل الصحراوية التي تنتمي إلى طبقة الأشراف هي: أهل الشيخ ماء العينين، العروسيين، الرقييات، فيلالة، توبالت، أولاد بوسبع<sup>4</sup> (الملحق 02).

<sup>1</sup> رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 155.

<sup>2</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 55.

<sup>3</sup> نفسه: ص ص 58\_62.

<sup>4</sup> نفسه: ص ص 58\_62.

### 3- الزايا (هل كتوب)

يعبر مصطلح الزوايا في المجتمع البيضاني على مجموعة اجتماعية داخل مجتمع تراي معين، أكثر مما هي مؤسسة دينية صوفية، رغم أن المجموعات (الزوايا) معروفة بطابعها السلمي وبوظائفها الدينية والأنشطة التربوية، والتي أتاحت لهم الكثير من الأتباع<sup>1</sup>، وتنقسم قبائل الزوايا إلى فئتين: زوايا الظل وهي المجموعات التي تدفع ضريبة "كافر"<sup>2</sup> نظير حمايتها، وزوايا الشمس الممتنعة عن دفع الضرائب<sup>3</sup>، الأمر الذي جعلها دون حماية، لذلك كان لزاما عليها حمل السلاح للدفاع عن نفسها من سطوة حسان ولتوسيع مجالها الترابي، رغم أن هذه الفئة من المجتمع ليس لها الحق في حمل السلاح بعد "شربيه"<sup>4</sup>، ومن القبائل الصحراوية التي تعد من الزوايا أولاد تيدرارين، أهل برك الله<sup>5</sup>.

### 4- أزناك (المحميون)

يطلق عليهم اللحمة والأصحاب، واسم أزناك حسب بابا بن الشيخ سيديا يقابل مصطلح أصناك المشتقة أيضا من صنهاج كما أشار لذلك ابن خلدون<sup>6</sup>، وفي ذات الصدد يشير باروخا "Baroja" إلى أن "أزناكن" هم سكان جزء كبير من الصحراء كانوا يتحدثون "الزناكية" وهي لغة غير العربية، وقد دخلوا في حروب مع حسان حوالي القرن الخامس عشر الميلادي، وبعد انهزامهم في معظمها أصبحوا خاضعين لنظام الغرامة نظير حمايتهم<sup>7</sup>، لذلك أصبح يطلق عليهم المحميون، ويشير بوبريك رحال إلى أن أزناك لا يحمل دلالة سلالية أو اثنية، بقدر ما يوحي بمكانة اجتماعية، وهو الأمر الذي يدل على أن كل

<sup>1</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 64.

<sup>2</sup> ضريبة كافر: هو اسم يطلق على ضريبة يقرها الشيخ عادة أو جماعة أو فرع من عائلة، وتؤديه الوحدة الاجتماعية دفعة واحدة، لشيخ القبيلة الأخرى عرفانا لها بجميل سابق أو طلبا لخدمة سابقة، وقد تؤديه عائلة لعائلة أخرى بقيمة معينة، وتقدر قيمة ضريبة كافر بـ اثنا عشر أو عشرين ناقة. ينظر خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 75.

<sup>3</sup> نفسه: ص 63.

<sup>4</sup> رحال بوبريك: مرجع سابق، صص 158\_159.

<sup>5</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 63.

<sup>6</sup> بابا بن الشيخ سيديا: تاريخ أنساب صنهاجة في موريتانيا، مخطوط، نسخة مصورة بحوزتنا، ص 03.

<sup>7</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 65.



القبائل التي تنهزم في الحروب على اختلاف انتماءاتها تصبح خاضعة لنظام الغرامة لحمايتها<sup>1</sup>. وعادة ما تشتغل القبائل المحمية بالصيد البحري والرعي، ومن القبائل الصحراوية التي كانت خاضعة للحماية نذكر: الفويكات، إمراكن، لميار، مجاط، لمنصير، (الملحق 03).

## 5- الحراطين.

يشير رحال بوبريك إلى أن الحراطين في المجتمع البيضاني، ينحدرون من العبيد الذين تم تحريرهم، إما عن طريق إعتاقهم أو شراء حريتهم، أو عن طريق الهروب من أسيادهم والاستقرار في مناطق أخرى، ويشتغل أفراد هذه الطبقة في ميادين الزراعة وتربية المواشي وحفر الآبار، وفي العادة تجد الحراطين يشتغلون عند غيرهم نظير الحصول على نسبة من المنتج<sup>2</sup>.

## 6- العبيد.

هم الرقيق الذين يجلبون من إفريقيا السوداء، إما عن طريق السلب أو تجارة الرقيق التي كانت مزدهرة في العصور الحديثة، ويشتغل العبيد عادة الأعمال الشاقة عند أسيادهم الذين يجلبونهم لذلك الغرض<sup>3</sup>.

## 7- لمعلمين.

تشير الكثير من الدراسات التي تحدثت عن حياة المجتمع البيضاني، إلى أن فئة لمعلمين تدخل ضمن فئة الطائفة المعلقة (caste)، وهي كلمة أصلها برتغالي وردت في كتابات الرحالة البرتغاليين الذين وصلوا المنطقة، وعليها بنى الكثير من الأوربيين تصورهم حول فئة لمعلمين، ومن المفاهيم التي أوردوها حول ذلك، هي مجموعات حرفية ذات أهمية ديمغرافية واجتماعية ضعيفة<sup>4</sup>، ويشير باروخا إلى أن المعلمين

<sup>1</sup> رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 163.

<sup>2</sup> نفسه: ص 165.

<sup>3</sup> نفسه: ص 165.

<sup>4</sup> صلاح الدين اركيبي: فئة لمعلمين في المجتمع القبلي البيضاني، عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد 19، 2017، ص 71.

المعلمين هم "المخريروس" باللغة الإسبانية، وهم يشتغلون عادة في صياغة الفضة والحداة والنجارة، فيما تتكفل زوجاتهم بالحرف اليدوية الدقيقة كالخياطة وغزل الصوف<sup>1</sup>، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفئة رغم مكانتها الاجتماعية، إلا أنها تبقى ذات أهمية كبيرة في مجتمع البيضان، نظرا لاحتكارها جميع الحرف اليدوية التقليدية والتي تعد عنصرا أساسيا في حياة البيضاني، أما عن أصولها فتشير الدراسات الأوروبية إلى أن لمعلمين من يهود توات، قدموا الصحراء الغربية بعد حملة المغيلي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، غير أن هذا الطرح انتقده الكثير من المؤرخين البيضانين، على غرار ولد حامدون الذي رأى أن هذه الفئة كانت في المجتمع الصحراوي قبل حملة المغيلي على اليهود، إلا أن الثابت في هذا أن لمعلمين يحسبون من المجتمع الصحراوي من حيث البنية القبلية، ولا توجد بينهم وبين القبائل الصحراوية علاقات مصاهرة<sup>2</sup>.

## 8- الإكاون والإمراكن

تحترف فئة الإكاون الغناء والموسيقى، وعادة ما يعيش أفرادها مع طبقة المحاربين، حيث يجدون بطولاتهم وينشدون مدحا في خصال القبائل الحسانية، ويعيش الإكاون على ما تمنحه العائلات الأميرية من عطايا هدايا<sup>3</sup>، أما طبقة الإمراكن فهم رُكاب البحر أو الصيادون، حيث يعيشون عادة على ما تُدره تجارة الأسماك من أرباح، أما مجالات صيدهم من وادي نون إلى ولاتة<sup>4</sup>.

## (2) الحياة السياسية والاقتصادية

### أولا: الحياة السياسية

بالرغم من حياة السبية التي كانت تعيشها قبائل الصحراء الغربية، إلا أن القبيلة كانت تخضع دائما لأحكام "العرف"، وذلك لتنظيم شؤونها وحماية الأفراد والممتلكات من جهة، ومن جهة أخرى يحدد

<sup>1</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 83.

<sup>2</sup> صلاح الدين اركبي: مرجع سابق، ص ص 71\_80.

<sup>3</sup> رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 166.

<sup>4</sup> صلاح الدين اركبي: مرجع سابق، ص 72.

"العرف" العلاقة بين القبيلة والقبائل الأخرى، أما مؤسسات تطبيق العرف في القبيلة هي مؤسسة "الجماعة" و"آيت اربعين".

#### أ) مجلس الجماعة

يرى كليمانتي أن مجلس الجماعة هو سلطة تشريعية وتنفيذية وقضائية داخل القبيلة الواحدة، حيث يتم اختيار أعضائها من بين أعيان الأفخاذ وذوي المكانة الخاصة في القبيلة<sup>1</sup>، ويشترط فيهم الذكورة والشجاعة والقدرة على حمل السلاح، وتضم الجماعة رجلاً فقيهاً مهمته توثيق الأحكام العرفية وإعطائها الصبغة الدينية، حتى ولو كان بعض تلك الأحكام غير مطابق للشرع، وبذلك تكتسب الجماعة صبغة دينية شرعية إلى جانب الصبغة السياسية والاجتماعية، وعن دورها في المجتمع الصحراوي يرى الباحث بوبريك رحال نقلاً عن علماء بيضانين، أن مجلس الجماعة يمثل في البلاد السائبة مقام السلطان في البلاد المخزنية<sup>2</sup>، والقرارات الصادرة عن الجماعة غير قابلة للنقاش، وحسب أعراف بعض القبائل قد تصل عقوبة مخالفة قرارات الجماعة إلى حد حرق الخيمة عن آخرها<sup>3</sup>.

#### ب) آيت اربعين

يطلق عليه أيضا "إنفلاسن"، "الدعامة أو الركيزة"، وهو عبارة عن مجلس تنفيذي مؤقت يضم مجموعة من الأعيان تتوفر فيهم مجموعة من الشروط على غرار الشجاعة...، وأعضاء آيت اربعين يتم اقتراحهم من قبل جماعة كل قبيلة أو فخذ وقد يكون في بعض القبائل على غرار الرقيبات مجلس الجماعة هو نفسه آيت اربعين، ولم تورد الكتابات التاريخية أسباب تسمية هذا المجلس بآيت اربعين كما أن العضوية في هذا المجلس غير دائمة، وإنما تكون مؤقتة تنتهي بمجرد حل المشكلة التي اجتمع من أجلها المجلس<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>) Manuel Mulero Clemente: op. cit, p97.

<sup>2</sup>) بوبريك رحال: مرجع سابق، ص 123.

<sup>3</sup>) خوليو كارو باروخا: دراسات صحراوية، مصدر سابق، ص 604.

<sup>4</sup>) بوبريك رحال: مرجع سابق، ص 124.

يترأس آيت اربعين المقدم هذا الأخير يتم اختياره بناء على مؤهلات وبدوره يختار أفراداً من آيت اربعين يساعده في اتخاذ قرارات المجلس<sup>1</sup>، وهذا المجلس لا ييث في القضايا الداخلية التي تكون من اختصاص الجماعة، وإنما تكون اجتماعاته في حال ما إذا تعرضت القبيلة لعدوان خارجي، أو في مناسبات هطول الأمطار وما ينجم عنها من خلافات حول توزيع الأراضي الخصبة. أما عن عدد أعضاء آيت اربعين فيختلف من قبيلة إلى أخرى ولا يشترط أن يكون عدد أعضائه أربعين عضواً<sup>2</sup>.

### ثانياً: الأنشطة الاقتصادية

لقد تميزت الحياة الاقتصادية للمجتمع الصحراوي بطابع البداوة، القائم على الترحال والتنقل من منطقة إلى أخرى، وقد كان النشاط الرعوي الذي يعد عصب الحياة للإنسان البيضاني، السبب الرئيسي في التنقل بحثاً عن الكلاً بواحات الصحراء المترامية، كما أن طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء ساهمت بدورها في التنقل وتنشيط المبادلات التجارية في المنطقة، مما أحدث ديناميكية ونشاطاً في المدن الواقعة على طرق القوافل، هذا الأمر جعل هناك تنوعاً في الأنشطة الاقتصادية لسكان الصحراء الغربية، بين النشاط الرعوي والنشاط التجاري والفلاحي.

#### 1- النشاط الرعوي

يعتبر الرعي عنصراً أساسياً في الحياة اليومية للفرد الصحراوي، إذ تقاس درجة غنى القبائل بأعداد رؤوس الماشية والإبل التي تمتلكها، ويطلق البيضان على الماعز بأنواعها إسم "أكيار"، وهناك مسميات خاصة يعتمدها البيضاني لحصر أعداد رؤوس المواشي فمثلاً بالنسبة للماعز:

- أشياه: مجموعة من ثلاثة إلى خمسة من رؤوس ماعز.
- كلفة: مجموعة من خمسة إلى عشرين رأس ماعز.
- أكز: مجموعة من عشرين إلى ثلاثين رأس ماعز.

<sup>1</sup> محمد سالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحفي: مصدر سابق، ص 76.

<sup>2</sup> رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 125.

- أغنم: مجموعة من أربعين فما فوق<sup>1</sup>.

أما الشياه أو الغنم:

- أنعاج: من رأسين إلى خمسة.

- رسل: من خمسة عشر إلى عشرين رأساً.

- لغنم نعاج: ما بين العشرين والمئة رأس<sup>2</sup>.

وتختلف أعداد الغنم والماعز من عائلة إلى أخرى، فالنسبة للعائلات التي تنتمي للقبائل الضعيفة نجدها في العادة تمتلك النوع الأول فقط "أشياه"، وقليل هي العائلات التي تمتلك رؤوس الغنم خصوصاً السلالة الإسبانية "مُرينا" التي يعتبرها البيضاوي أفضل من الماعز، حيث تبلغ قيمة رأس غنم واحد من سلالة مُرينا رأسين من الماعز، أما عن أعمارها فقد أطلق البيضان على صغير الماعز "خروف"، أما الفطام فيسمى "أويال"، وعندما يبلغ من العمر خمسة أشهر يسمى "أملس"، ويسمى "جدع" عندما يكون ثمانية أشهر، وعندما يصل السنة يسمى "ثن"، أما عند السنتين يسمى "رباع" و"أمكواشتن" عندما تصبح له ستة أسنان من المرحلة الثانية، ويطلق عليه اسم "كرح" عندما تكون له ثمانية أسنان من المرحلة الثانية<sup>3</sup>، ويكون من اللازم على الأسرة المالكة لقطع الماشية توفير الكلاء عبر توسيع مناطق طعنها، وذلك عن طريق الترحال من منطقة إلى أخرى، وتشتهر حسان بامتلاك قطعان كبيرة من رؤوس الغنم نظراً لتوفرها على السلاح، الذي يتيح لها توسيع مناطق نفوذها على حساب القبائل الأخرى.

## 2- التجارة

تتميز الصحراء الغربية بموقع جيد، أهلها لأن تكون الممر الرئيسي للقوافل التجارية، وقد ظلت الطرق التي تعبر الصحراء الممر الآمن إلى غاية القرن التاسع عشر، أين كانت تمر قبائل الشمال الإفريقي محملة بمختلف المنتجات على غرار القمح والملح والأواني الفخارية والمعدنية، إلى جانب الأقمشة ويتم

<sup>1</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص142.

<sup>2</sup> نفسه: ص143.

<sup>3</sup> نفسه: ص143.

استبدالها في أسواق السودان الغربي بالذهب والفضة وريش النعام والقردة ومختلف الحيوانات الداجنة والمفترسة أحيانا، إلى جانب تجارة العبيد التي كانت تعرف رواجاً في هذه الفترة، ومن أهم تلك القبائل قبائل صنهاجة وملتونة والطوارق، أما أشهر الطرق التي عُرفت بها الصحراء الغربية: الطريق الذي يمتد من الشمال المغربي مرورا بتيزنيت وبوزكان وفم الحصن وتندوف وبئر الخزايم والمرعيتي وعروان وتمبكتو بالسودان الغربي، أما الطريق الثاني الذي اشتهرت به الصحراء، فيمتد من سبتة وطنجة ومليلة عن طريق الساحل، ثم يتجه نحو الجنوب إلى طرفاية والعيون والداخلة، ثم إلى تشلة ويلوه ونواذيب والمغرة عند رأس مرك ونواكشوط، ثم المون ودكنة في السينغال<sup>1</sup>، هذه الطرق التجارية التي تعبر الصحراء الغربية، كان لها دور كبير في التعريف بالمنتجات الصحراوية عبر ترويجهما في الأسواق المغربية والإفريقية، وتنشيط الحركة التجارية في الأسواق المحلية من جهة، إلى جانب دور الطرق التجارية في نشر الاسلام في إفريقيا الغربية.

مع بداية التوسع الفرنسي في موريتانيا، تراجعت تجارة الملح والعبيد في الصحراء الأطلسية، وأصبحت التجارة الرائجة هي تجارة الماشية والسكر والشاي والأقمشة، أما وحدة القياس المتعارف عليها في المقايضة هي "البيص"، هذه الأخيرة عبارة عن قطعة من القماش، تُحدد قيمتها حسب جودتها، فمثلا البيصة الزرقاء الداكنة يكون طول القطعة فيها خمسة وثلاثون زراعا، أما البيصة البيضاء فيكون خمسة وأربعون زراعا<sup>2</sup>.

يقدر ثمن البيص في العيون خلال الخمسينات من القرن الـ20 بـ125 بسيطة، أما قالب السكر فيقدر بخمسة وعشرون بسيطة، ويعادل قالب سكر كأس من ورق (حبوب) الشاي، فمثلا بيص قماش يعادل خمس قوالب سكر، وتعادل خمسة كؤوس من ورق الشاي بيص قماش، أما استبدال الماشية بالقماش فتخضع لضوابط أخرى<sup>3</sup> (ملحق 04).

<sup>1</sup> نجيب زيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس، دار الامير، لبنان، 1995، صص 65\_66.

<sup>2</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 152.

<sup>3</sup> نفسه: ص 152.

### 3- الفلاحة

يحتل القطاع الفلاحي ذيل الأنشطة الاقتصادية لسكان الصحراء الغربية، وهذا راجع لطبيعة الرجل البيضاني القائمة على الترحال، لذلك نجد الأنشطة الفلاحية متمركزة في الواحات الداخلية، وفي غالب الأحيان يقوم عليها العائلات الصغيرة الضعيفة التي لا تمتلك قطعان ماشية، وإنتاجهم غالبا ما يكون زراعة معاشية كالقمح والشعير والتمور، وحسب إحصائيات باروخا سنة (1367هـ، 1948م) فقد بلغت أعداد النخيل بالعيون حوالي 264 نخلة، أما في السمارة فقد بلغت أعدادها حوالي 300 نخلة<sup>1</sup>، وهذه الأعداد الضئيلة من النخيل تدل على عدم اهتمام القبائل بهذا المجال، وفي نفس الوقت توجد بعض الغابات تشهد كثافة في أعداد النخيل، كغابة نخيل "تسكي الرمز" بحوالي 1074 نخلة، وغابة "أصفيصيفة" حوالي 560 نخلة، والساق بحوالي 392 نخلة، إلا أن ما يميز هذه الغابات أنها فوضوية، ولا تخضع للملكية أية قبيلة، أما القبائل التي اشتهرت بالزراعة العروسيين وازركيين وأولاد تيدرارين، إلى جانب الرقيبات<sup>2</sup>.

مما سبق إجمالاً نستنتج أن الموقع الجغرافي للصحراء الغربية، جعلها جزءاً من مختلف الأحداث التي كان يشهدها الغرب الإفريقي بصفه عامة، ويتجلى ذلك التأثير من خلال التسميات المختلفة التي أطلقت على المنطقة خلال جميع الحقب التاريخية، ونظراً لدور الصحراء الغربية في الربط بين إفريقيا جنوب الصحراء وبلاد المغرب، جعل البنية الاجتماعية للمجتمع الصحراوي، مزيج بين العرب والبربر والزنوج، وقد انعكس هذا الامتزاج على عادات وتقاليد وأعراف البيضان.

<sup>1</sup> (خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 165).

<sup>2</sup> (نفسه: ص 165).

## الفصل الثاني: الشيخ ماء العينين المولد والنشأة وتأسيس السمارة

- المبحث الأول: مولده ونشأته
- المبحث الثاني: استقراره بالصحراء الغربية وتأسيس مدينة السمارة
- المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والتعليمية في مدينة السمارة



## الفصل الثاني: الشيخ ماء العينين المولد والنشأة وتأسيس السمارة

لقد شهدت الثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلادي، مولد العلامة الجليل الشيخ ماء العينين القلقمي الشنقيطي، بمنطقة الحوض الشرقي الموريتاني، وقد نشأ وتعلم بها، قبل أن يستقر بالساقية الحمراء، بعد رحلته إلى الحج سنة (1274هـ/1958م)، وفي الساقية الحمراء تمكن من تأسيس قسبة السمارة، التي جعل منها داراً للإقامة وزاوية للعلم، ومركز قيادة لمقاومته الجهادية ضد الاستعمار الأجنبي.

### المبحث الأول: مولده ونشأته

(1) مولده ونسبه

1- مولده

ولد الشيخ محمد مصطفى ماء العينين بمنطقة الحوض الشرقي الموريتاني، وقد كان مولده يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شعبان (1246هـ/1831م)، حيث نشأ في حضانة أبيه وإخوته وعشيرته<sup>1</sup>، وبعد الشيخ ماء العينين الابن الثاني لأبيه محمد فاضل، أمه من طلبة العطارى وهي شعبة مرابطية في منطقة الحوض<sup>2</sup>.

2- اسمه

هناك اختلاف بسيط حول اسم الشيخ ماء العينين، بين من يسميه محمد مصطفى ماء العينين بن محمد فاضل ابن مامين، ومن يُسقط اسم محمد ويقتصر على مصطفى ماء العينين بن محمد فاضل ابن مامين، دون أن نعلم هل أُسقطت قصداً أو بطريقة عفوية، على غرار أحمد ابن

<sup>1</sup> مؤلف مجهول: ترجمة الشيخ ماء العينين، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>، 12-12-2019، ص01.

<sup>2</sup> علال الفاسي: التصوف الإسلامي في المغرب العربي، ط2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء المغرب، 2014، ص145.

الأمين الشنقيطي في ترجمته للشيخ<sup>1</sup>، أما الراجح في هذا الأمر ان اسمه محمد مصطفى ماء العينين<sup>2</sup>، كما أن من عادة سكان الصحراء خصوصا منهم المتصوفة العلماء كانوا يضيفوا إلى أسمائهم اسم محمد تبركا باسم نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، أما اسم ماء العينين هو اسم علم انتسب له ولقب إشتهر به عند أغلب علماء عصره خصوصا الأقاليم الصحراوية والمناطق المجاورة لها، وحسب ابن العتيق أن والده محمد فاضل هو من أطلق عليه "ماء العينين"<sup>3</sup>، وقد أيده في ذلك صاحب الفواكه إذ قال " وسمعتة يقول إنه قال له أبوه شيخنا الشيخ محمد فاضل رضي الله تعالى عنه، أنه سماه ماء العينين لمعنيين، أحدهما أن الناس إذا كانت تشرب الغدران وغارت عنها يبقى ماء العيون، وهي الآبار ونحوها يبقى لها تشربه لا يغور، والثاني أن ماء العيون وهي ونحوها يسقي كل شيء مر عليه على حاله، وينتفع به كل أحد وكل شجر ولغير ذلك من المعاني"<sup>4</sup>، أما كليمانتي فيرى أن والدته هي من أطلق عليه اسم "ماء العينين" تعبيرا عن حبها الشديد له<sup>5</sup>، وبغض النظر عن أصل الكنية ومن أطلقها، إلا أنها تعبر عن مدى تعلق وحب والدا الشيخ له، وقد بقي الاسم منسوب إليه إلى اليوم.

<sup>1</sup> احمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ط1، مطبعة محمد الخانجي الكتبي وشركائه، مصر، 1339هـ، ص360.

<sup>2</sup> ينظر: ماء العينين: نعت البدايات وتوصيف النهايات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د. س)، ص 02. ماء العينين ابن محمد فاضل ابن مامين: دليل الرفاق على شمس الاتفاق، تح البلمعشي احمد يكن، مطابع فضالة، المغرب، 1982، ج1، ص 06. ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل ابن مامين: المرافق على المواقف، دار ابن القيم، الرياض، (د. س)، ص11.

<sup>3</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان، مخطوط، خزانة شبينها حمداتي ماء العينين، المغرب، ص 75.

<sup>4</sup> محمد الغيث النعمة: الفواكه في كل حين من كلام شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط، نسخة ميكرو فيلم، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، رقم د1434، ص106.

<sup>5</sup> Manuel Mulero Clemente: op. cit, p 80.

### 3- نسبه

ينتسب الشيخ ماء العينين إلى أهل الطالب المختار أحد فروع القلاقمة<sup>1</sup> في منطقة الحوض، وهناك اختلاف حول نسب القبيلة، حيث يرى البعض أنهما من الأشراف الأدارسة ومؤيدو هذا النسب آل الشيخ ماء العينين وأنصارهم في الصحراء وشنقيط<sup>2</sup>، بينما يرى البعض أن أهل الطالب المختار ليسوا أشرافاً وإنما هم من قبائل أزناكة الذين كان لهم نفوذ قوي في ادرار<sup>3</sup>.

وفي مسألة النسب كتب محمد العاقب ابن مايابا الجكني، في مجمع البحرين أن نسب الشيخ يمتد إلى علي كرم الله وجهه والنسب بعد ذلك محفوظ إلى عدنان إجماعاً<sup>4</sup>، وقد ورد في كتاب دليل الرفاق على شمس الاتفاق للشيخ ماء العينين، ترتيب النسب على الشكل التالي: محمد مصطفى ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين بن أخيار بن الطالب محمد بن الجيه بن الحبيب بن علي بن محمد سليل يحي الأول بن علي بن شمس الدين الذي ينتسب إلى إدريس الأكبر<sup>5</sup>، وقد أيد أيد الأستاذ علال الفاسي هذا الرأي قائلاً: إن الطالب المختار ينتسب إلى الطالب الحبيب بن سيدي محمد بن يحي بن سيدي علي بن شمس الدين بن عبد الرحمان بن إبراهيم بن مولاي مسعود بن مولاي عثمان بن إسماعيل بن عبد الرحمان بن يوسف بن عمر بن يحي بن عبد الله بن أحمد بن إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر بن عبد الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب<sup>6</sup>، وبهذا يتبين لنا أن الشيخ ماء العينين ينتسب إلى الأشراف الأدارسة التي تنتسب إلى الصحابي الجليل علي بن ابي طالب، وقد ذكر هذا النسب متسلسلاً الشيخ الشريف مولاي أحمد

<sup>1</sup> القلاقمة أو الكلاكمة: ينتسب القلاقمة إلى مرابط تمبكتو الكبير سيدي يحي التادلي، ينتسب هذا الأخير إلى سلالة الأشراف، عرف باسم الكبير وهو لقب معروف به في تمبكتو، لكنه معروف أيضاً حسب ما أورد القلاقمة بإسم "كلكم" أو "قلقم"، لذلك أطلق الإسم على سلالته من بعده. ينظر: بول مارتى: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تر محمد محمود ودادي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2001، ص 169.

<sup>2</sup> علال الفاسي: مرجع سابق، ص 40.

<sup>3</sup> بول مارتى: دراسات حول الإسلام في موريتانيا، تر البكاي ولد عبد المالك، (د.ن)، طرابلس، 2009، ص 135.

<sup>4</sup> محمد العاقب ابن مايابا الجكني: مجمع البحرين في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط، خزانة شبيها حمداتي ماء العينين، المغرب، ص 50.

<sup>5</sup> ماء العينين ابن محمد فاضل ابن مامين: دليل الرفاق على شمس الاتفاق، مصدر سابق، ص 06.

<sup>6</sup> علال الفاسي: مرجع سابق، ص 140.

بن عبد المولى العلمي الفاسي في قصيدته الشهيرة حول نسب الشيخ ماء العينين، وقد نفى عنهم ذلك النسب الأشراف المنحدرون من نسل سيد المختار الكبير<sup>1</sup>، على اعتبار أن هؤلاء كانت بينهم وبين آل الطالب المختار صراعات حول النفوذ الديني في جنوب الصحراء<sup>2</sup>، وقد أقر بول مارتي (Paul Marty)، في دراسته نحو الفاضلية، انتساب الشيخ محمد فاضل للقلازمة<sup>3</sup>، وهو اعتراف ضمني من الغير بشرف القبيلة، ولو كان غير هذا النسب للقلازمة، لكان مارتي الأولي بذكره من غيره.

والقلازمة الأشراف ينتسبون إلى الشيخ سيدي يحيى التادلي، حيث كان لهذا الأخير رباطا في تمبكتو بالسودان الغربي عرف عند أهل السودان بالكبير ولقب أيضا بـ"كلكم" كان له نفوذ علمي كبير في بلاد السودان، وقد استقر هناك طيلة القرن الخامس عشر إلى غاية استيلاء سن علي كلن على المنطقة (1467/871م)، هنا اضطر أحفاده - أبناء علي بن شمس الدين - سيدي يحيى الصغير وبوبكر والطالب بركة، إلى هجرة تمبكتو تجاه ولاتة حوالي (1468م-1469م) أين مكثوا 18 سنة ومنها إلى النعمة حوالي (1486م/891هـ)<sup>4</sup>.

مع مطلع القرن السادس عشر توفي الشيخ سيدي يحيى الصغير في منطقة تورشين وترك ثلاثة أبناء بها ويتعلق الأمر بـ:

أ- الطالب عبد الله الذي ينتسب إليه القلازمة الحاليين.

ب- الطالب سيدي أحمد الهبية وتقتصر ذريته في محمد عبد الله بن محمد السالك بن سيدي محمد.

<sup>1</sup> سيد المختار الكبير: (1811/1729) يعد مقدم الكنتيين في تمبوكتو صاحب ضريح من بين أعظم الأضرحة في الجنوب وينحدر من نسله العديد من العائلات الشريفة، كان سيد المختار مقدم الطريقة البكاية أحد فروع القادرية في السودان، وقد اكتسبت الطريقة في عهده اشعاعا كبيرا، فأطلق على اتباعه اسم المختارية نسبة اليه. ينظر: خوليو باروخا: المرجع السابق، ص401.

<sup>2</sup> خوليو باروخا: المرجع السابق، ص404.

<sup>3</sup> Paul Marty: Les Fadelîa, Revue du Monde Musulman, tome 31°, Paris, Ernest Leroux, 1915-1916, p 157.

<sup>4</sup> بول مارتي: القبائل البيضانية، مرجع سابق، ص 169.

ج- الطالب محمد جد أهل الطالب المختار، الذين ينتمي إليهم الشيخ ماء العينين، حيث هاجر الطالب محمد بعد انفصاله عن إخوته إلى عرب المغفرة<sup>1</sup>، وهناك توفي وخلف الطالب أعلي، هذا الأخير كان له إثنان من الأبناء، يتعلق الأمر بالحبيب الملقب بالطالب محمد الحبيب وأحمد<sup>2</sup>، ويبدو أن الطالب الحبيب بن الطالب محمد مكث في المغرب الأقصى، لأننا نجد ابنه الطالب المختار الملقب بالجي، الجد الخامس للشيخ ماء العينين قد نشأ هناك أوائل القرن السابع عشر، قبل أن ينتقل إلى تمبكتو ومنها تكانت حوالي (1060هـ/1650م)<sup>3</sup>، وبعد وفاته بمنطقة العمود رجع أهله إلى منطقة الحوض واستقروا بين ولاتة وجومبوا، وإليهم تنتسب قبيلة أهل الطالب المختار<sup>4</sup>.

خلف الجيه خمسة أبناء وهم: الطالب محمد والطالب محم والفاضل والمصطف وأحمد، ما يهمننا في السلسلة هو الطالب محمد المعروف أيضا بأبي الأنوار لسعة علمه وورعه، وبعد وفاته خلف ولدين اثنين هما: عبد الله والطالب أخيار، هذا الأخير عرف بسرعة الحفظ وقوة الذاكرة قال عنه أبو بكر الولاقي "كان يحفظ مجلدات عن ظهر قلب، أصغرها مقامات الحريري..."، كما أنه عمر طويلا وخلف عشرة أبناء، لعل أبرزهم ابنه محمد الأمين المعروف بمامين<sup>5</sup>.

ولد مامين حوالي سنة (1142هـ/1730م)، ونشأ في حضانة أبويه بين إخوته وعشيرته، أخذ الأوراد عن شيخه ووالده الطالب أخيار وأجازته فيها، كما ألبسه عمامته وأخبره بسر الله فيه، كما أخذ الأسرار والحكم عن شيوخ آخرين، على غرار الشيخ المختار بن أحمد بن عثمان التنواجيوي، عرف عن الشيخ مامين بأنه كثير الأسفار، حيث سافر إلى فاس وقدم منها بمكتبة كبيرة<sup>6</sup>، وفي فاس التقى بالشيخ أحمد التيجاني الذي وقعت له معه واقعة سرد سطورها صاحب تنوير الملويين، وفي لقائه هذا عرض عليه مؤسس التيجانية طريقته التي أخذها الشيخ مامين عنه دون

<sup>1</sup> بول مارتى: القبائل البيضانية، مرجع سابق، ص ص 169\_170.

<sup>2</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج1، ص30.

<sup>3</sup> بول مارتى: القبائل البيضانية، مرجع سابق، ص 175.

<sup>4</sup> غلال الفاسي: مرجع سابق، ص 141.

<sup>5</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج1، صص 36\_37.

<sup>6</sup> نفسه: ص38.

قيد أو شرط، وكان ذلك (1211هـ / 1792م)<sup>1</sup>، توفي الشيخ مامين حوالي (1235هـ / 1814م)، وقد خلف أربعة بنات وأربعة ذكور كان أبرزهم الشيخ محمد فاضل والد الشيخ ماء العينين<sup>2</sup>.

## (2) طلبه للعلم

تلقى العلامة الجليل الشيخ مصطفى ماء العينين تعليمه في بلدة الحوض، وقد أخذ ذلك عن والده الشيخ محمد فاضل ابن مامين، قال عنه الشيخ محمد فاضل ابن الحبيب في كتابه "الضيء المستبين في حياة الشيخ ابن مامين" أن الشيخ ماء العينين قبل رحلته إلى الحج أخذ عن والده علم التفسير من معرفة ناسخه ومنسوخه، وعلم الأصول والقواعد والفروع، وعلم الحديث رواية ودراية، وأنواع العلوم العربية وأشعارها وآدابها ولغتها ونحوها، كما أخذ عنه المنطق والبيان وسائر الفنون العقلية والنقلية<sup>3</sup>. ويشير البعض من المؤرخين إلى أن الشيخ ماء العينين قد أرسله والده إلى مراكش منذ السادسة عشر من عمره ليدرس هناك، إلا أن ذلك يعد مستبعدا لأن كتب التراجم التي ترجمت له والكتب المناقبية التي كتبت في مناقبه لم تُشر إلى أنه سافر إلى مراكش قبل رحلته الحجازية.

وفي نفس السياق كتب الشيخ محمد العاقب بن مايبا الحكني عن المشارب العلمية للشيخ ماء العينين، في مؤلفه "مجمع البحرين في مناقب الشيخ ماء العينين" حيث كتب أن الشيخ ماء العينين لم يغادر محظرة والده في شنقيط لطلب العلم<sup>4</sup>، وبالتالي فإن كل علومه أخذها عن والده العلامة الجليل الشيخ محمد فاضل بن مامين، هذا الأمر يفند أيضا الادعاء القائل بتلقي الشيخ بعض علومه في رحلته الأولى للحج، وقد تخرج على يد الشيخ محمد فاضل بن مامين علماء أجلاء من

<sup>1</sup> بونا الفاضلي القلقمي: تنوير الملونين في تاريخ شيخنا شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط، مكتبة محمد بوي، أطار، موريتانيا، ص 04.

<sup>2</sup> الطالب اخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص 39.

<sup>3</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على الانفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، تح محمد بن احمد رفيق، دار ابن حزم، لبنان، 2015، ص 26.

<sup>4</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على الانفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص 27.

مختلف الجهات على غرار ابنه العالم المفسر الشيخ سعد بوه<sup>1</sup>، إلا أن الشيخ ماء العينين أخذ مجموعة من الإجازات على يد شيوخ وعلماء أجلاء. بمنطقة الحوض على غرار إجازته في القراءات من الشيخ عبد الباقي بن أحمد بن أعلي مولود الموسوي، وإجازته في مختصر خليل وبعض النصوص الفقهية، من الشيخ محمد فاضل بن الحبيب اليعقوبي<sup>2</sup>.

## 1- سند الشيخ ماء العينين في القراءات

بعد أن درس القرآن الكريم على يد والده الشيخ محمد فاضل، تمكن من أخذ الإجازة أيضا من شيخه عبد الباقي بن أحمد بن أعلي مولود في القراءات برواية الإمام نافع إمام أهل المدينة، وقد قام بدوره بإجازة العديد من طلبته ومريديه في ذلك على غرار ابنه أحمد الهيبة، وعن سنده في القراءات ذكر ابن العتيق في الأبحر المعينية أن الشيخ ماء العينين أخذ الإجازة في القراءات من:

شيخه عبد الباقي بن أحمد بن أعل مولود، وقد أخذها هذا الأخير من شيخه محمد بن الصالح بن الطالب محمود المعروف بالقريشي، الذي أخذها أيضا على شيخه محمد الطالب علي التتمزي، وقد أخذها على شيخه عبد الرحمان بن محمد، الذي أخذها على شيخه الطالب أعمار الملقب الكتزي، بدوره أخذها على شيخه سيدي التواجوي، الذي أجازها فيها شيخه مولاي سيد أحمد الحبيب الفلالي ثم اللمطي، وقرأ هذا الأخير على سيدي إبراهيم، الذي قرأ على سيدي عبد الرحمان بن القاضي الفاسي، وقد أخذها على الولي الصالح سيدي عبد الرحمان بن عبد الواحد السجلماسي، وهو أخذها عن شيخه محمد الشريف الحسيني، وقد أخذها من القاسم بن إبراهيم الدكالي، الذي أخذها على الإمام بن غازي، وبدوره أجاز من طرف شيخه أبي عبد الله عبد الرحمان الصغير، وقد أجازها فيها ابو العباس أحمد الفيلاي، الذي أخذها عن ابي عبد الله محمد الفخار، المجاز من طرف ابي العباس أحمد الزواوي، وبدوره عن ابي الحسن علي بن سلمان، الذي أجازها بن جعفر بن الزبير، الذي أخذ الإجازة عن ابي الوليد إسماعيل العطار، الذي صدره ابي بكر

<sup>1</sup> للشيخ سعد بوه العديد من المؤلفات وكتب التفسير على غرار الفيض الوهبي على آية الكرسي، وسلم الخلاص المتعلقة بصورة الإخلاص، وقد ذكرها وعدها صاحب كتاب التفسير والمفسرون في بلاد شنقيط، أما ترجمة هذا العالم تأتي أكثر تفصيلا في الفصل الخامس من هذه الدراسة. ينظر: محمد بن سيدي محمد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الامام مالك، موريتانيا، 2008، ص 333.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص 43.

حشتون، وقد أخذها عن أبي عبد الله محمد، الذي أجازها ابي بغي عن ابي محمد بن عبد الله بن عمر العرجا، الجاز من طرف أبي معشر الطبري، الذي أجازها أبي نفيس، وقد أخذها عن ابي عدي عبد العزيز بن علي بن إسحاق بن فرج عن شيخه ابي بكر بن يوسف، وأخذها الأخير عن ابي يعقوب يوسف بن يسار الأزرق، وقد أجازها فيها ابي سعيد عثمان بن سعيد المعروف بورش، عن الإمام نافع عن ابن هرمز عن ابي هريرة، عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>.

## 2- المشارب الصوفية للشيخ ماء العينين

### أ) الشيخ محمد فاضل والطريقة الفاضلية القادرية

ولد الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين في منطقة الحوض سنة (1194هـ، 1780م)، وقد نشأ وترعرع في مسقط رأسه كما تلقى تعليمه هناك على يد والده الشيخ مامين، وبعض علماء عصره على غرار الشيخ ولد محمد الكيحل<sup>2</sup>، وحسب باروخا فإن الشيخ محمد فاضل قد درس أيضا على يد المختار الكنتي الكبير شيخ الكونت في تمبكتو<sup>3</sup>، ورغم أن مارتي ينفي ذلك اعتمادا على رواية أبناء الشيخ محمد فاضل<sup>4</sup>، إلا أن الثابت أنه تأثر بالفكر الصوفي للشيخ المختار الكنتي، وتميز الشيخ محمد فاضل بسعة علمه وكثرة تأليفه التي فاقت المائة، في مختلف العلوم والفنون.

لم يغادر الشيخ محمد فاضل منطقة الحوض الشرقي، وبفضل شخصيته الفذة خلف أبوه على زعامة قبيلته، فأصبح المسؤول على تدبير شؤون أهل الطالب المختار ذوي الوزن الكبير في المنطقة، واستغل محمد فاضل الأزمة التي كان يمر بها المجتمع البيضاني في ظل هيمنة "حسان"، ليفرض نفسه كمنقذ وملاذٍ آمنٍ تأوي إليه العوائل من بطش السلاح، هذا الأمر جعل مقره يتحول من مركز ديني إلى مركزا اجتماعيا وسياسيا، وبذلك تمكن من مجابهة نفوذ الكنتيين في المنطقة، وأعاد تأسيس قبيلة أهل الطالب المختار<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ماء العينين ابن العتيق: الرحلة المعينية، تح محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 1998، ص ص 99\_100.

<sup>2</sup> ولد محمد الكيحل: ينتمي إلى قبيلة إيدوجات نواحي دائرة كومبو.

<sup>3</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 400.

<sup>4</sup> بول مارتي: دراسات حول الاسلام في موريتانيا، مرجع سابق، ص 136.

<sup>5</sup> Rahal Boubrik : Fondateur et héritiers. La gestion d'une succession confrérique (Mauritanie), Etudes El Essais, Cahiers d'Études africaines, 159, XL-3, 2000, p 433.



بعد أن تمكن من رد الاعتبار لقبيلته أهل الطالب المختار، استطاع الشيخ تأسيس طريقته الصوفية الفاضلية والتي تعتبر امتداداً للطريقة القادرية، وقد حققت الفاضلية انتشار كبيراً خصوصاً بين الزوج وأهالي منطقة الحوض الذين أصبحوا يدينون بالولاء للشيخ محمد فاضل<sup>1</sup>، وملتصم ذلك من خلال ما قال فيه صاحب منح الرب الغفور "هو القطب الرباني والغوث الصمداني، الولي الصالح ذو البركات الباهرات والكرامات الظاهرات، شيخ الأشياخ السادات، من ظهرت بركاته شرقاً، ومناقبه في الناس عجماً وعرباً، ساقى المريد وعمدة أصل التوحيد، شيخ المحققين ومربي السالكين، أبو المواهب السنية والأخلاق المرضية، والكرامات الظاهرة السيد الأسنى والذخيرة الحسنى... مشهور الولاية معظماً عند الخاصة والعامة، بلغ رتبة لم يزاحم عليها عظم صيته بما في البلاد، واشتهر فضله في العباد"<sup>2</sup>.

ومما سبق نقول أن من أسباب انتشار الطريقة الفاضلية الفتية في إفريقيا، هو رصانة ونباهة الشيخ محمد فاضل، وفهمه للعقلية الإفريقية كونه تقلد منصب المسؤول على تدبير شؤون آل الطالب المختار فمن الطبيعي أن تكون له علاقات مع مختلف القبائل، إلى جانب وزن آل الطالب المختار ذوي النسب الشريف، ومحبة الأشراف ثابتة في المجتمع الصحراوي والإفريقي بصفة عامة.

### ب) أسس الطريقة الفاضلية

تعد الطريقة الفاضلية التي وضع أسسها الشيخ محمد فاضل بن مامين امتداداً للطريقة القادرية، التي كانت تعرف انتشاراً في منطقة غرب إفريقيا، غير أن الشيخ محمد فاضل أجرى عليها بعض التغييرات خصوصاً في بعض الأذكار، لتصبح الفاضلية حلقة دينية صغيرة ضمن أسرة القادرية الكبيرة<sup>3</sup>، ومن التعديلات التي قام بها مؤسس الفاضلية نذكر:

<sup>1</sup> بول مارتى: دراسات حول الإسلام في موريتانيا، مرجع سابق، ص 137.

<sup>2</sup> أبي بكر بن محمد المصطفى: منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور، تح محمد الأمين بن حمادي، Edition Ecole normale supérieure، Lyon، 2011، ص 188.

<sup>3</sup> بول مارتى: دراسات حول الإسلام في موريتانيا، مرجع سابق، ص 137.

- بالنسبة للأذكار تردد بصوت عالي، على عكس باقي القادرية الذين يرددونها سرا، كما أن الهيللة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أصبحت بناء على تعديلات محمد فاضل تردد جهراً بشكل تدريجي.
- تكرار اسم الجلالة (الله) بشكل مستمر، مع تنهيدات عميقة، وبغية التقرب إلى الله فالتشجعات والإغماءات واردة، والهدف من ذلك ايقاظ العواطف العميقة للمريدين.
- تمكين مريدي الطريقة الفاضلية من الجمع بين أكثر من طريقة صوفية، وهي سابقة أولى من نوعها في تاريخ التصوف بالغرب الإفريقي، وحسب باروخا نقلا عن صوليه (Soleillet) فإن أتباع ولد مامين، يحفظون دعاء خاصاً يردده الفرد منهم ثلاث مرات دبر كل صلاة وهو " الحمد لله محمد رسول الله، ليلا ونهارا في الطريق في الخيمة أو في البيت، نحن دوما مع محمد فاضل وأبنائه"<sup>1</sup>.

في العاشر من محرم 1286هـ، الموافق للثالث والعشرون من أبريل 1869م، توفي الشيخ محمد فاضل بن مامين، بعد أن أعاد تأسيس وهيكله قبيلة أهل الطالب المختار، وقد ترك خلفه اثنين وخمسين ولداً وخمسين بنتاً<sup>2</sup>، إلى جانب العديد من الأتباع الذين يدينون بالولاء لطريقته الصوفية، ومن أبرز أبنائه الذين كان لهم دور كبير في نشر الطريقة الفاضلية في المغرب وغرب إفريقيا، الشيخ ماء العينين، والشيخ سعد بوه، فأما الأول استقر في الصحراء الغربية، أما سعد بوه فقد كان تنقل بين مناطق الحوض "كولاتة" و"كوش"، قبل أن يستقر به المقام بمدينة "القبلة"<sup>3</sup> وذلك بطلب من والده، وقد ساهم الشيخ سعد بوه بشكل كبير في نشر الورد الفاضلي في نواحي القبلة، والسنغال وغامبيا وغينيا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 403.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج 1، ص 39.

<sup>3</sup> القبلة أو الكبله، مدينة تقع في الجنوب الغربي الموريتاني.

<sup>4</sup> محمد الأمين ولد أن: من أعلام موريتانيا: الشيخ سعد أبيه ودوره في منطقة نهر السنغال 1265-1335هـ/ 1848-1917م، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة نواكشوط، العدد 25، 2018، صص 205\_206.

## ج) الشيخ ماء العينين والطريقة الفاضلية

قبل وفاة الشيخ محمد فاضل منح الشيخ ماء العينين الإجازة في الطريقة الفاضلية القادرية، والتي تمتد بسند صحيح إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد إستقر الشيخ ماء العينين بعد رحلة الحج نواحي الساقية الحمراء كما أشرنا سابقاً، وسيكون له دورا بارز في نشر الورد الفاضلي بصبغة معينة كما سيأتي ذكره لاحقاً.

بالعودة للسند الصوفي للطريقة الفاضلية القادرية، نجد هناك اختلافاً في السلسلة الذهبية لأشياخ الفاضلية القادرية، بين علال الفاسي من جهة، وابن العتيق من جهة، والشيخ سعد بوه ومحمد العاقب من جهة أخرى، فبالنسبة للسلسلة التي أوردها علال الفاسي هي كما يلي:

تمتد من الشيخ محمد فاضل، الذي أخذها عن والده الشيخ محمد الأمين المعروف بـ مامين، وقد أخذها عن والده الطالب أختيار، عن والده الطالب محمد أبو الأنوار، الذي أخذها عن عقبة الحضرمي عن أيوب بن أوي، عن الإمام محمد الجبلي، عن ابن عطاء الله عن ابو العباس المرسي، عن الإمام الشاذلي، عن عبد السلام بن مشيش، عن ابن عربي الحاتمي، عن السهردي، عن ابن عطاء، عن عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة<sup>1</sup>.

ويذكر ابن العتيق نقلاً عن الشيخ ماء العينين، أن الطالب محمد أبو الأنوار الذي سبق ذكره قد أخذها عن والده الجيه المختار، عن شيخه ووالده محمد الحبيب، عن شيخه ووالده محمد علي، عن شيخه ووالده سيدي محمد، عن شيخه ووالده سيدي محمد يحيى، عن شيخه ووالده محمد علي، عن شيخه ووالده محمد شمس الدين، عن شيخه عبد الرحمان السيوطي، عن شيخه الإمام الثعالبي، عن شيخه محمد بن العربي، عن شيخه ابن مرزوق التلمساني، عن شيخه ناصر الدين المشدالي، عن شيخه الإمام عبد الله البطريني عن شيخه ابي العزم الصالح ماضي بن سلطان، عن الإمام أبي الحسن الشاذلي عن عبد السلام بن مشيش عن ابن عربي الحاتمي عن السهروردي عن ابن عطاء عن عبد القادر الجيلاني عن ابو الوفا عن الشنبكي عن الشبلي عن الجنيد عن شيخه

<sup>1</sup> (علال الفاسي: مرجع سابق، ص144).

السقطي عن شيخه الكرخي، عن شيخه الطائي، عن شيخه العجمي، عن شيخه البصري، عن شيخه علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>.

أما محمد العاقب بن مايبا الحكني فقد أورد في مجمع البحرين، أن الشيخ سيدي يحي الصغير أخذها عن شيخه زروق، الذي أخذها عن عقبة الخضرامي عن علي بن أوفى، عن شيخه محمد، عن الإمام الباجلي، عن عطاء الله ويسقط أيضا من السلسلة التي ذكرها ابن العتيق كل من، الطائي والعجمي<sup>2</sup>، وهذه نفس السلسلة التي ذكرها مارتى نقلا عن الشيخ سعد بوه<sup>3</sup>.

وكتعقيب عن السلسلة الواردة في المصادر السابقة الذكر، يمكن القول أن السلسلة التي أوردها علال الفاسي غير منطقية، لأن الشيخ محمد أبو الأنوار عاش في منطقة الحوض حوالي القرن الثامن عشر، في ما عاش عقبة الخضرمي في اليمن وانتقل بعد ذلك إلى مصر وكان ذلك في القرن الخامس عشر، فلا الظرف الزماني أو المكاني يسمحان بقاء الشخصين، أما رواية محمد العاقب والشيخ سعد بوه، اللذان أوردا أن الشيخ سيدي يحي الصغير أخذها عن الشيخ زروق الفاسي، فرغم أن الرجلين عاشا في القرن الخامس عشر الميلادي، إلا أنهما عاشا في منطقتين مختلفتين، فسيدي يحي عاش في "النعمة" ومنها انتقل إلى "تورشين" أين توفي أواخر القرن الخامس عشر، أما أحمد زروق الفاسي فقد نشأ بالمغرب الأقصى، وسافر إلى مصر سنة (883هـ، 1479م) مرورا بالجزائر وليبيا، وتوفي بليبيا حوالي (899هـ، 1494م). ولم تذكر المصادر التي ترجمت له أنه سافر إلى الصحراء، لذلك تبقى السلسلة التي أوردها ابن العتيق أقرب إلى الواقع من غيرها.

## د- سند الشيخ ماء العينين في الطرق الأخرى

بالرغم من انتماء الشيخ ماء العينين إلى الطريقة القادرية، إلا أن والده الشيخ محمد فاضل أعطى للطريقة صبغة خاصة تختلف عن الطريقة القادرية الأم، فإلى جانب مسألة الجهر في قراءة الورد الفاضلي، مكن أتباعه الجمع بين أكثر من طريقة صوفية، وقد أجاز الشيخ محمد فاضل ابنه

<sup>1</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان، مصدر سابق، ص 97.

<sup>2</sup> محمد العاقب ابن مايبا الحكني: مصدر سابق، ص 116.

<sup>3</sup> بول مارتى: دراسات حول الإسلام في موريتانيا، مرجع سابق، ص 139.

ماء العينين في الطريقة الفاضلية كما ذكرنا، والطريقة الشاذلية والناصرية، والتيجانية وغيرها من الطرق التي كانت منتشرة في الصحراء.

وبالنسبة لسند أشياخه في هذه الطريقة الشاذلية والناصرية، كتب تلميذه ابن الشمس الشنقيطي نظاماً ضمنه سلسلة شيوخه في الشاذلية والناصرية بداية من:

الشيخ ماء العينين الذي أجازته والده الشيخ محمد فاضل الذي أخذها عن محمد الاعظف، عن عبد الله زين العابدين، عن شيخه سيد أحمد، عن شيخه أبيه الألمي، عن محمد بن ناصر الدرعي، عن شيخه عبد الإله بن الحسين، عن سيد أحمد ذي الخلف الحسين بنجل علي، عن سيد الغازي العلي، عن ابن عبد الله سيد اعلي، عن الشركي أحمد الملياني، عن شيخه زروق الرباني، عن ابن عقبة عن القرافي، عن شيخه بنجل عطاء الله، عن شيخه الراسي ذكر الله، عن شيخه القطب الشاذلي، إلى باقي السلسلة<sup>1</sup>،

أما سند الشيخ ماء العينين في الطريقة التيجانية، فقد أجازته فيها والده الشيخ محمد فاضل، الذي أخذها عن والده مامين، والذي أخذها من سيدي أحمد التيجاني بلا وساطة<sup>2</sup>، ومن الملاحظ أن سلسلة أشياخه في كل الطرق، بدأت بوالده الشيخ محمد فاضل الذي كان قادرياً، إلا أن علاقته بباقي الطرق كانت جيدة، وهو الأمر الذي تأثر به بنجله ومريده الشيخ ماء العينين الذي كان منفتحاً على جميع الطرق.

### هـ- نظرة الشيخ ماء العينين للتصوف وعلاقته بالطرق الصوفي

انتهج الشيخ ماء العينين في رسم علاقته مع رجالات الصوفية من غير القادريين، نهج المرونة والحوار الإيجابي، فكثيراً ما كان يجتمع في زاويته بالسمارة بعض رجال التصوف من غير القادرية في الوقت الذي كان فيه صراع بين المتصوفة<sup>3</sup>، وما كان ذلك ليحدث لولا معرفة هؤلاء المسبقة بمبدأ الشيخ ماء العينين القائم على شعار "إني مخاوي لجميع الطرق"، فلم ينكر على أحدهم

<sup>1</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان، مصدر سابق، ص 99.

<sup>2</sup> بونا الفاضلي القلقمي: مصدر سابق، ص 04.

<sup>3</sup> محمد الطريف: مساهمة الشيخ ماء العينين في توحيد الطرق الصوفية، اعمال ندوة: مدينة السمارة - الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، المغرب، فبراير 1999، ص 06.

التصوف ولم يناصر بعضهم العداء، فقد كان يحاول إرجاع سلوكياتهم للكتاب والسنة، وكثيرا ما وفق في إقناع بعض المنتسبين إلى طرق أخرى على ترك الخلافات والتنازع بالألقاب والهجاء، الذي كان سائدا بين طريقة وأخرى<sup>1</sup>.

ومما يستشف من أقواله في هذا الصدد، أنه ما دام كل سلوكيات أهل التصوف مستمدة من الكتاب والسنة، ونهج السلف الصالح فلا داعي للفرقة والتشيع، أما التسميات فلا ضير فيها إلا إذا كانت تُتخذ كسبيل للفرقة والتمييز فالأفضل أن يتم التخلي عنها، ولعل من المناسب هنا أن نشير إلى أن هذه التسميات وهذا التعدد في الطرق الصوفية، كان الوسيلة الأولى التي استغلتها الإدارة الاستعمارية بالجزائر في إطار سياسة فرق تسد، حيث تمكنت آنذاك من كسب بعض الطرق صوفية إلى صفها، وضربت بهم الطرق المناوئة لها، وبذلك قضت على شوكة المقاومة التي كانت تتزعمها الزوايا والطرق الصوفية، ويبدو أن تلك الأسباب جعلت الشيخ ماء العينين يسعى حثيثا للقضاء على أسباب الفرقة والخلاف بين هؤلاء، طبعا إلى جانب قناعاته المسبقة في علاقته الأخوية مع جميع الطرق الصوفية.

أما في علاقته مع شيوخ الطرق الصوفية الأخرى، كان الشيخ ماء العينين يجذب دائما الحوار والإقناع، مع معارضته الدائمة لأصحاب الطرق الذين يحاولون إيجاد فوارق بين المتصوفة والسلفية، حيث يرى أن الصوفية إذا كانت تقوم على ملازمة الطاعة ومحاولة إصلاح القلوب، إلى جانب تعليم الناس السلوك المستقيم بالإدمان على الطاعات والابتعاد عن الشبهات، فإن ذلك عينه عمل السلف الصالح<sup>2</sup>، ومن خلال تلك المعطيات نقول أن الشيخ ماء العينين، يحاول إثبات فرضية مفادها أن كل عالم أراد تأسيس طريقة صوفية لنفسه، يجب أن تنطلق جهوده من سابقه من السلف الصالح، وبهذا حسب رأي الشيخ لا يمكن إيجاد فوارق بين العالم الصوفي والعالم السلفي.

أما في مسألة الأوراد، فقد كان الشيخ ماء العينين يداوم على مختلف الرغائب المروية عن سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، وقد لقي انتقادا كبيرا من بعض العلماء والعامة من الناس

<sup>1</sup> حمداتي شبيها ماء العينين: الفكر السلفي عند الشيخ ماء العينين وأثره في مواجهة الاستعمار، أعمال ندوة: الحركة الجهادية في المغرب العربي - جمعية المحيط الثقافية، المغرب، 2010، ص 23.

<sup>2</sup> نفسه: ص 23.

كون الشائع عندهم إتباع نهج طريقة معينة، وقد أوضح سبب ذلك في إحدى زيارته للملك الحسن الأول سنة (1304هـ/1887م) أين ألح عليه بعض محبيه أن يحدثهم عن ذلك<sup>1</sup>، ومما أورد في هذا الأمر ما مفاده:

(... إنني لا أعلم أن طرق أهل الله إلا شيئاً واحداً، وهذا ما ورد على لساني شيخي رحمة الله عليه وألزمني عليه، ولم يحدد الشيخ محمد فاضل بن مامين فوارق بينهم، وقد كان يقتصر على تحديد مجموعة من الأوراد حتى أُلزم عليها ويحدد لي مستندها من الحديث في الكتاب الفلاني وله أسرار قد أعطاها الله لفلان ويذكر لي من تفضل الله بسره، دون يخبرني أن هذا ورد فلان أو ورد غيره حتى لا أنسب ورداً من الأوراد لشخص معين، فكل ما ورد عن رسول الله فهو للمسلمين عامة<sup>2</sup>. وقد لازم الشيخ ماء العينين على ذلك ظناً منه أن ذلك هو الشائع عند عامة المسلمين، لكن بعد خروجه عن والده وجد العالم الإسلامي ينقسم إلى ملل وطرق متعددة فهذه تنتسب لفلان والأخرى تداوم على ورد فلان، وقد عارض الشيخ تلك الطوائف وأمر تلاميذه بعدم الاعتقاد بها، دون أن يمنع أو يجبر أحد منهم على قراءة ورد وترك آخر<sup>3</sup>. وبناء على ما سبق من معطيات نستنتج أن منهج الشيخ ماء العينين في التصوف، كان ينبني على إيجاد روابط يجمع من خلالها بين السلفية والتصوف من جهة، وبين الطرق الصوفية على اختلافها من جهة أخرى، وقد تمكن من ذلك بواسطة إيضاح المبدء الذي يقوم عليه كل من التصوف والسلفية، حيث يرى أن مبدأهما واحد يقوم على اتباع منهج النبي والسلف الصالح من بعده، وبهذا تمكن من توحيد الكثير من التوجهات الصوفية والسلفية للقبائل الصحراوية.

<sup>1</sup> شبيهاً حمداتي ماء العينين، المرجع السابق، ص 24.

<sup>2</sup> نفسه: ص 24.

<sup>3</sup> نفسه: ص 24.

## المبحث الثاني: استقراره بالصحراء الغربية وتأسيس مدينة السمارة

### 1) رحلة الشيخ ماء العينين إلى الحج

بعد أن أجازته والده الشيخ محمد فاضل بن مامين في مختلف العلوم الظاهرة والباطنة، غادر الشيخ ماء العينين منطقة الحوض الشرقي متوجهاً إلى حج بيت الله، وقد خرج معه أهله وثلة من تلامذته يوم الخميس الثاني عشر<sup>1</sup> من جمادى الأولى 1274هـ، الموافق للثاني من يناير سنة 1858م، وكان يبلغ من العمر آنذاك ثمان وعشرون سنة<sup>2</sup>.

في الثالث من رجب وصل الشيخ ماء العينين إلى شنقيط، أين التقى بأخيه محمد المطصفي بن الشيخ محمد فاضل، كما إلتقى هناك بوفد من أولاد أبي السباع والأغلال وإدوعل، وقد مكث بشنقيط ليلة واحدة، قبل أن يخرج منها باتجاه وادي نون رفقة أولاد أبي السباع الذين أثنى عليهم كثيراً، وذكر الطالب أختيار أنه التقى بوفد من الرقيبات في "تيرس" يقصدون وادي نون، وأثنى عليهم أيضاً، بعد التقدير والاحترام الذي أظهره للشيخ<sup>3</sup>.

وصل الشيخ إلى وادي نون في الثالث من شعبان، ومنها توجه إلى الصويرة التي دخلها في آخر يوم من شعبان، وقد كان في نيته ركوب الباخرة باتجاه الحج رفقة الوفد المرافق له، إلا أنه وصل متأخراً عن موعد الإقلاع، وقد مكث فيها ما يقارب الخمسة عشر يوماً ينتظر الباخرة، قبل أن يهيم بلقاء السلطان في مكناس لتيسير رحلته إلى الحج، حيث توجه في منتصف رمضان إلى مراكش أين اجتمع بالقائد سيدي أحمد بن أبي ستة، هذا الأخير أوصله إلى موضع "زمور الشلح" أين التقى الشيخ ماء العينين بمحمد بن عبد الرحمان الرابع ابن السلطان مولاي عبد الرحمان<sup>4</sup>.

وعقب لقائه بمولاي محمد، قدم الشيخ على السلطان مولاي عبد الرحمان بمكناس ليلة السابع والعشرون رمضان، وقد فرح به كثيراً لما رأى منه من أدب وعلم وحسن خلق، فأكرم وفادته

<sup>1</sup> حسب محمد العاقب ابن مايايا الحكيني أنه خرج يوم 28 والعشرون من جمادى الأولى 1274هـ. ينظر: محمد العاقب: مرجع سابق، ص93.

<sup>2</sup> بوننا الفاضلي القللمي: مصدر سابق، ص04.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص56.

<sup>4</sup> محمد العاقب ابن مايايا الحكيني: مصدر سابق، ص94.



رفقة الوفد المرافق له من الشناقطة، وأرسله السلطان مولاي عبد الرحمان بعد ذلك إلى عامله بطنجة، وأمره بتجهيز الشيخ ماء العينين بما يحتاج من متاع، ومما كتب السلطان في شأن الشيخ لعامله بطنجة: "يأتيك رجل من أهل الله مثله لا يوجد اليوم، وإن وجد فهو قليل، ولا تقصر معه وقومه والمعطى لقومه إنما هو له وركبه، ولجلال فضله خدمته بيدي"<sup>1</sup>، وبعد أن استقبلهم عامل السلطان بطنجة ركب الباخرة إلى مصر ومنها إلى مكة المكرمة التي وصل إليها يوم الثاني والعشرون من ذي القعدة 1274ه<sup>2</sup> الموافق لثالث من جويلية 1858م. مما سبق نستشف أن علاقة الشيخ ماء العينين بالسلطين المغاربة لم تبدأ مع استقراره بالصحراء الغربية وتأسيس السمارة، وإنما يعود تاريخها إلى أيام حكم السلطان عبد الرحمان الذي أعجب بسعة علم الشيخ وأدبه كما سبق وأشرنا.

بعد وصوله مكة المكرمة، التقى الشيخ ماء العينين بالولي الصالح عبد الرحمان أفندي الذي حدثت له معه قصة عجيبة، أورد نصها الشيخ ماء العينين في كتابه نعت البدايات، وتحدث عنها أيضا تلميذه بن الشمس الشنقيطي، وقد لقي الشيخ ماء العينين إحتراماً وإجلالاً كبيرين من أفندي وأكرم وفادته طيلة مكوثه بمكة<sup>3</sup>، وبعد قضائه المناسك قدم المدينة المنورة في الخامس من محرم 1275ه الموافق للرابع عشر أوت 1858م، وفي الطريق بين مكة والمدينة انتشر في أوساط الحجيج وباء الكوليرا، كما ذكر الشيخ النعمة في الفواكه، أن هذا الوباء خلف الكثير من الضحايا تلك السنة، وقد مكث الشيخ في المدينة ثلاثة أيام وغادرها يوم الثامن محرم متوجها إلى مصر<sup>4</sup>.

بعد أن وصل القاهرة اتجه إلى الإسكندرية التي مكث بها حوالي ستة أشهر بعدما أصابه مرض الجدري، وبها ألف كتاب منيل المنح في النحو، وفي الإسكندرية كان له مريدين لعل أبرزهم إبراهيم الإسكندري إلى جانب أفراد من أسرة آل الشعراي<sup>5</sup>، في رحلته الأولى للحج رأى الشيخ ماء العينين التطور الذي وصلت إليه الشعوب على غرار: البواخر، والقطارات، والتيليغراف...

<sup>1</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: النفحة الاحمدية، جزئين، المطبعة الجمالية، مصر، 1383ه، ج2، ص 106.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: ترجمة للشيخ ماء العينين، مصدر سابق، ص ص 01\_02.

<sup>3</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص 66.

<sup>4</sup> مؤلف مجهول: ترجمة للشيخ ماء العينين، مصدر سابق، ص 02.

<sup>5</sup> طالب اخيار بن مامينا: مرجع سابق، ج1، ص 66.

كونه مر على مصر التي كانت تحت النفوذ البريطاني آنذاك، إلى جانب بعض إنجازات العثمانيين في المشرق، ولعل من الأمور التي أثرت في نفسية الشيخ، هو مشاهدته للعمال في قناة السويس من مختلف الأعراق والجنسيات، يعملون نفس العمل ويتقاضى العربي المسلم منهم أقل أجر<sup>1</sup>.

غادر الإسكندرية في الثامن عشر من شعبان متوجها إلى طنجة، التي دخلها في الرابع والعشرين من نفس الشهر، ومنها توجه في الثاني من رمضان إلى مكناس، والتقى بها السلطان مولاي عبد الرحمان للمرة الثانية، ثم سافر من مكناس إلى مراكش التي دخلها مطلع شوال (1275هـ/1859)<sup>2</sup>.

في مراكش التقى مع سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان الذي كان يشغل منصب خليفة السلطان هناك، وحضر معه عيد الفطر قبل أن يغادر مراكش في الثاني عشر من ذي القعدة 1275هـ، الموافق للثاني عشر جوان 1859م باتجاه أهله في منطقة الحوض<sup>3</sup>.

## 2) علاقة الشيخ ماء العينين بالقبائل الصحراوية

بعد عودة الشيخ ماء العينين من رحلته الحجية، سيبدأ في رسم علاقات جديدة في مجتمع جديد وغريب عن البيئة التي نشأ فيها، فبعد دخول الشيخ المجال الصحراوي التقى العلامة محمد الأمين بن أحمد مزيد الحكيني، الذي يعد أول طلبة الشيخ ماء العينين من قبيلة تجكانت، وقد سار هذا الأخير رفقة الشيخ باتجاه الحوض، لكنه توجه قبلها إلى تجكانت وبالضبط منطقة "إقيدي" في الشمال الشرقي الموريتاني، حيث وصلها يوم الثلاثاء الرابع من ذي الحجة (1275هـ/1859م)، وقد وجد من قبيلة تجكانت الترحاب وسعة الصدر واستقر فيهم، وقد تزوج من القبيلة بإمرأتين "أغلانة بنت الوالي" و"عيشة بنت الناجم"<sup>4</sup>، وفي تجكانت التقى الشيخ

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص66.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: ترجمة للشيخ ماء العينين، مصدر سابق، ص 02.

<sup>3</sup> بوننا الفاضلي القلقمي: مصدر سابق، ص15.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص68.

ماء العينين بالعلامة الجليل محمد المختار بلعمش<sup>1</sup> مؤسس تندوف، وقد رحب به هذا الأخير وبالغ في إكرامه لما رأى منه سعة علم وحسن خلق، ومما ورد في علاقة بن لعمش والشيخ، أن محمد المختار بنى مسجداً له بتندوف، وعندما سأله أفراد قبيلته من تجكانت عما يتمنى للمسجد، يقصدون الإمامة، قال لهم محمد المختار أتمنى له الشيخ ماء العينين إماماً<sup>2</sup>.

غادر الشيخ ماء العينين تجكانت في جمادى الأولى 1276هـ، الموافق للسادس والعشرين نوفمبر 1859م بعد أن مكث عندهم أربعة أشهر كاملة<sup>3</sup>، متوجها ناحية الحوض بعد أن علم بقدوم اثنين من إخوته إلى ادرار، وفي مروره بالساحل وجد نواحي الساقية الحمراء قبائل العروسيين وأولاد الدليم، الذين دعوه للإقامة بينهم لما رأوا منه من فضائل، وقد مكث لديهم خمسة عشر يوماً، وأكرموه بالهدايا والعطايا من إبل ولباس وغيرها، بعدها واصل طريقه باتجاه الحوض إلا أن إخوته غادروا المكان قبل قدومه، وقد كانت رحلته هذه هي الأولى إلى ادرار وأول لقاء له مع ابن عمه الشيخ محمد فاضل بن محمد بن أعبيدي<sup>4</sup>، ويبدو أن المقام قد طاب له في تجكانت نواحي تندوف لأننا نجد الشيخ ماء العينين يعود إليها ثانية في التاسع عشر من شهر رمضان سنة 1276هـ، الموافق للعاشر من أبريل 1860م، وقدم على المرابط محمد المختار بن الأعمش بتيندوف<sup>5</sup>، وقد مكث عند ابن الأعمش إماماً طيلة شهر رمضان من تلك السنة، وأسس

<sup>1</sup> محمد المختار بن الأعمش الجكني ت 1287هـ: هو محمد المختار بن الأعمش الموساني الجكني، عالماً فقيهاً وفاضلاً نجيباً، جعله الله إماماً يقتدى به في العلم والدين ومهمات الدنيا، اجتمعت فيه أمور العلم والقضاء والعدل والرئاسة، أخذ الورد القادري من شيخه سيدي محمد بن المختار الكنتي، كما أسس سنة 1858م مدينة تندوف وتداعت تجكانت لسكنائه، توفي سنة 1287هـ. ينظر: أبي بكر بن محمد المصطفى: مصدر سابق، ص 196.

<sup>2</sup> بونا الفاضلي القلقمي: مصدر سابق، ص 15.

<sup>3</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج 1، ص 70.

<sup>4</sup> محمد فاضل بن محمد بن العبيدي ت 1321هـ: عالماً فقيهاً وصوفياً بارزاً، كان له الفضل الكبير في الحركة الصوفية بادرار، أخذ أوراد عن عمه الشيخ محمد فاضل بن مامين، وتلم العلم على يد شيخه العلامة الطالب أحمد بن اطوير الجنة، توفي يوم الجمعة في السابع من ربيع الثاني 1321هـ الموافق لـ 1903م، ودفن بموضع أجريف بولاية ادرار الموريتانية. ينظر: الطالب أخيار بن الشيخ مامين، ج 1، ص 72.

<sup>5</sup> مؤلف مجهول: ترجمة للشيخ ماء العينين، مصدر سابق، ص 02.

في تندوف مكتبة كبيرة عن طريق الشراء والإهداء، هذه المكتبة ستكون النواة الأولى لمكتبة السمارة فيما بعد<sup>1</sup>.

بعد تندوف توجه الشيخ ماء العينين نواحي وادي نون أين التقى بقبائل "إدوبلال" بموضع يسمى "أزبار" وأكرموه بالهدايا والعطايا، قبل أن يتوجه نواحي "لعوينه" أين استقبلته قبيلة "إيتوسة" بقيادة قائدهم عبد الجليل بن أحمد بن إبراهيم، وقد فرح به هذا الأخير فرحا كبيرا، حتى أنه أهدها كل أملاكه، فاعتذر الشيخ ماء العينين عن ذلك، ومن لعوينه حل الشيخ بضيافة "آيت لحسن" رفقة وفده الذي أصبح يضم العشرات من الطلبة والمستضعفين، وعند وصوله مخيم القبيلة إستقبله قائد آيت لحسن إبراهيم بن أعلي بن محمد لحسن، رفقة أعيان القبيلة بقرع الطبول وإطلاق الرصاص احتفاء بحلول الشيخ عندهم، وقد تزوج منهم الشيخ ماء العينين بأخت القائد إبراهيم المعروفة بـ "العناية بنت أعلي"، ومن آيت لحسن قدم إلى قبيلة "أزوافيط" الذين استقبلوه أحسن استقبال على رأس قائدهم أعلي بن أحمد بن سالم الزفاطي الحنوسي، الذي كان أول من بايعه من القبيلة، وقد أهدوا له موضعين في "وعرون" و"أزريويله"، جعلهم زاوية لطلبة العلم وقد خصص له شيوخ القبيلة ثلث العشر كهدية تمنح له كل سنة<sup>2</sup>.

ما يلاحظ حول علاقة الشيخ مع هذه القبائل التي قدم لها، هي علاقة ود واحترام وحسن معاملة، فما من قبيلة قدم عليها إلا راودوه بالسكنى معهم والإقامة فيهم<sup>3</sup>، هذا إلى جانب حسن الاستقبال وكرم الضيافة التي حظي بها الشيخ طيلة تواجده في المنطقة ومن كافة القبائل التي زارها، كما أن أعداد المرافقين له يزداد يوما بعد يوم، ولعل ابن عمه محمد فاضل بن محمد بن أعبيدي، تفتن لهذا الأمر، لذلك نجده يشير على الشيخ ماء العينين بعد قدومه الثاني إلى أدرار، في طريقه إلى والده بالحوض، أن يرسل السلام إلى والده، وأن يعود إلى منطقة الساحل لما رأى منه من علم ونباهة، وفي المقابل رأى منطقة الساحل أحوج إليه من منطقة الحوض، وقد امتثل الشيخ ماء العينين لطلب ابن عمه، حيث أرسل أحد مريديه بالكثير من الهدايا الثمينة والنادرة إلى والده،

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص73.

<sup>2</sup> نفسه: ص ص74\_76.

<sup>3</sup> بوننا الفاضلي القللمي: مصدر سابق، ص94.

وبقي الشيخ في أدرار أين قدم عليه أحمد بن الأمير أحمد بن عيدة (أمير أدرار)، وأبناء يحيى بن عثمان الذين بايعوه وأكرموه بالعديد من الهدايا<sup>1</sup>.

غادر الشيخ ماء العينين أدرار باتجاه "تيرس"، لكل قبل ذلك حل بقبيلة "شفاغ الخطاط" سنة (1277هـ / 1860م) وتزوج منها زوجته "ميمونة بنت أحمد بن علي" وهي من البرابيش<sup>2</sup>، وبعد وصوله إلى تيرس بايعه الكثير من "أبناء اللب"، قبل أن يعود إلى أنسابه أهل أحمد بن علي، الذين مكث فيهم إلى غاية السابع عشر من ذي القعدة (1277هـ / 1860م)<sup>3</sup>.

غادر الشيخ ماء العينين أدرار باتجاه الساقية الحمراء، حيث إلتقى الشيخ سيدي محمد الكنتي الصغير<sup>4</sup> مطلع ذي الحجة (1277هـ / 1861م)، عند أقصى أرض زمور، وكان الشيخ ماء العينين في ضيافة الكنتي الصغير إلى يوم العاشر من ذي الحجة وصلى معهم العيد إماما<sup>5</sup>، قبل أن يصل الساقية الحمراء ويلتقي بقبائل "إيتوشن" و"آيت لحسن" والعروسيين الذين تزوج منهم وسكن فيهم، ثم اتجه إلى منطقة الحوض لرؤية والده سنة (1281هـ / 1865م)، ومكث عنده ليلتين ثم أمره أن يجاهد في إصلاح حال قبائل الساحل لما رأى فيه من فضائل<sup>6</sup>.

يرى رحال بوبريك أن سبب إرسال الشيخ محمد فاضل ابنه ماء العينين إلى الصحراء الغربية، لغياب سلطة دينية في الساقية الحمراء من شأنها منافسة الشيخ ماء العينين، وحتى لا يدخل في منافسة إخوته بمنطقة فقيرة من حيث الإمكانيات الاقتصادية<sup>7</sup>، بينما باروخا ذهب إلى أبعد من ذلك حيث علل سبب إقامة الشيخ ماء العينين في الساقية الحمراء، هو البحث عن سند في الشمال

<sup>1</sup> الطالب اخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص 80.

<sup>2</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص411.

<sup>3</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص83.

<sup>4</sup> محمد الكنتي الصغير ت1282هـ: هو محمد بن الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي، ويعد الابن الخامس لوالده الخليفة، حيث كان ذا مكانة علمية ودينية، وقد حاول إنشاء امارة عند بئر ام قرين والتفت حوله العديد من القبائل، بينما عارضته قبائل الرقيبات وأبناء ابي السباع.

<sup>5</sup> بوننا الفاضلي القلقمي: مصدر سابق، ص24.

<sup>6</sup> مؤلف مجهول: ترجمة للشيخ ماء العينين، مصدر سابق، ص 03.

<sup>7</sup> Rahal Boubrik: Homme de religion et de résistance au Maghreb: Maal-Aynayn(1831-1910), the Magreb review, volume24, nos 1-2, 1999,p2.

لمواجهة النفوذ الفرنسي بالجنوب، رغبة منه في تحقيق مشروعه الرامي إلى تأسيس بلدة تكون بمثابة مركز تجاري وديني وثقافي وسياسي بين وادي نون وادرار، وذلك بواسطة كسب ود عائلات أرباب القوافل<sup>1</sup>، لكن يبقى السبب الرئيسي الذي جعل الشيخ ماء العينين يستقر بالساقية الحمراء هو الترحاب والكرم الذي لقيه من القبائل الصحراوية، كما أن منطقة الساقية الحمراء آنذاك كانت منطقة خالية لا أنيس فيها، واستقرار الشيخ بها سيساهم في توسيع مجال نفوذ آل الطالب المختار خارج منطقة الحوض.

### 3) أهم الدروس المنتقاة من رحلته الأولى إلى الحج

بعد أن غادر محظرة والده بالحوض الشرقي سنة (1272هـ، 1858م) مكث في رحلته للحج حوالي أربع سنوات زار خلالها مختلف المناطق التي يمر عليها ركب الحجيج الشناقطة، ومن أهم النقاط المسجلة حول رحلته الأولى ما يلي:

- لقد ساهمت رحلة الشيخ ماء العينين إلى الحج عبر الديار المغربية في ربط أواصر العلاقة بينه وبين المخزن المغربي وذلك يظهر من خلال لقائه بالسلطان عبد الرحمان وإكرام هذا الأخير للشيخ، هذا الأمر سيكون له الأثر البالغ فيما بعد في علاقة الشيخ ماء العينين بالمخزن المغربي.
- لقد أتاحت هذه الرحلة للشيخ ماء العينين، الاطلاع على مختلف التغيرات التي يشهدها العالم العربي، ونلتمس ذلك في مستهل حديثه عن مصر حيث تكلم عن القطار الذي وصفه بسفينة البر، كما تحدث خط التيلغراف الذي أتاح لمستخدميه سهولة نقل المعلومات من منطقة إلى منطقة أبعد منها بكثير في ظرف وجيز.
- التعرف على الحياة الاجتماعية لمختلف قبائل الصحراء، والاطلاع على عادات وتقاليدها السكان، إضافة إلى العلاقة بين القبائل الصحراوية في ظل منطبق حكم السبيبة.
- كما أتاحت له رحلة الحج مجالسة العلماء والاحتكاك بهم، وقد انتفع بعلمه الكثير، وأخذ منهم الكثير. ولعل أهم ما ظفر به الشيخ هو كسب قلوب سكان الصحراء، الذين التفوا حوله للتعلم منه والتبرك به والاحتماء به من بطش العصابات التي كانت منتشرة في الصحراء الغربية آنذاك.

<sup>1</sup> (خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص413.

#### 4) استقرار الشيخ ماء العينين في الصحراء الغربية

بعد عودة الشيخ ماء العينين من الحوض إلى أهله في الساقية الحمراء، ازداد عدد تلامذته والمحيطين به، لذلك أشارت عليه زوجته "مليكة بنت الدرجة" بإقامة دار له غير بعيد من العرروسين، فأقام مقرا له في موضع "أسديمات" جوار ضريح الولي الصالح سيد أحمد لعروسي نواحي الساقية الحمراء، فكان هذا المقر أول مدرسة للشيخ ماء العينين بالصحراء واستقطبت العديد من طلبة العلم والمريدين<sup>1</sup>.

ظل الشيخ ماء العينين يظعن في المنطقة بين تيرس والساقية الحمراء، التي أصبحت أكثر نشاط وحيوية من ذي قبل، كما أن أعداد مريديه كانت في ارتفاع دائم، وبينما هو كذلك حتى جاءه خبر وفاة والده الشيخ محمد فاضل سنة (1286هـ/1870م)، ودفن بمنطقة الحوض الشرقي<sup>2</sup>، وفي مطلع سنة (1289هـ/1873م)، الموافق لـ، سافر الشيخ ماء العينين إلى مراکش للقاء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وحسب باروخا فقد كانت الزيارة تهدف إلى معالجة مجموعة من القضايا، على رأسها الحالة السياسية في الصحراء الغربية، والوضعية التي آل إليها الإسلام في المنطقة الجنوبية بعد دخول الفرنسيين لها<sup>3</sup>، أما الطالب أختيار فقد قال بأن الزيارة كانت بطلب من السلطان سيدي محمد، وقد أهدى هذا الأخير للشيخ زاوية في مراکش إلى جانب العديد من الهدايا القيمة<sup>4</sup>، وبعد عودته من المغرب الأقصى أقام مدة بـ"أسديمات"، قبل أن يتوجه إلى الحوض سنة (1293هـ/1877م) لزيارة والدته، وقد استقبله أخوه الشيخ الحضرامي خليفة والده على رئاسة أهل الطالب المختار، ومن الكرامات التي أظهرها الله على يد الشيخ بالحوض، أنه وجد والدته فاقدة البصر عاجزة على الحركة، فرد الله عليها بصرها وقامت على قدميها بعد قدومه، ومكث عندها عشرون يوما قبل أن يتوفاها الأجل، فصلى عليها وعاد إلى بلاد الساحل<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا : مرجع سابق، ج1، ص88.

<sup>2</sup> بوننا الفاضلي القلقمي: مصدر سابق، ص25.

<sup>3</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص414.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص92

<sup>5</sup> بوننا الفاضلي القلقمي: مصدر سابق، ص28.

بعد عودة الشيخ ماء العينين إلى الشمال نزل في تيرس فترة، قبل أن يتوجه إلى مراکش سنة (1304هـ/1887م)، بطلب من السلطان مولاي الحسن الذي فرح به كثيرا لتبليته الدعوة، ويبدو أن هذه الزيارة من خلال سياق الأحداث، كان الهدف منها توطيد العلاقة مع الشيخ ماء العينين الذي أصبح يحظى بمكانة كبيرة بين القبائل الصحراوية، بعد مراکش عاد الشيخ إلى تيرس ومنها توجه إلى منطقة " وادي إكرزيم " بالقرب من وادي الساقية الحمراء، ولبث هناك ست سنوات، قبل أن يتوجه إلى "وادي لبط" ويمكث فيه سنة كاملة، وفي هذه الفترة التي أعقبت قدومه من تيرس، ذاع صيته بشكل كبير حيث اهتمت عليه مختلف القبائل، وتمكن في هذه الفترة من إحياء بعض السنن التي كانت مهجورة لدى قبائل المنطقة على غرار صلاة التراويح، ومن فتواه في المسألة "أفتى الشيخ بجواز صلاة التراويح ولو بسورة واحدة"، وقد استحسنت تلك الفتوى بعض الشيوخ ممن كانوا رفقته على غرار العلامة أحمد ولد محمد سالم<sup>1</sup>، وفي ظل ازدياد عدد المحيطين به، بدأ الشيخ ماء العينين يخطط لإنشاء مدينة أو زاوية يتمكن من خلالها جمع تلامذته ومريديه، فوقع اختياره على موضع السمارة<sup>2</sup>.

نستنتج مما سبق ذكره أن رحلة الشيخ ماء العينين إلى الحج أتاحت له مجموعة من المؤهلات، تمكن بواسطتها بسط نفوذه على الصحراء، لكن تبقى مؤهلاته العلمية التي اكتسبها في الحوض الشرقي هي من صنعت الفارق، فرجاحة عقله بدت ظاهرة للسلطان مولاي عبد الرحمان الذي أكرم وفادته منذ اللقاء الأول بينهما، وقد استغل حسن العلاقة هذه ابنه مولاي محمد وحفيده مولاي الحسن، بعد اعتلائهما العرش في المغرب الأقصى، ليجعلا من الشيخ ماء العينين حليفا للمخزن في هذه المناطق السائبة، وبدوره استغل الشيخ ماء العينين هذه العلاقة، لتدعيم مركزه في الصحراء الغربية من خلال دعم المخزن له ماديا ومعنويا.

<sup>1</sup> احمد ولد محمد سالم: هو العلامة أحمد بن محمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي، عاش في القرن التاسع عشر الميلادي في اسرة معروفة بالعلم، التقى الشيخ ماء العينين وأخذ عليه. ينظر: الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص95.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص95.



## 5) تأسيس الشيخ ماء العينين لمدينة السمارة

### 1- السمارة التسمية والموقع

يُطلق اسم السمارة على إحدى مدن الصحراء الغربية، حيث تقع المدينة ضمن نطاق إقليم الساقية الحمراء في الناحية الشمالية للصحراء الغربية، يحدها شمالا إقليم طانطان، أما جنوبا فيحدها إقليم بوجدور، فيما يحدها غربا ولاية العيون، ومن الشرق الجزائر وموريتانيا، وتقع السمارة فلكيا بين خطي طول وعرض ( $11^{\circ}/26^{\circ}$ )<sup>1</sup>، أما التسمية فتشير أغلب الروايات إلى أن السمارة أخذت اسمها من نبات السمار الذي ينتشر بكثرة في المنطقة التي بنيت عليها المدينة<sup>2</sup>. ومن خلال الموقع تكون المدينة وسط معظم حواضر بلاد المغرب فهي على مقربة من تندوف التي كانت تتميز بنشاط علمي كبير، ولا تبعد كثيرا عن شنقيط مهد المحظرة الموريتانية، كما أنها غير بعيدة عن حواضر المغرب الأقصى، هذا الأمر يساهم بشكل كبير في التواصل العلمي بينها وبين تلك المناطق المذكورة خصوصا في ظل نشاط تجارة القوافل في المنطقة والتي تساعد على تنقل العلماء كما ذكرنا سابقا.

### 2- السمارة المدينة الحاضرة

مع نهاية القرن التاسع عشر كان الشيخ ماء العينين قد بلغ عمر الستين، وكان في هذه الفترة قد ذاع صيته بالمنطقة، وانتشرت حركته العلمية والإصلاحية بالصحراء الغربية، إلى جانب استقطابه للعديد من الطلبة والعائلات التي أصبحت تحتمي به، وحتى يتمكن من احتواء وتنظيم الطلبة والمريدين الذين قدموا إليه من مختلف مناطق الصحراء، بدأ يفكر في بناء قصبية تكون بمثابة مدرسة أو زاوية كبرى لإقامة وتعليم مريديه من جهة، ومكان آمن لحماية ممتلكاته من قساوة الصحراء وهجمات العصابات التي كانت منتشرة في الصحراء آنذاك<sup>3</sup>، هذه الظروف جعلت الشيخ ماء العينين قبل البناء يختار المكان المناسب لهذه المدينة الفتية، وقد تميزت بـ:

<sup>1</sup> ) Notes et Etudes Documentaires: op.cit, p05.

<sup>2</sup> حوليو كرو باروخا: مرجع سابق، ص422.

<sup>3</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص 80.

- بالنسبة لبنية المنطقة فهي واقعة على هضبة متوسطة الارتفاع مطلة على وادي سلوان، هذا الأمر سيساهم في تلطيف جو الصحراء الحار خصوصا في فصل الصيف، إضافة إلى وقوعها على مسافة بعيدة من الأطلسي سيقفل من نسبة الرطوبة التي تؤثر سلبا على كتبه ومكتبته التي في أغلبها مخطوطات.

- هذا الموقع الاستراتيجي للمدينة جعلها زاوية روحية، ومدينة ذات بعد إقتصادي بعد أن أعاد الأمن لطريق القوافل الرابط بين المغرب الأقصى وشنقيط، وبالتالي سيكون ذلك بمثابة مورد إقتصادي للمدينة.

أما عن اختيار المكان فيشير باروخا إلى أن موقع السمارة قد اختاره بعض تلامذته، لكن الشيخ تحفظ عن أمره حتى رأى في منامه رؤيا مفادها، أن موضع السمارة يحتوي على منبع غزير بالمياه، وهو المكان الأنسب لبناء القصبة<sup>1</sup>، وحسب ابن الأمين الشنقيطي، "فإن الساقية الحمراء كانت أرضا خالية لا أنيس بها لشدة الخوف ولقحولتها دائما، حتى عمرها الشيخ ماء العينين وبنى فيها الدور، وزرع بها النخيل، فسهلت المواصلات بين شنقيط وغيرها من المواضع المغاربية"<sup>2</sup>، وبناءً على الإحصائيات التي أوردها باروخا، فإن الشيخ ماء العينين قبل أن يبدأ في أشغال البناء، قام بحفر خمسن بئرا، وزرع حوالي 200 نخلة، جلب بعضها من أدرار والبعض الآخر من درعة<sup>3</sup>.

وبعد أن عمّر الشيخ ماء العينين هذه الأرض القاحلة، كتب ذلك ووثقه ليس بنية التمليك، وإنما بنية الحفاظ على حقوق من ساهموا في عمارتها (الملحق 05)، وقد شهد على ذلك بناء على ما أورد الطالب أخيار كل من: عبد الله ابن باريك الحكني، والخضرامي بن الشيخ أحمد السباعي، والشيخ سيدي امبارك السباعي، وكتبت بيد العلامة الشيخ سيدي محمد بن حامني الغلاوي<sup>4</sup>.

مع انطلاق تحضيرات البناء، لقي الشيخ ماء العينين معارضة من قبائل الرقيبات، أصحاب السبق في المنطقة، لأنهم اعتبروا إعمار المنطقة وبنائها، سببا رئيسيا في تحرك الأطماع الأجنبية نحو

<sup>1</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 422.

<sup>2</sup> أحمد ابن الأمين الشنقيطي: مصدر سابق، ص 424.

<sup>3</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 423.

<sup>4</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص 99.

هذه المناطق، التي رأوا فيها أراضي قاحلة فقير من حيث الإمكانيات، غير أن الشيخ تمكن من إقناعهم بمشروع القصبة وأهميتها بالمنطقة<sup>1</sup>، أما المواد الأولية فقد تنوعت مصادرها بين المخزن وإسبانيا، فحسب "بول مارتي" (Paul Marty) فإن التجار الكناريين نقلوا على متن السفينة الإسبانية "الكرتخينا" الكثير من مواد البناء إلى الطرفاية ومنها إلى السمارة<sup>2</sup>، ويشير أيضا "جالو بولون دياز" (Galo Bollon Diaz) إلى أن سفينة "التركي" التابعة للمخزن كانت تقوم بنقل المواد الضرورية للبناء إلى ميناء طرفاية، ويتم نقل هذه المواد من الميناء إلى السمارة عبر قافلة تضم 1200 جمل يعملون بالتناوب في ما بينهما، وقد قدرت المسافة التي تقطعها القافلة حوالي خمسة أيام<sup>3</sup>.

مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، كانت المواد الضرورية قد توفرت، وانطلقت أشغال البناء يوم الأحد 04 محرم سنة 1316هـ الموافق لـ 26 ماي 1898م، وكانت البداية على يد السيد علي الوجدي<sup>4</sup>، أما باروخا فقد أشار إلى أن البداية كانت على يد أحد المعلمين يدعى "الحسين" من أهالي "واعرون" بوادي نون، إضافة إلى معلم حماد ولد علي ولد عمر الفاسي، وهو المشرف العام على الأشغال، كما اشتغل بها أيضا معلم عبد القادر الفكيكي، أما النجارين فكان أشهرهم "سيدي امبارك ولد أحمد بها" وهو من أولاد بوسبع، وشخص آخر يدعى سيدي أحمد من قبائل الحوض، وقد أورد باروخا نقلا عن شهود عيان، أن العديد من العمال قدموا السمارة من أجل الحصول على فرصة عمل بها<sup>5</sup>.

كانت بداية الأشغال بتشييد المسجد في وسط القصبة، وقد كان يحتوي قاعة كبيرة للصلاة ومكتبة المسجد ومئذنة متوسطة الارتفاع، وتحيط بالمسجد مجمعات سكنية تضم العديد من

<sup>1</sup> (خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 423).

<sup>2</sup> Paul Marty: La Fadilia, op.cit, p159.

<sup>3</sup> (منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية اكادير: السمارة الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء، ط2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2002، ص 195).

<sup>4</sup> (مؤلف مجهول: وثيقة مخطوطة حول بناء السمارة، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com/>، 23-12-2019).

<sup>5</sup> (خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص ص 424\_428).

البيوت، أما محيط البناية فهو مخصص لغرف للطهي ومخازن للمؤونة ودار لتخزين الأسلحة، وتوجد للقصبة أربعة أبواب رئيسية من الجهات الأربعة<sup>1</sup>.

خلف محيط المدينة كانت توجد العديد من الخيم الخاصة بعائلات الطلبة والمريدين، وقد قدرها ابن الامين الشنقيطي بالألاف، خصوصا فترات الجفاف التي تصيب المنطقة أين تتحول بعض القبائل للإقامة الدائمة في حضرة الشيخ ماء العينين، وقد كانت نفقة جميع من يسكن المدينة على حساب الشيخ<sup>2</sup>.

بالنسبة لشكل القصبة فهو رباعي بأضلاع غير مستوية، حيث يبلغ طول سور الجهة الشرقية 60.13 متر، أما الغربية 57.60 مترا، والجهة الجنوبية 57.10، والسور الشمالي 54.67 متر، أما البناء فكان بالحجر والطين، وفي المداخل الأربعة للمدينة توجد أبواب خشبية متينة، وخلف كل باب منها غرفة للحارس، تكون مراقبة دائما بالتناوب بين الحرس، أما أركان المدينة فتحتوي على أبراج المراقبة<sup>3</sup> (الملحق 06).

<sup>1</sup> الطالب اخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص100.

<sup>2</sup> احمد بن الامين الشنقيطي: مصدر سابق، ص360.

<sup>3</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، صص 429\_430.

## المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والتعليمية في مدينة السمارة

### 1) الحياة الاجتماعية

نظراً لكم الهائل من الطلبة والمريدين، لم تكن تكفي السمارة لإيواء جميع الطلبة، لذلك تم تنصيب أعداد كبيرة من الخيام خارج محيط المدينة، وقد أورد أحمد بن الأمين الشنقيطي أن عدداً من يقيم معه في السمارة حوالي عشرة آلاف شخص<sup>1</sup>، وعن نفس العدد تحدث المختار السوسي في سوسة العالمة<sup>2</sup>، فيما أكد الطالب أختيار نقلا عن ابن العتيق الذي يعتبر أحد تلاميذ الشيخ أن العدد أكبر من ذلك، وقد كان عدد الأشخاص في الخيمة الواحدة ما بين اثنين إلى سبعة أشخاص، كما أن نفقة هؤلاء السكان على أصنافهم كانت على حساب الشيخ، ويضاف إلى هؤلاء السكان القاطنين، أفواجا أخرى من القبائل كانت تأتي إلى محيط السمارة أيام الجفاف<sup>3</sup>، حين تزداد الاضطرابات في الصحراء الغربية بسبب نقص الكلاء، لهذا كان على القبائل خصوصا الضعيفة منها البحث عن مستقر آمن.

وبناء على ذلك يمكن القول أن زاوية الشيخ ماء العينين بالسمارة لم تقتصر على الجانب التعليمي فقط، وإنما كان لها دور كبير في الحياة الاجتماعية بالصحراء الغربية، ويتجلى ذلك في:

- إشراف الشيخ بشكل مباشر على نفقة سكان السمارة، حيث قال في ذلك صاحب الوسيط " ورأيت منه ما حيرني لأني أفدر من معه في وادي السمارة من الساقية الحمراء بعشرة الآف شخص، ما بين أرملة، ومزمن، وصحيح البنية، وكل أصناف الناس، كل هؤلاء في أرغد عيشة كاسيا من ذلك الشيخ، ويزوج الشخص ويدفع عنه المهر ويجهز المرأة، مع حسن معاملته للجميع"<sup>4</sup>، هذا الأمر سيجعل مكانة الشيخ كبيرة لدى قبائل الصحراء فيما بعد.

- استقبال عديد القبائل الصحراوية فترات الجفاف والنفقة عليهم بعد أن يتم إحصاء أعدادهم، وقد كان له برنامجا ونظاما خاصا للضيوف الذين كانوا يأتون الزاوية يوميا، وقد فاقت

<sup>1</sup> أحمد ابن الأمين الشنقيطي: مصدر سابق، ص 360.

<sup>2</sup> محمد المختار السوسي: سوسة العالمة، مطبعة فضالة، المحمدية(المغرب)، 1960، ص140.

<sup>3</sup> الطالب اختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص103.

<sup>4</sup> أحمد بن الامين الشنقيطي: مصدر سابق، ص 360.

أعدادهم المئة وفي بعض الأحيان الألف، يقوم عليه مجموعة من الطلبة يعينهم الشيخ كل حسب مهامه<sup>1</sup>.

هذا الأمر أيضا يجعلنا نتساءل حول مصادر تمويل مدينة السمارة؟

هناك أقوال متعددة في هذا الأمر:

أ) يقول ابن الأمين في هذا الصدد أن التمويل كان يصله من السلطان المغربي كل أربعة أشهر، عن طريق مرسى "البيظ" الذي يبعد عن السمارة مسافة أربعة أيام، ولكن معظم المؤنة كانت تصله من ناحية "أكلميم" التي تبعد عن السمارة حوالي عشرة أيام، بالإضافة إلى إقليم "سانكال" و"الحنيكات" و"ادرار" عن طريق القوافل، إلا أن هذه الأخيرة كثيرا ما كانت تتعرض للإغارة خصوصا في الفترات الأولى من إقامة الشيخ ماء العينين بالسمارة<sup>2</sup>.

ب) تعد رحلات الشيخ ماء العينين إلى الشمال إحدى مصادر التمويل غير رسمية، حيث أورد المختار السوسي أن الشيخ كلما ورد على القصر السلطاني، إلا وانهالت عليه الهدايا من جميع من في القصر<sup>3</sup>.

ت) كما أن موقع المدينة كان يتيح له مصادر تمويل هامة، سواء كان الأمر عن طريق زراعة الأرض، أو بواسطة المؤنة والمساعدات والهدايا التي كانت تأتيه من بعض التجار، كون الزاوية أو المدينة بصفة عامة كانت تقع في طريق القوافل وتعتبر محطة هامة، هذا بالإضافة إلى أن الشيخ كان يملك الألاف من الإبل إلى جانب المئات من البقر وثروة كبيرة من الغنم، وبالتالي هذه المصادر تجعل مدينة السمارة تحقق أمنا غذائيا متوازنا بعض الشيء، وقد تحدث عن ذلك ابن الأمين والطالب أخيار بن مامينا، حيث أوردنا أن المدينة كانت تعيش في أرغد عيشة، لكن لعدم وجود أرقام حول كمية وحجم المساعدات التي كانت تصل الشيخ، إضافة إلى أن فترات الجفاف كانت آثارها سلبية على جميع الصحراء، يجعل الباحث يتساءل حول هل كانت تلك المساعدات كافية لسد حاجيات هذا العدد الكبير من السكان وفي فترات الجفاف؟، هذا الأمر يمكن أن نفسره

<sup>1</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص106.

<sup>2</sup> أحمد بن الامين الشنقيطي: مصدر سابق، ص 361.

<sup>3</sup> محمد المختار السوسي: المعسول، 20جزء، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء المغربية، 1961، ج4، ص 85.

تفسيراً آخر، يتمثل في تلك الكرامات والبركة التي خصها الله بالشيخ ماء العينين، كرامات عديدة تحدث عنها جل الباحثين الذين ترجموا له<sup>1</sup>، بما فيهم الكتاب الأجانب الذين كتبوا حول شخصيته<sup>2</sup>، ولو أن البعض منهم على غرار جريدة السعادة الفرنسية، فسرت هذه الكرامات على أنها شعوذة من الشيخ ماء العينين بغرض نهب الخزانة الملكية<sup>3</sup>.

بالنسبة لتنظيم المدينة، فيما يتعلق بالتلاميذ كان يكلف كل مئة (100) من المريدين يقوم عليهم مقدم، له اتصال مباشر بالشيخ أو أحد أبنائه، هذا النظام أقامه الشيخ للتنظيم والوقوف على حاجيات الألاف من مريديه، كما أن تسيير الزاوية والمدينة بصفة عامة، كان يقوم عليه طلبة من أتقى مريدي الشيخ، يختار بعضهم للإشراف على مخازن الغذاء، والبعض الآخر يشرف على مخازن الثياب، فيما يكلف البعض الآخر بالإشراف على خزانة النقود، وقد كانت العملة عبارة عن قطع ذهبية صغيرة أطلق عليها اسم "الويزة"<sup>4</sup>.

## 2) الحياة التعليمية أ) منهجه العلمي والتعليمي

كان يقوم على تأسيس مجموعة من المدارس تكون بمثابة القاعدة، قبل أن ينتقل المرید إلى المحاضر<sup>5</sup>، وتختلف المدارس في زاوية أو محضرة الشيخ ماء العينين بمجموعة من المميزات تتمثل فيما يلي:

<sup>1</sup> ينظر: احمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج1، ص ص 83\_85، ماء العينين ابن العتيق، سحر البيان في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان، مصدر سابق، ص ص 60\_74.

<sup>2</sup> ينظر: خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص ص 405\_456.

Manuel Mulero Clemente: op. cit, p p 81\_82.

<sup>3</sup> ماء العينين: جريدة السعادة، سياسية تجارية ادبية، طنجة، عدد373، 2010/06/28، ص01.

<sup>4</sup> الطالب احيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص111.

<sup>5</sup> المحاضر: هي عبارة عن مدارس اهلية طوعية قرآنية او فقهية، اشتق اسمها اللغوي من اسم المكان او الحظيرة التي تحيط بخيمة الشيخ ومصلاه وعرائش الطلبة لحمايتها من أي خطر خارجي، او مشتقة من الحظر الذي يمارسه الشيخ على طلابه لمنعهم من التحوال داخل الحي والاختلاط بأهله والانشغال بمشاغلهم الدنيوية، وتقسم المحاضر حسب المادة العلمية ومؤهلات الشيخ الى نوعين: المحاضر الفقهية والمحاضر الجامعية. ينظر: الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، 1987، ص48.

- 1) صغر سن المريدين أو المتعلمين في أغلب الأحيان، حيث يقول الشيخ في هذا الأمر "الطفل بمزلة الجلد المسلوخ، بمعنى أنه قابل لكل شيء فمن دبغه صلح ومن لا فلا، ودباغ الابن تأديبه"<sup>1</sup>.
  - 2) فردية التعليم حيث يقوم على تعليم التلاميذ فرداً أو أستاذاً واحداً، على خلاف المحاضرة التي تضم مجموعة من الأساتذة أو المشايخ.
  - 3) قسرية برامج التعليم، ويقصد به أن البرامج التعليمية في هذه الفترة في الغالب تقتصر على برامج محدودة كون التلميذ في هذه المرحلة يكون في بداية التلقين.
  - 4) أهم ما يميز مدارس الزاوية المعينية أنها لا تقتصر على التعليم القرآن والكتابة فقط مثل ما هو الحال في مدارس شنقيط، وإنما يتم إعداد برنامج موسع يتدرج فيه الطالب من تعليم القرآن وحفظه، إلى تعلم مبادئ الفقه والعقيدة.
1. مراحل التعليم في الزاوية

هناك مرحلتان:

#### 1- مرحلة ابتدائية

كان يبلغ عدد التلاميذ المئات خصص لهم الشيخ ماء العينين غرفاً خاصة، كما أن البرامج المسطر لهم كانت تهتم بالجانب التربوي أكثر من التعليمي<sup>2</sup>، وقد كان يهدف من خلال ذلك إلى تهيتهم نفسياً وعقلياً للتلقي والتعلم، لهذا نجد الشيخ يولي عناية خاصة لهؤلاء وقد كان يكلف أحد أبنائه الكبار للإشراف شخصياً على ذلك، أما بالنسبة للتلاميذ الأيتام فقد كانت إقامتهم خاصة، أين كان يهتم بهما شخصياً وقد ألف في ذلك كتاب أحكام مخالطة اليتيم<sup>3</sup>.

بالنسبة للمناهج المقررة كان أول ما يبدأ به التلميذ تعلم القرآن الكريم إلى غاية حفظه، ثم يتعلم الإملاء ورسم القرآن، ثم يدرس اللغة ومبادئ النحو<sup>4</sup>، بعدها يقرأ نظماً قصيراً في التوحيد

<sup>1</sup> محمد الغيث النعمة: مصدر سابق، ص 97.

<sup>2</sup> سوس والصحراء تواصل ثقافي وحضاري: مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، تيزنيت، 1999، ص 35.

<sup>3</sup> الطالب اخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، صص 115\_116.

<sup>4</sup> سوس والصحراء: مرجع سابق، ص 36.



والفقه " ابن عاشر"، في هذه المرحلة يكون التلميذ قد هُيئ بشكل جيد لتلقي العلوم، وبالتالي سيكون على استعداد للبداية في قراء الكتب المقررة في هذه المرحلة وتشمل:

- في السنة الأولى والثانية يقرأ رسالة ابن أبي زيد القيرواني، إلى جانب مختصر خليل في الفقه، ومنهج الزقاق إضافة إلى نظم ورفقات إمام الحرمين في أصول الفقه...
- في السنة الثالثة والرابعة يقرأ المريد، تحفة الحكام لابن عاصم، المرافق للشيخ ماء العينين، مصطلح الحديث، إلى جانب مؤلفات الشاطبي في القراءات...، كما أوكل مهمة التدريس إلى معلمين أكفأ من تلاميذه وغير تلاميذه ممن رأى فيه أهلية لأداء تلك المهام<sup>1</sup>.

## 2- مرحلة ثانوية جامعية

بعد أن يتمكن الطالب من اجتياز المرحلة الأولى يلتحق بشكل مباشر إلى المحظرة الجامعة، وبالنسبة لبرنامج هذه المرحلة يقوم على أدائه الشيخ ماء العينين بشكل مباشر، حيث يبدأ التدريس بعد صلاة الصبح بداية بتلاوة بعض الأوراد، وتختلف في هذه المرحلة طريقة التدريس عن المرحلة الابتدائية، لأن الشيخ لا يقتصر في جلسته على برنامج معين وإنما تكون الحلقة متنوعة، فمنهم من يهتم بالجانب الفقهي، ومنهم من يهتم بالتصوف، والبعض الآخر التفسير...، وقد كان الشيخ في نفس الحلقة يتطرق لتلك المواضيع، وبعدها ينتهي من تعليم الطلبة ينتقل إلى تعليم أبنائه ذكورا واناثا، وقد كان التعليم يوميا باستثناء الخميس وأيام الأعياد<sup>2</sup>.

## 2. أبرز الاساتذة

أما عن أبرز الأساتذة والشيخوخ الذين اختارهم الشيخ ماء العينين، للتدريس بزوايته بالسمارة نذكر:

الشيخ محمد سالم بن حابوس التاقاطي، وهو من تلاميذ الشيخ الأوائل، حيث أشرف على التدريس في السمارة ثم كلفه الشيخ بالإشراف على زوايته بالصويرة، ونذكر أيضا من أهم الأساتذة محمد الأمين القلقمي، وهو أيضا من تلامذة الشيخ الذين صدرهم للتدريس بزوايته، وقد

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، صص 116\_117.

<sup>2</sup> نفسه: صص 119\_120.

تخرج على يديه ماء العينين ابن العتيق صاحب سحر البيان، كما تصدر للتدريس في زاوية الشيخ بالسمارة أيضا، تلميذه ابن الشمس الشنقيطي، والحافظ ابن أمبال وهو من أشرف تيشيت، إضافة إلى محمد ابن عبد العزيز والشيخ النعمة صاحب الفواكه، والشيخ الخضرام بن الشيخ أحمد، ومحمد محمود البيضاوي، بالإضافة إلى عدد كبير من تلامذته الذين صدرهم للإشراف على تعليم الصبية<sup>1</sup>.

## ب) مكتبة الزاوية

لقد عمد الشيخ ماء العينين بإنشاء مكتبة خاصة، تضم إنتاجه العلمي والأدبي إضافة إلى الكتب التي كان تهدي إليه أو يشتريها بعدما كانت أكثر عرضة لعوامل الطبيعة القاسية، وقد اختار لها موضعا جوار المسجد على مقربة من قاعة التأليف<sup>2</sup>، وقد نالت هذه المكتبة شهرة كبيرة نظرا لغزارة الكتب بها حيث ضمت أزيد من عشرة آلاف كتاب، وعن طريقة جمع كتبها، هناك طريقتان لتزويد المكتبة بالكتب وهي:

- التأليف: حيث ضمت مؤلفات الشيخ ماء العينين إضافة إلى مؤلفات تلاميذه ومريديه، على غرار ابنه الشيخ أحمد الهيبة والشيخ مرييه ربه إلى جانب مؤلفات أحمد بن الشمس الشنقيطي ومحمد ابن إدريس القادري الصوفي وغيرهم...<sup>3</sup>.
- الشراء والإهداء: حيث كان الشيخ يهتم بشراء الكتب النادرة من مختلف العلوم والفنون، كما كانت تُهدى إليه بعض الكتب من بعض العلماء الذين ألتقى بهم وعاصرهم، وفي هذا الصدد ذكر الطالب اخيار بن الشيخ مامينا، أن الشيخ ماء العينين قام بتأسيس مكتبة كبيرة عن طريق الاهداء والشراء وذلك فترة إقامته بتندوف<sup>4</sup>، ويقول الشيخ محمد العاقب بن ماياي الحكني في حديثه عن مكتبة الشيخ " كان الشيخ ماء العينين متعلق الخاطر بالكتب، باحثا عنها ساعيا في جمعها فكان يشتري منها الأحمال الثقيلة بالأعداد الكثيرة من الإبل وغيرها في يوم واحد، حتى انتخب من صحاح الكتب مالا يكاد يحويه أحد في ملكه، وفي زمن جولاته لا يكاد يدخل قرية

<sup>1</sup> أحمد الهيبة: سراج الظلم فيما ينفع المعلم والمتعلم، تح محمد الظريف، دار ابي رقرق، الرباط، 2016، ص10.

<sup>2</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص 99.

<sup>3</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على النفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص 30.

<sup>4</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص73.

ولا يحل محله إلا وأرسل إلى ما فيها من الكتب شيئاً فشيئاً حتى يستكمل جمع ما في ذلك المحل منها ويستفيد مما تضمنته من العلوم والفوائد<sup>1</sup>.

ويذكر المختار السوسي في المعسول أن هذه المكتبة كانت من أكبر المكتبات في بلاد المغرب، حيث جمعت بين المخطوطات المشرقية والمصرية والتونسية والشنقيطية والصحراوية والسوسية والسودانية والفاشية والمكناسية وغيرها<sup>2</sup>، غير أن عوامل الزمن أتت على العديد من مخطوطاتها ولم يبق منها إلا القليل النادر ولعل من أسباب ضياع هذه المكتبة الهائلة ما يلي:

- الإستيلاء الفرنسي على السمارة، وهذا بعد حملة الضابط مورييه "Morier" على المدينة سنة 1913، أين صادرت قواته جميع أملاك السكان، بما فيها المخطوطات المتبقية وحرقت الكثير منها، وحول الجنود الفرنسيين أغلفة (أجلاد) الكتب إلى نعال لهم، والأوراق أغذية لأنعامهم وحيولهم<sup>3</sup>، وذلك بهدف محو كل ما يرتبط بالتراث المعيني العربي الإسلامي، وقد تحدث أحد الجنديين في الحملة على السمارة أن القائد الفرنسي مورييه أمر بإتلاف أعداد هائلة من الكتب، حتى أن وادي السمارة امتلاء بالأوراق والكتب<sup>4</sup>.

- الهجرة المفاجئة للشيخ ماء العينين من السمارة إلى الشمال وهذا بعد الهجوم الفرنسي على المدينة، وقد أدى ذلك إلى ضياع الكثير من المخطوطات في الطريق، إلى جانب ترك الكثير من المخطوطات هناك، أما بالنسبة للمخطوطات والكتب التي تنقل بها إلى تيزنيت، فقد اندثر العديد منها بعد وفاة الشيخ ماء العينين 1910م وانشغال أبنائه وطلبته بالمقاومة<sup>5</sup>، وقد تحدث المختار السوسي في المعسول، على أن بعض جنود الاستعمار وأعوانهم من المرتزقة، بعد احتلالهم لتيزنيت قاموا بمصادرة العديد من المخطوطات وبيع البعض منها بأبخس الأثمان<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> محمد العاقب ابن مايا الجكني: مصدر سابق، ص 154.

<sup>2</sup> محمد المختار السوسي: المعسول، 20 جزء، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء المغربية، 1961، ج 3، ص 328.

<sup>3</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج 1، ص 188.

<sup>4</sup> نفسه: ص 188.

<sup>5</sup> محمد المختار السوسي: سوسة العاملة، مصدر سابق، ص 175.

<sup>6</sup> محمد المختار السوسي: المعسول، مصدر سابق، ج 3، ص 328.

- الهجوم الإسباني على مدينة السمارة، واستلائه على ما تبقى من مخطوطات الزاوية المعينية، وقد قدرت بعض المصادر، أن عدد الكتب بلغ حجم الشاحنتين من المخطوطات والكتب النادرة والشمينة، ونقلت إلى إسبانيا ولا تزال نسخ منها في المكتبات الإسبانية<sup>1</sup>.

أما مصير ما تبقى من مكتبة الشيخ بتيزنيت، فقد حاول الشيخ محمد بن أحمد المانوزي<sup>2</sup> جمع ما تبقى منها في مكتبة " تيمكيدشت"<sup>3</sup>، حيث أرسل إلى صاحب الزاوية التيمكيديشية الشيخ الهاشمي بن الحنفي<sup>4</sup>، أن يرسل بعض طلبته إلى تيزنيت لجمع المخطوطات المنهوبة، وقد تمكن هؤلاء الطلبة من جمع مقدار عشرة أحمال بغال من الكتب، وعدد كبير من المخطوطات، وقد أوقفها الشيخ أحمد الهيبة للزاوية المذكور، أما باقي مخطوطات المكتبة المعينية التي كانت بقرية "وجان" وأكردوس نواحي تيزنيت، فقد كانت النواة الأولى للخزانة العامة بالرباط<sup>5</sup>.

## ت) أبنائه

بعد وفاة الشيخ ماء العينين ترك مجموعة من الأبناء ذكورا وإناثا نذكر منهم:

## 1- الذكور

<sup>1</sup> الطالب اخیار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص189.

<sup>2</sup> الشيخ محمد بن احمد المانوزي: أحد رجالات العلم بالقطر السوسني، حيث كان من المقربين من الشيخ احمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين فترة اقامته في اكردوس. ينظر: الطالب أخیار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص189.

<sup>3</sup> زاوية تيمكيدشت: هي إحدى زوايا السوس الأقصى بالجنوب المغربي، أسسها الشيخ أحمد بن محمد بن ابراهيم الميموني الذي استوطن تيمكيدشت سنة 1236هـ فترة حكم المولى العلوي سليمان بن محمد بن عبد الله، وقد أسس الشيخ الميموني هذه الزاوية بأمر من شيخه الولي الصالح الحاج عبد الكريم دفين "إبيغدا"، حيث انتشر صداها في كافة اقليم السوس من خلال طلبتها في جزولة، أفا، طاطة... ينظر: محمد المختار السوسي: المعسول، 20 جزء، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء المغربية، 1961، ج6، ص ص 170\_ 171.

<sup>4</sup> الشيخ الهاشمي بن الحنفي: احد علماء منطقة السوس تولى امر الزاوية التيمكيديشية بعد وفاه والده الحنفي، وقد عرف باهتمامه الكبير بالمخطوطات فكان لا يسمع بوفاة عالما أو غيره ممن يملكون خزائن إلا وأرسل الى أهله من يشتري تلك الخزانة، وبفضل هذا الاهتمام المتزايد بالمخطوطات اصبحت خزانة المكتبة من اكبر المكتبات في المغرب، توفي الشيخ الهاشمي 1346هـ. ينظر: محمد المختار السوسي: المعسول، مصدر سابق، ج3، ص ص 325\_326.

<sup>5</sup> الطالب أخیار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص190.

ابنه الشيخ محمد فاضل، الشيخ محمد مامين الملقب بـ اشبيهننا، الشيخ سيدي عثمان، الشيخ الحسن الملقب بـ حسنا، الشيخ سيدي محمد الملقب بـ سدات، الشيخ محمد تقي الله الملقب بـ محمد بوي، الشيخ طالب اخيار، الشيخ محمد نامين الملقب بـ الولي، الشيخ محمد الأعظف، الشيخ أحمد الهيبة، الشيخ سيدي مصطفى الملقب بـ مربيه ربه، الشيخ القطب، الشيخ محمد الغيث الملقب بـ الشيخ النعمة، الشيخ محمد عبد الوهاب، الشيخ الجيه، الشيخ محمد البشري، الشيخ محمد المصطفى، الشيخ محمد ابو الأنوار، الشيخ الطيب ابو بكر، الشيخ محمد الامام، الشيخ محمد إبراهيم، الشيخ محمد الزين، الشيخ محمد المعلوم، الشيخ محمد سعد أبيه<sup>1</sup>.

وقد برز من بين أبنائه الذكور، الشيخ محمد الحسن الملقب بـ "حسنا"، والشيخ أحمد الهيبة، والشيخ سيدي مصطفى الملقب بـ "مربيه ربه"، فأما الشيخ حسنا فقد قاد حركة المقاومة في حياة والده، حيث كان قائما على قيادة العمليات العسكرية في بلاد شنقيط ما بين سنتي (1908-1909م)، وقد توفي -رحمة الله عليه- (1334هـ / 1916م)، أما الشيخ أحمد الهيبة فقد عين خليفة لوالده وقاد عملية الجهاد من سنة 1910م، إلى غاية وفاته سنة 1919م، ليخلفه بعد ذلك الشيخ مربيه ربه كخليفه ماء العينين وقائدا للمقاومة منذ 1919م، إلى غاية وفاته سنة 1934م<sup>2</sup>.

## 2- الإناث

ابنته فاطمة المكناة بأُم الفضل، أٌخديجتنا، العالية، سعادات، ميمونة، منة، ربيعة، لالة أم الخير، سعاد، مريم الطاهرة، لالة مينة، الأيية، ءامنة الشفاء، حانيد، المأمونة بحجب بوها، الرفعة، تربان، السنية، فاطمة الغالية، فاطمة الحرة، فاطمة الملقبة بالسيدة أُمي<sup>3</sup>.

### ث - ثناء العلماء عليه

يحتل الشيخ ماء العينين مكانة مرموقة بين قبائل الصحراء، هذه المكانة اكتسبها الشيخ قبل أن يقيم بالصحراء الغربية، حيث كانت جل قبائل الصحراء خصوصا أولئك الذين كانت تربطهم

<sup>1</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان، مصدر سابق، ص ص 99\_122.

<sup>2</sup> محمد المختار السوسي: المعسول، مصدر سابق، ج4، ص ص 101\_264.

<sup>3</sup> ماء العينين ابن العتيق: مصدر سابق، ص ص 122\_127.

علاقات جيدة مع الشيخ محمد فاضل وآل الطالب المختار بصفة عامة تجل وتحترم الشيخ ماء العينين، يمكن أن نلتمس مكانة الشيخ بين قبائل الصحراء من خلال الترحاب الواسع الذي لقيه أثناء عودته من الحج، ومروره عبر الساحل نواحي الساقية الحمراء أين التقى بأبناء الدليم والعروسيين الذين دعوه للإقامة معهم، ويقول صاحب مخطوط ترجمة الشيخ ماء العينين في هذا الصدد: إن الشيخ ما رأى أحداً في سفره من الحجاز إلى الصحراء الغربية إلا وراوده بالسكنى معه<sup>1</sup>، هذه المكانة جعلت الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء وغيرهم يمتدحونه وينظمون الأشعار في الثناء عليه.

وقد امتدح الشيخ ماء العينين وأثنى عليه مجموعة من العلماء على غرار الشيخ محمد عبد الله بن مختار بن تكرر الذي يعد في الأصل أحد تلاميذ الشيخ، ومما أورد في مدح أستاذه " فلما كان القرن الرابع عشر الهجري بعث الله على رأسه شيخنا الشيخ ماء العينين بن الشيخ المجدد محمد فاضل بن مامين فكان مجدد الدين، وما قلت ذلك تعصبا مني ولا تشيعا بخبطة عشواء، لأن العلم لا يثبت بذلك وإنما يثبت بالتحري والصدق فلعنة الله على الكاذبين، وأعوذ بالله من الإطراء بالكذب، بل إنما قلت أنه مجدد بتبصر وإمعان طويل وصحبة كاشفة لا لبس فيها"، كما أثنى عليه صاحب معجم الشيوخ قائلا " وأخباره في العلم والطريق واسعة تحتاج إلى مؤلف خاص"<sup>2</sup>، وقد قال عنه الشيخ العلامة محمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية "...انتشرت أياديه انتشار الكواكب المستنيرة، صاحب التآلف الكثيرة والكرامات الظاهرة الأثيرة العلامة المشارك الذي لا يداركه في علومه من أهل عصره متدارك"<sup>3</sup>، وقد جمع الشيخ النعمة كل الأشعار التي امتدحه الشعراء بها في كتاب ضم مجلدين، حيث فاقت أعداد المادحين خمسمئة وعشرون "520" شاعراً<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مؤلف مجهول: ترجمة الشيخ ماء العينين، مصدر السابق، ص 02.

<sup>2</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على الانفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص 27.

<sup>3</sup> محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349، ص 433.

<sup>4</sup> محمد المختار السوسي: المعسول، مصدر سابق، ج 4، ص 85.

في ختام هذا الفصل من الدراسة نستشف أن معالم الحركة الإصلاحية للشيخ ماء العينين، بدأت تتضح في الفترة التي تصدر للتدريس بمحاضرة والده بمنطقة الحوض، وبناء على المعطيات السابقة فإن الجهود الإصلاحية للشيخ قامت على أربعة عناصر أساسية تتمثل في:

- توفير أرضية جيدة لطرح مشروعه الإصلاحي، وذلك بالوقوف في وجه البدع السيئة التي كانت منتشرة بين البيضان، عن طريق إصدار الفتاوي الفقهية، ونشر التعليم بين كافة الشرائح الإجتماعية، وقد ساعده في هذا الأمر تكوينه الجيد وإحاطته بجميع علوم عصره.
- كسب ود وصدقة المخزن المغربي، عن طريق إقامة علاقات جيدة مع سلاطين المغرب الأقصى، وقد تمكن من ذلك فترة رحلته للحج سنة (1274هـ/1858م)، إلى جانب إقامة علاقات متميزة مع القبائل الصحراوية (المنعلقة على نفسها)، وقد تمكن من ضمان ولائها أثناء عودته من رحلة الحج، وبهذا يكون الشيخ ماء العينين قد تمكن من إعداد البيئة المناسبة لمشروعه الإصلاحي في الصحراء الغربية.
- اعتماد شعار "إني مخاوي" في نشر الفكر الصوفي الفاضلي، وضمان الكثير من الأتباع لطريقته الصوفية، وقد تمكن بذلك من استمالة العديد من مريدي الطرق الأخرى التي كانت منتشرة بين مجتمع الصحراء آنذاك.
- إعادة بعث الأنشطة الاقتصادية والتجارية، في المنطقة التي أضحت أكثر أمنا واستقرار من ذي قبل.

### الفصل الثالث: تلاميذه وإجازاته.

- المبحث الأول: تلاميذه ومريدوه من الأقاليم الصحراوية.
- المبحث الثاني: تلاميذه ومريدوه من باقي مناطق إفريقيا والعالم.
- المبحث الثالث: جهود تلاميذ الشيخ في الحركة العلمية بالمغرب الأقصى وإفريقيا الغربية.



## الفصل الثالث: تلاميذه وإجازاته

من بين الأشكال التي تعبر عن الجهود العلمية للشيخ ماء العينين، ذلك الكم الهائل من التلاميذ الذين تتلمذوا على يده، وصدر معظمهم إلى الأقاليم المجاورة شرقا وغربا شمالا وجنوبا، حيث نحاول في هذا الفصل من هذه الدراسة الحديث عن تلاميذ الشيخ ماء العينين، وذلك عبر ترجمه موجزة لبعض مريديه، كما خصصنا مبحث للحديث عن الجهود العلمية لتلامذته الذين صدرهم إلى المغرب الأقصى وشنقيط والمناطق المجاورة.

### المبحث الأول: تلاميذه ومريده من الأقاليم الصحراوية.

بعد أن نشأ وتعلم في محضرة والده بالحوض الشرقي، وأخذ الإجازة في الكثير من العلوم والفنون هناك، بدأت رحلة الشيخ ماء العينين التعليمية في سن مبكرة، حيث تصدر للتدريس في محضرة والده بالحوض ولم يتجاوز السن الثامن عشر، وذلك قبل أن ينطلق في رحلته للحج سنة 1859م، وقد احتك به الكثير من الطلبة والمريدين قبل أن يستقر بزوايته الفتية بمدينة السمارة نهاية القرن التاسع عشر وبداية من القرن العشرين، وقد تخرج على يده علماء ومشايخ أجلاء من المغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا.

### 1- الشيخ سيديا الصحراوي:

ينتسب الشيخ سيديا بن الشيخ أحمدو بن سليمان، إلى السلالة البكرية التميمية وهم من العرب الذين قدموا إلى الصحراء الغربية، وقد أخذ مبادئ العلوم عن أخيه الشيخ محمد ثم أخذ عن الشيخ "يخظيه"، ثم رحل إلى السمارة هروبا من الإحتلال ونزل عند الشيخ ماء العينين<sup>1</sup>، وقد لازم الشيخ في زاويته بالسمارة، حتى أنه هاجر معه إلى تيزنيت ولازمه إلى غاية وفاة الشيخ بها سنة 1910م. وقد أخذ عن الشيخ عدة علوم على غرار علم الأصول والأدب توفي سنة (1373هـ/1954م)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد المختار السوسي: المعسول، مصدر سابق، ج3، ص 26.

<sup>2</sup> احياء بن مسعود الطالبي: التراث الاصولي بالجنوب الغربي دراسة في المصادر والمناهج، مركز الدراسات والابحاث واهياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، 2012، ص343.

## 2- سيدي هيبة.

هو العالم المجاهد الشيخ سيدي هيبة بن محمد بن محمد المختار بن عبد الرحمان بن الطالب أخيار بن محمد بن الجيه المختار، وهو ابن أخت الشيخ ماء العينين السيدة لالة أم الخير بنت الشيخ محمد فاضل بن مامين، نشأ عند خاله الشيخ ماء العينين، وتلمذ على يديه ومكث معه حوالي عشرون سنة، وقد أجازته الشيخ في الكثير من العلوم وصدرة، حيث سكن في أول الأمر بين تيرس وأدرار، وفي هذه المنطقة قدم عليه الكثير من الطلاب الذين أخذوا عليه وانتفعوا به، وبعد دخول الإستعمار أدرار وهجرة الشيخ إلى تيزنيت، قدم عليه في تيزنيت وأمضى معه مدة قصيرة، قبل أن يغادر المدينة باتجاه أدرار ومعه كمية من الأسلحة والذخيرة، توفي -رحمة الله عليه- سنة (1353هـ / 1935م)<sup>1</sup>.

## 3- أحمد البرناوي بن علي:

هو أحمد البرناوي بن علي بن أحمد البرناوي بن سيدي عبد الله بن الفاضل بن برك الله الشمشوي، لازم رباط الشيخ ماء العينين طويلاً، واشتهر من بين تلاميذ الشيخ بخطه الجميل، إلى جانب تضلعه في الفقه، كلف من قبل الشيخ ماء العينين بمهام التوثيق خصوصاً ما تعلق بتوثيق عقود الزواج والطلاق وعقود البيوع...، وقد صاهر شيخه وتزوج ابنته سعاد وأنجبت له "ماء العينين أصبي"<sup>2</sup> الشاعر المعروف، وللشيخ أحمد البرناوي تأليف في العقيدة "مجهول العنوان"، توفي في العشرية الأولى من القرن العشرين، ودفن بالسمارة وصلى عليه الشيخ ماء العينين وأثنى عليه<sup>3</sup>.

## 4- أحمد بن محمد المجلسي:

هو أحمد بن محمد بن محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد المجلسي، ولد سنة (1239هـ، 1824م) ونشأ في عائلته أين أخذ العلم عن والده وبرع في الفقه والنحو وعلم الكلام والأدب، كلف

<sup>1</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج1، ص355.

<sup>2</sup> ماء العينين أصبي: والده أحمد بن علي البرناوي وحفيد الشيخ ماء العينين، كان عالماً مشاركاً وشاعراً لغوياً له مجموعة من القصائد الشعرية توجد نسخ منها في خزنة الشيخ بوننا بن الشيخ طالب أخيار توفي 1914م. ينظر: الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج 01، ص 236.

<sup>3</sup> نفسه: ص 236.

بالتدريس في مدرسة والده التي كانت مكتظة بالطلبة والمريدين، وهو الأمر الذي ساهم في بروزه أكثر حتى أصبح يلقب بإمام زمانه وعلامة وقته، كان باراً بوالديه وورعاً قال عنه الشيخ النعمة في الأبحر المعينية "إنه لم يتبايع قط مع جاهل بأحكام البيع"، قدم أول مرة على الشيخ ماء العينين فترة إقامته في "تيرس" وتردد عليه مرات عديدة، وقد أخذ عن الشيخ أوراد الطريقة القادرية وعلم السلوك والتربية<sup>1</sup>، وقد امتدح شيخه الشيخ ماء العينين في قصيدة يقول في مطلعها

سرى طيف من يهوى فعاوده الجهل\* وثار لمسراه الوسواس والخبل

فدع عنك ذا واذكر بلاء مشايخ\* بذكرهم سحب السعادة تنهل

فمدحهم غــــنم وحبهم هدى\* وخدمتهم زين وصحبتهم فضل<sup>2</sup>.

#### 5- أحمد بن حبيب الله اليعقوبي:

إن أهم ما ميز هذا العالم أنه نهل من عند الشيخ ماء العينين وابنه العلامة أحمد الهيبة، لقب بأحمد الأنوار حيث كان من المقربين من الشيخ وكثير ما كلف بمهام الرعي، عرف عنه سرعة الحفظ وكثرة الاستحضار للنصوص، كما أن له مناظرات علمية مع علماء زمنه، توفي في العقد الثاني من القرن العشرين<sup>3</sup>.

#### 6- بارك الله بن العتيق الشمشوي:

حيث يعد العلامة بارك الله بن العتيق بن بارك الله بن مولود من بين طلبة الشيخ الأوائل، حيث قدم على الشيخ ماء العينين لتلقي العلم فترة إقامة هذا الأخير في تيرس، وانتفع به الكثير من

<sup>1</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 01، ص ص 256 \_ 257.

<sup>2</sup> نفسه: ص 257.

<sup>3</sup> نفسه: ص 238.

أهله وعامة الناس<sup>1</sup>، قال عنه ابن الشمس في النفحة الاحمدية " كان من أهل الصدق والإستقامة كثير الذكر والتلاوة"<sup>2</sup>.

#### 7- أحمد بن عبد الله الشمشوي:

هو العلامة المشارك أحمد بن عبد الله بن محمد بن سيدي عبد الله بن الفاضل بن بارك الله الشمشوي، كان من أبرز رجالات العلم كثير الذكر والقراءة، قال عنه ابن الشمس إنه سُقي التربية واكمل وقت مجيئه، أتى الشيخ ماء العينين إلى رباطه بالسمارة رفقة إخوته محمد الأمين ومحمد مؤمل وأخذوا عنه علوما عدة أبرزها التصوف<sup>3</sup>.

#### 8- محمد الأمين بن محمد محمود.

هو الشيخ النقي الطاهر التقي الشريف محمد الأمين بن محمد محمود الملقب بـ"بد"، كان والده محمد محمود صاحب كرامات ظاهرة وولي صالح لدى الصحراويين، تلقى محمد الأمين تعليمه على يد الشيخ أحمد بن محمد سالم، كما كان ملازما له أينما حل، وبعد وفاة هذا الأخير، قدم محمد الأمين على الشيخ ماء العينين وأخذ عنه الطريقة وأجازه فيها، ثم رجع إلى أهله وانتفع به الكثير من الناس، قبل أن يعود مرة أخرى إلى ملازمة الشيخ ماء العينين إلى غاية وفاته<sup>4</sup>.

#### 9- أحمد فال بن محمد الأمين:

هو العلامة الفقيه أحمد فال بن محمد الأمين بن أحمد فال بن محمدان فال بن الأمين بن المختار بن ألفغ موسى بن يعقوب، ولد ونشأ في بيت أسرته نواحي الساقية الحمراء، حيث يعتبر أجداده من كبار العلماء في المنطقة وعرف عليهم أيضا تولى التدريس والقضاء بها، قدم أحمد فال

<sup>1</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 01، ص303.

<sup>2</sup> احمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص 118.

<sup>3</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص 252.

<sup>4</sup> أحمد ابن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص123.

بن محمد الأمين على الشيخ ماء العينين بالسمارة ودرس بها، واجتهد في خدمة الشيخ سنين عديدة توفي سنة (1387هـ / 1968م) ودفن بالعيون<sup>1</sup>.

#### 10- محمد سالم المجلسي.

هو العلامة النحوي محمد سالم بن عبد الله بن أحمد بن محمد سالم المجلسي، ولد ونشأ بالصحراء الغربية، وقد تلقى تعليمه على العالم اللغوي الملقب "معي"، حيث درس عليه النحو والبلاغة وتضلع في ذلك، قبل أن يعود إلى أهله وأخذ عن والده أصول الفقه وأجازته في ذلك، ومن مسقط رأسه قدم على الشيخ ماء العينين بالسمارة، وأخذ عنه الطريقة وأصول الفقه ومصطلح الحديث، ونظرا لتمكنه كلفه الشيخ بالتدريس في إحدى مدارس السمارة<sup>2</sup>.

#### 11- عبداتي بن الشيخ المعلوم البصادي.

كان يلقب بـ"الداه" بن المعلوم بن عبد الله الكوري، ولد حوالي (1298هـ / 1881م) ونشأ في مسقط رأسه، وهناك تلقى أولى تعليمه على والده الشيخ المعلوم، ثم قدم على الشيخ ماء العينين بالسمارة، حيث أخذ عنه العلم وأجازته في الطريقة، ونظرا لما يتميز به من مؤهلات، أوكل إليه الشيخ الإشراف على الخزينة وتصريف المؤنة والأموال، توفي حوالي (1356هـ / 1937م)<sup>3</sup>.

#### 12- محمد عبد الله بن محمد المختار اليعقوبي.

إسمه محمد عبد الله بن محمد المختار بن أحمد تكرر بن محمد بن المختار، بن أشفاغة موسى بن يعقوب الموسوي، حيث ينتسبون إلى الصحابي الجليل جعفر الطيار بن أبي طالب، وكان محمد عبد الله هذا عالما كبيرا، شغوفًا بمطالعة كتب التصوف، وقد قدم على الشيخ ماء العينين فترة سكناه في تيرس، وأخذ عليه التصوف وعلم السلوك وأجازته في ذلك وصدره إلى أهله وانتفع به خلق كثير، حيث أخذ عليه خاله العلامة الفقيه محمد سالم، والعالم الصوفي محي الدين، وهم من

<sup>1</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص278.

<sup>2</sup> نفسه: ص509.

<sup>3</sup> نفسه: ص414.

أبناء الولي الصالح محمد المختار اليعقوبي، توفي صاحب الترجمة في مكة المكرمة بعد تمام حجه سنة (1316هـ / 1898م) وقد ترك عدة مؤلفات منها تأليفه " جواب الفقيه ابن حبل في التصوف " <sup>1</sup>.

### 13- محمد المختار بن سيدي محمد بن الشريف.

هو العلامة الصوفي محمد المختار الملقب بـ "حظي" بن سيد محمد بن الشريف، قدم على الشيخ ماء العينين بكل ما يملك من مال وأهداه له، بغية تحصيل العلم والسلوك فكان علما صوفيا، مترفا في العبادة وخدمة الشيخ إلى أن صدره إلى أهله، فظهر فيهم ظهورا عجيبا وأخذ عليه العديد من طلبة العلم والمريدين، قبل أن يعود مرة ثانية للشيخ ماء العينين، ويلازم حلقات ذكره حتى ظهرت عليه العديد من الكرامات والمشاهدات رحمة الله عليه <sup>2</sup>.

### 14- الحسن بن سيد أحمد الحسن.

هو العالم الفياض أبو الفتوح الحسن بن سيد أحمد الحسن، ينتسب إلى آل ألفت الخطا، اعتبره ابن الشمس من مشاهير الطبقة الأولى الذين تتلمذوا على الشيخ، وانتفع بهم خلق كثير، قال فيه شيخه الشيخ ماء العينين من أراد أن "يدعو لمن أتاه بما فتح الله عليه به، يقول الله يرزقكم بما رزق به الحسن" وقد توفي قبل ابن الشمس الشنقيطي بكثير على حد قول الأخير <sup>3</sup>.

### 15- أعلي بن مولود اليكوتي.

كان مسقط رأسه بالصحراء الغربية نواحي الساقية الحمراء، والدته تسمى زهرة بنت مولود بن مبارك وتنتمي إلى قبيلة يكوت أيضا، قدم على الشيخ ماء العينين وأخذ عليه الطريقة وبايعه، كما لازم مجالسه عدة سنوات، كان رفقة تلامذة الشيخ المكلفين بحفر الآبار، ويعد أول من حفر بئر في السمارة بإيعاز من الشيخ، توفي رحمة الله عليه سنة (1319هـ / 1902م)، ودفن جوار ضريح سيد أحمد العروسي <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أحمد ابن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص125.

<sup>2</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص144.

<sup>3</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص126.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مصدر سابق، ج1، ص295.

## 16- محمد الخضرام بن الشيخ محمد الأمين.

هو العالم المشارك الشيخ محمد الخضرام بن الشيخ محمد الأمين بن الشيخ أحمد، ولد في الحادي عشر من أكتوبر سنة 1853م الموافق لـ 1270هـ، والدته السيدة ربيعة بنت الشيخ محمد فاضل بن مامين<sup>1</sup>، نشأ محمد الخضرام في بيت علم فوالده كان عالما كبير وكذلك جده، قال عنه بن الشمس "إنه جاهد مجاهدة ما رأيت ما جاهدها" باستثناء بعض طلبة الشيخ كالشيخ المعلوم وغيرهم، قدم على الشيخ ماء العينين وأخذ عليه، وقد كلفه الشيخ بتدريس أبنائه القرآن الكريم وبعض العلوم<sup>2</sup>، كما أنه شارك في معركة الداخلة سنة (1302هـ، 1885م) وأبلى فيها البلاء الحسن، توفي رحمة الله عليه بأكردوس سنة (1345هـ، 1927م)<sup>3</sup>.

## 17- محمد السالم بن الهاشمي السملالي:

هو العالم الجليل محمد السالم بن الهاشمي السملالي، قال عنه ابن العتيق في سحر البيان "كان من أهل المجاهدات والجد في الطاعات والعبادات" ونظرا لما تميز به من نباهة وحسن التسيير، قدمه الشيخ ماء العينين على مريديه المكلفين بأمور الأنعام، فقام بمهامه على أحسن وجه<sup>4</sup>، توفي -رحمة الله عليه- سنة (1396هـ / 1976م) بالطانطان<sup>5</sup>.

## 18- محمد الأمين بن الطاهر البصادي.

هو محمد الأمين بن الطاهر البصادي كان عالما وفقهيا، قدم على الشيخ ماء العينين وتعلم على يده، قال فيه ابن العتيق "كان من أكابر موارد شيخنا الواصلين، وأجلة تلاميذه الكاملين، مجذوبا سالكا تقيا ورعا ناسكا عابدا زاهدا، له أذواق وأشواق وأتواق بمكارم الأخلاق"، ونظرا لما تميز به من إخلاص في العمل، كان يقدمه الشيخ على بعض تلامذته في الكثير من الأمور المهمة،

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص317.

<sup>2</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص128.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص318.

<sup>4</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص144.

<sup>5</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص510.

وقد كان يخدم الشيخ ماء العينين طيلة حياته، وبعد وفاته كان في خدمة أبنائه من بعده، حتى لقب بلقب "المقدم" لتفانيه في خدمة أبناء الشيخ رحمة الله عليهم أجمعين<sup>1</sup>.

### 19- محمد بن مبارك بن الشيخ المعلوم.

هو العالم الصوفي محمد بن مبارك بن الشيخ المعلوم، عرف عليه الزهد والورع والتقشف، أخذ مبادئ العلوم على والده الشيخ المعلوم، ثم قدم على الشيخ ماء العينين وتلمذ على يده وأخذ منه الطريقة، كما أجازته الشيخ وجعله مقدا على زاويته بمراكش، وخليفته على تلامذته بتلك النواحي، وقد بقي قائما على شؤون الزاوية المعنية بمراكش إلى غاية وفاته<sup>2</sup>.

### 20- عبد الله بن الخضر بن باريك الحكني:

هو العالم الفقيه المشارك عبد الله بن الخضر بن باريك الحكني، نشأ وترعرع في مسقط رأسه، وقد درس الفقه هناك عند الفقيه أحمد من آل الهادي اللمتونيين، وهي قبيلة معروفة بالعلم والورع، وأخذ أيضا على الشيخ سيد المختار بن الهادي، كما تأثر كثيرا بكتاب "الإحياء" للغزالي وكتاب "المدخل" لابن الحاج الفاسي المالكي، وظل يبحث عن شيخ التربية حتى قدم على الشيخ ابن حامي الغلاوي رفقة الفقيه محمد بن سيد، وظل مدة في ضيافة ابن حامي يتلقى عليه، قبل أن يقدم على الشيخ ماء العينين، وتلمذ على يديه وأخذ منه الطريقة، وقد كان قبل أن يجد الشيخ قد التقى بابن جنوب، وطلب منه هذا الأخير أن يكاتبه عندما يجد شيخ التربية، فكتب له ابن باريك كتابا يخبره فيها بالشيخ ماء العينين، فقدم عليه ابن جنوب وتلمذ على يده أيضا رحمة الله عليهم أجمعين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص145.

<sup>2</sup> نفسه: ص145.

<sup>3</sup> أحمد ابن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص121.



## 21- الشيخ محمد العتيك بن محمد الشنقيطي:

هو أبو عبد الله سيدي محمد المدعو العتيك والده الشيخ محمد فاضل الشنقيطي وهو ابن أخت الشيخ ماء العينين<sup>1</sup>، اشتهر بالأدب الظاهر والنسك الباهر، ولد في بلدة الحوض مسقط شيخه الشيخ ماء العينين ونشأ وترعرع بها، استوطن الساقية الحمراء وتلقى تعليمة بزاوية الشيخ ماء العينين بالسمارة، برع الشيخ محمد العتيك في عدة علوم على غرار الفقه والأدب، وافته المنية بفاس سنة (1413هـ / 1993م)<sup>2</sup>.

## 22- أحمد بن محمد الحنشي:

هو أحمد بن محمد الحنشي، بن أحمد بن الحنشي الغلاوي نسبا الشنقيطي داراً وموطناً، عرف بورعه وزهده إلى جانب تضلعه في علوم عديدة، وقد كان يعد من كبار مريدي الشيخ وأكثرهم ملازمة له، قال عنه الشيخ النعمة في الأبحر المعينية " كان فتى تقيا له في العلم والفتوة حظا وافرا"، وللشيخ أحمد بن الحنشي العديد من القصائد في مدح شيخه الشيخ ماء العينين<sup>3</sup>.

## 23- أحمد بن محمد المختار الغلاوي:

ينتسب أحمد بن محمد المختار إلى جده سيدي بابا بن الطيب بن أحمد المعروف باسم "بوتاج" بن عبد الرحمان بن الغلاوي بن عبد الله، نشأ في بيت علم وحكمة فجده سيدي بابا كان عالما فصيحاً شهيراً يرجع إليه القوم في إدارة شؤون قبيلتهم، تلقى أحمد بن محمد المختار تعليمه عند الشيخ ماء العينين وتأثر بأفكاره كثيراً، وتقلد على غرار جده رئاسة قبيلته المعروفة بـ"السمايد" نواحي ادرار، وقد شهدت القبيلة في عهد إمارته نشاطاً علمياً كبيراً، سجن سنة

<sup>1</sup> إحياء بن مسعود الطالب: مرجع سابق، ص342.

<sup>2</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على النفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص27. ينظر ايضاً محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، مصدر سابق، ص431.

<sup>3</sup> الطالب احيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج 01، ص181.

(1326هـ / 1909م) من قبل الفرنسيين بعد مناهضته لهم، توفي في العشرين الثانية من القرن الـ20م<sup>1</sup>.

#### 24- محمد الأنصاري الولاقي:

يعد الشيخ سيدي محمد الأنصاري فقيه إيلغ من بين التلاميذ الذين نهلوا من عند الشيخ ماء العينين، حيث تلقى أولى تعليمه بولاته مسقط رأسه، ثم التحق بزواوية الشيخ ماء العينين بالسمارة ومنها رحل إلى السوس الأقصى مدرسا<sup>2</sup>.

#### 25- بابا احمد:

عرف بين سكان الصحراء بـ"أبه" بن محمد الأمين بن الشيخ المصطفى بن العربي الأبييري من قبيلة محمدن الله، نشأ في أهله وبين قبيلته جنوب موريتانيا ودرس على علماء عصره على غرار العلامة محمد أنفال بن متالي، وأجازه الشيخ ابن حامي الغلاوي في القراءات السبع، كما أخذ ورد القادرية عن عميه (زين العابدين، والغوث)، قدم على الشيخ ماء العينين في طريق عودته من الحج ومكث شهرين بالسمارة يأخذ العلم إلى غاية إجازته كتابيا من قبل الشيخ ماء العينين، له عدة تآليف أغلبها في علوم القرآن على غرار "الوبل الهتان على رسم المصحف وتجويد القرآن"، توفي -رحمة الله عليه- سنة (1339هـ / 1921م) بولاية البراكنة جنوب موريتانيا<sup>3</sup>.

#### 26- محمد سالم الصحراوي.

هو العلامة الكبير محمد سالم بن عبد الفتاح الإيداو علي التكانتي، أمه هي خديجة بنت عبد الله بنت احمدادو، كان والده يسكن في تكانت، قبل أن ينتقل إلى الساقية الحمراء ويترل عند الشيخ ماء العينين سنة (1322هـ / 1904م) وهناك ولد ابنه محمد سالم، حيث نشأ وترعرع في حضرة الشيخ، وتلقى تعليمه على مجموعة من المشايخ في السمارة، على غرار الشيخ محمد باباه الذي أخذ عنه القرآن، ثم درس على الشيخ النعمة، والشيخ الخضرامي بن الشيخ أحمد، كما أنه أخذ عن ابن

<sup>1</sup> الطالب اخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 01، ص 181.

<sup>2</sup> احياء بن مسعود الطالبي: مرجع سابق، ص 42.

<sup>3</sup> الطالب اخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 01، صص 302\_303.

العتيق والشيخ سيديا بن حمادو بن سلمان، وتأثر كثيرا بالأديب الفقيه أبا بن عبد الإله البوحبيبي، وقد كان ملازما للشيخ ماء العينين بالسمارة وتيزنيت، كما لازم ابنه أحمد الهبية، والشيخ النعمة وكان قيما على أشغاله الخاصة، توفي بطانطان حوالي (1364هـ / 1945م) ودفن بها<sup>1</sup>.

## 27- محمد عبد الرحمان بن المبارك القناني.

هو محمد عبد الرحمان بن أحمد بن المبارك بن يمين بن حبيب الله بن أبي موسى بن مولود، ولد سنة (1256هـ / 1841م) بمنطقة "البيرات" شمالي الترارزة، والدته تدعى اعزيزة بنت عبد الدائم من آل بارك الله، كانت أسرته من بين الأسر المشهورة بالعلم في المنطقة، وقد تلقى تعليمه على يد العلامة الخرشبي بن عبد الله الحاجي، حيث مكث عنده خمسة عشر سنة، خلالها تضرع في مختلف العلوم والفنون السائدة في عصره، وقد عرف بمجالسته للعلماء والأمراء الذين فضلوهم لرجاحة عقله وفصاحة لسانه، قدم على الشيخ ماء العينين فترة إقامته في تيرس، وبايعه أخذ عليه وقد مكث عنده مدة طويلة، توفي رحمة الله عليه سنة (1318هـ / 1901م) ودفن بـ"أحسي السعادة"<sup>2</sup>، وقد ترك العديد من المؤلفات في الفقه والسيرة وغيرها<sup>3</sup>.

## 28- عبد الله بن محمدن الحسني.

هو الرحالة العالم أبو محمد محمود، عبد الله بن محمدن بن محموداً بن عبد الله بن محم، والدته تدعى خديجة بنت أحمد بن الفالي، ولد سنة (1243هـ / 1828م) بالجنوب الموريتاني، وهناك نشأ وترعرع، تلقى تعليمه على يد والده بمسقط رأسه، ثم قدم على الشيخ محمد بن لحطانا الحسني ونهل من علومه، كما أخذ الفقه عن الشيخ أحمد خضرامي بن عباس التكاظمي، قبل أن يسافر إلى العالم الجليل محمد المامي بن البخاري، الذي كان مقيم في تيرس، وقد درس عليه أصول الفقه وبعض النصوص، وفي تيرس مكث ثلاث سنوات تزوج خلالها ابنة شيخه محمد المامي، ثم عاد بعد

<sup>1</sup> محمد المختار السوسي: المعسول، مصدر سابق، ج3، ص35.

<sup>2</sup> أحسي السعادة: منطقة تقع ضمن مقاطعة واد الناقة حوالي خمسون كيلومتر عن العاصمة الموريتانية نواكشوط.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، صص 518\_519.

ذلك لأهله، وبعد مدة قدم على الشيخ ماء العينين وهو حين ذاك في تيرس، وتلمذ عليه وامتدحه، توفي -رحمة الله عليه- سنة (1321هـ / 1903م) ودفن غربي قرية "أركيز" بولاية الترارزة<sup>1</sup>.

## 29- محمد عبد الله بن جنوب.

اسمه محمد عبد الله بن أحمد هنيدي بن عبد الله بن جنوب، ينتسب إلى قبيلة إدولحاج، كان مسقط رأسه بشنقيط، ولازم الشيخ ابن حامي الغلاوي منذ صغره، وأخذ عليه مختلف العلوم، قبل أن يقدم على الشيخ ماء العينين في الصحراء، وأخذ عليه علم السلوك وأثنى عليه الشيخ كثيرا لما رأى منه من انضباط وحسن السلوك، وقد انتفع به خلق كثير من العلماء والجهال، توفي -رحمة الله عليه- حوالي (1323هـ / 1905م)<sup>2</sup>.

## 30- الشيخ محمد الأعظف بن مصباح الدين:

هو العالم الكبير محمد الأعظف بن مصباح الدين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، وهو ابن أخ الشيخ ماء العينين، ولد ونشأ بالحوض الشرق الموريتاني، وهناك تلقى تعليمه، قدم على الشيخ في الصحراء الغربية وهو في ريعان شبابه، فبايعه بيعة التربية، وأخذ عليه علم السلوك، قال عنه ابن العتيق "فجاءه الفتح الإلهي والفيض الرباني فبلغ مبلغ الرجال، وتحلى في أسرع مدة بصفات الكمال"<sup>3</sup>.

## 31- محمد ابن المختار التيشيتي.

هو الفقيه الصوفي محمد بن المختار أسري بن أمبالة التيشيتي، تلقى تعليمه على يد العالم الشيخ علي بن عبد الله بن آفه، وقد أجازته في القرآن الكريم وكان عالما فقيها ورعا، قدم على الشيخ ماء العينين في تيرس، وأخذ عليه الفقه والأصول، وقد كلفه الشيخ بتدريس القرآن في مدارس السمارة، حيث تتلمذ على يديه الكثير من طلبتها من بينهم بعض أبناء الشيخ ماء العينين،

<sup>1</sup> الطالب اخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 01، ص 412.

<sup>2</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص 131.

<sup>3</sup> نفسه: ص 143.

وبعد دخول الاستعمار إلى تراب البيضان كان ضمن التلاميذ المجندين في ساحة الجهاد، توفي في معركة "إكنينت التيكويت" نواحي أنشيري سنة (1325هـ / 1908م)<sup>1</sup>.

### 32- محمد المهدي البربوشي.

هو العالم الناسك محمد المهدي بن الولي العلامة الحاج البشير بن عبد الحي البربوشي، تلقى تعليمه الأولي بمراكش، ثم قدم على قبيلة إدو علي بمنطقة القبلة، وهناك درس أيضا وأخذ الطريقة التيجانية، ثم قدم بعد ذلك إلى الشيخ ابن حامي وأخذ عليه بعض العلوم، وخلال مكوثه عند الشيخ ابن حامي، التقى بمريد الشيخ ماء العينين عبد الله بن جنوب، ودله هذا الأخير على الشيخ ماء العينين، فقدم عليه وأخذ عنه الكثير من العلوم، كما أن صاحب الترجمة كان من بين تلامذته الذين اختاروا خدمة الشيخ، حيث كان يلازم المكث عنده -رحمة الله عليه-<sup>2</sup>.

### 33- الزين بن البكاي القلبي.

هو الفقيه الزين بن أحمد البكاي بن محمد الأمين القلبي الشنقيطي، تلقى تعليمه بمسقط رأسه، وقدم على الشيخ ماء العينين وبايعه وبيعه التربية وتلقى عليه الكثير من العلوم، وقد عرف بحفظه للقرآن وإتقانه، لذلك كلفه الشيخ بتدريس أبنائه القرآن الكريم، فتلمذ عليه العديد من أبناء الشيخ، ولعل أبرزهم ماء العينين بن العتيق الذي أخذ عنه الإجازة في القرآن الكريم، وقد صدره الشيخ ماء العينين بعد ذلك إلى أهله، وتلمذ عليه الكثير وانتفعوا به، قال عنه ابن العتيق "وظهرت عليه سمي الولاية، وكان نور رشده سببا للهداية، ثم سار للحج وحج ورجع لأهله ولم على حاله مرشدا للطريقة، جامعا بين الشريعة والحقيقة، حتى توفي -رحمة الله عليه-"<sup>3</sup>.

### 34- النعمة بن التراد القلبي.

هو العلامة الشيخ النعمة بن التراد بن الشيخ الحضرامي بن الشيخ محمد فاضل بن مامين القلبي الشنقيطي، وهو حفيد الشيخ الحضرامي شقيق الشيخ ماء العينين، والدته تدعى المقبولة

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج1، ص435.

<sup>2</sup> أحمد ابن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص122.

<sup>3</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص147.

بنت محمد الغيث بن الشيخ محمد فاضل، ولد ونشأ بالحوض الشرقي الموريتاني، في بيت اشتهر بالعلم والصلاح، حيث تعلم منذ صغره النحو والفقه والأدب وغيرها من علوم عصره، حتى أصبح من بين أشهر العلماء بالحوض الشرقي، وقد تصدر رئاسة عشيرته لمدة طويلة، خلالها أبرز الكثير من الحنكة والتميز في التسيير، وقد راسل عمه الشيخ ماء العينين وأخذ منه الطريقة وأجازته فيها، توفي سنة (1371هـ / 1952م) ودفن بمسقط رأسه<sup>1</sup>.

### 35- سيدي محمد بن مولاي القاسم:

هو العالم المجاهد لنفسه سيدي محمد بن مولاي القاسم بن أب، ولد بأقلاق الحوض الموريتاني، وهناك نشأ وترعرع، قدم على الشيخ ماء العينين وتلقى عليه، ثم أرسله إلى أهله بمنطقة الحوض، وانتفع به كثيرون قبل أن يعود مرة أخرى إلى الشيخ ومكث عنده أعواما، وعاد لأهله مرة ثانية، وقد سافر إلى فاس والتقى أحمد بن الشامي الشنقيطي، القائم على زاوية الشيخ ماء العينين بفاس، وحسب ابن الشمس فإن صاحب الترجمة من ذرية القطب الصالح مولاي عبد السلام بن مشيش، -رحمة الله عليهم أجمعين-<sup>2</sup>.

### 36- الحسين بن محمد العروسي.

هو العالم الصوفي الحسين بن محمد العروسي التكني الزرقي نسبا، كان رجلا أميا حسب ابن العتيق، وقاده الحظ إلى الشيخ ماء العينين بالسامرة، وبايعه بيعة التربية والسلوك، فأخذ عليه العلم والطريقة، وظل في خدمة الشيخ حتى حسن حاله، وظهرت عليه صفات الولاية، وانتفع به خلق كثير من قبيلته ومن عامة الناس<sup>3</sup>.

### 37- سيدي أحمد ولد عيدة.

هو أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد المدعو عيدة، بن سيدي أحمد بن عثمان بن لفضيل بن شنان، بن بوبه بن عمي بن أكشار بن أكتمار بن غيلان بن يحيى بن عثمان بن مغفر بن أدي بن

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص586.

<sup>2</sup> أحمد ابن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص130.

<sup>3</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحرا البيان، مصدر سابق، ص148.

حسان، تولى صاحب الترجمة عرش الإمارة في أدرار، بعد اغتيال عمه الأمير أحمد بن محمد على يد الإيديشليين، وقد قدم أحمد ولد عيدة على الشيخ ماء العينين بعد أن نفاه عمه الأمير أحمد، وتتلّمذ على يديه وأخذ منه الطريقة، وقد دعا له الشيخ بالعودة إلى أدرار وتسلم الإمارة، وهو ما حدث فعلا بعد اغتيال عمه المذكور، وقد عرف ولد عيدة بشجاعته الكبيرة وحبّه للعلم والعلماء، وقد أهدى لشيخه الشيخ ماء العينين الكثير من الهدايا وهدايا النخيل بأطار، توفي -رحمة الله عليه- بأطار سنة (1315هـ / 1898م)<sup>1</sup>.

### 38- بارك الله الدليمي.

هو بارك الله بن أعلي لقيم الدليمي، عرف بالتزامه وصلاحه إلى جانب كونه ذا كرامات كثيرة، اتصل بالشيخ ماء العينين فترة إقامته في تيرس وهناك بايعه ولازمه فترة كبيرة وقد كسب ود وثقة الشيخ، وتلقى على يده القرآن الكريم والفقّه وبعض العلوم الأخرى، عمر كثيرا حيث توفي سنة (1358هـ / 1940م) ودفن قرب "بو الأنوار" الواقعة ضواحي نوادييو<sup>2</sup>.

### 39- المامي بن البخار الدليمي.

حيث ينتسب هذا الشيخ الجليل إلى قبائل أولاد الدليم ذات النفوذ الكبير في الصحراء الغربية، قدم إلى الشيخ ماء العينين في السمارة بعدما كان أميا لأمر الفقّه والتصوف على حد قول ابن العتيق، وقد مكث كثيرا في خدمة الشيخ بعد أن أخذ عنه الطريقة، فاجتهد في الطاعات وترك المنهيات وتعلم الكثير من العلوم الظاهرة والباطنة وتضلع فيها، مما جعل الشيخ ماء العينين يصدره إلى قبيلته فتتلّمذ على يده الكثير من المريدين من أولاد الدليم وغيرهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، صص 242\_243.

<sup>2</sup> نفسه: ص 252.

<sup>3</sup> ماء العينين بن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص 148.

## المبحث الثاني: تلاميذه ومريده من باقي مناطق إفريقيا والعالم:

### 1- عبد الرحمان أفندي.

هو العالم القدوة الولي الصالح عبد الرحمان بن حامد بن محمد أفندي الدمشقي مولد المكّي داراً، عمل مترجماً للمنشورات والظواهر التي تصدر عن السلاطين العثمانيين، كما كان صاحب مكانة مرموقة لدى ولاية الحرمين، التقى بالشيخ ماء العينين بمكة المكرمة سنة (1274هـ/ 1858م) وهناك بايعه وأخذ عنه الطريقة<sup>1</sup>.

### 2- عبد السلام بن رزوق العرائشي الصوفي:

ينتسب العالم الصوفي عبد السلام بن رزوق إلى سلالة ابن رزوق بمنطقة العرائش، هناك اختلاف في تاريخ ميلاد الشيخ فهناك من رأى أن مسقط رأسه كان سنة (1257هـ/ 1842م)، أما البعض الآخر فرأى أنه ولد عام (1265هـ/ 1849م)، عُرف بفراسته في علوم عدة على غرار الفقه والحديث، إلى جانب التنجيم والتعديل، كما عرف بالتزامه بمنازة جامعته بالعرائش، وقد أثنى عليه العديد من العلماء، توفي في الثالث من نوفمبر 1910م في نفس السنة مع شيخه العلامة مصطفى ماء العينين<sup>2</sup>.

### 3- محمد القادري الصوفي:

هو أبو عبد الله محمد فتحا بن أبي القاسم الشريف القادري الحسيني ولد بفاس سنة (1259هـ/ 1843م)، تلقى مبادئ العلوم عن والده وتلمذ عن جهابذة علماء فاس، وقد اتصل بالشيخ ماء العينين بالسامرة وأخذ عنه الطريقة القادرية بسنده، ويعتبر الشيخ محمد الشرف القادري من أبرز علماء فاس في قرنه توفي يوم الأربعاء 15 أبريل 1918م الموافق لـ1336هـ، ودفن بروضة الصقلين بفاس، وقد أثنى عليه بعد وفاته جماعة من العلماء، على غرار تلاميذه

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص381.

<sup>2</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على النفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص28.



ومريديه محمد بن أحمد ابن الحاج السلمي، ومحمد بن الحسن الحجوي، والقاضي محمد بن أحمد العلوي، وأحمد المأمون البلغيثي، إضافة إلى العلامة الحسن بن محمد الزرهوني<sup>1</sup>.

#### 4- محمد بن الطيب الصبيحي:

هو ابو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الصبيحي السلاوي الفقيه والأديب، ولد سنة 1882م بسلا المغربية، وتلقى أولى تعليمه بمسقط رأسه سلا على يد كوكبة من العلماء على غرار: الأستاذ سيدي الحاج محمد بريطل، والعلامة سيدي أحمد بن العلامة سيدي إبراهيم، إلى جانب الفقيه سيدي محمد بن إدريس المنصوري، وتلقى الأجرومية على يد سيدي عبد القادر بن محمد الوزان، كما درس على يد شيوخ فاس والقرويين أمثال: العلامة سيدي التوهامي كنون، وعبد الله بن الهاشمي بن حضراء السلاوي وغيرهم كثير...، لم يكتف العلامة محمد بن الطيب الصبيحي بتلقي هذا القدر من العلوم على كوكبة من خيرة علماء عصره، بل نجده نال عده إجازات كتابية من لدن مجموعة من الشيوخ كأحمد بن الحياض الزكاري، ومحمد بن جعفر الكتاني، إلى جانب الشيخ ماء العينين القلزمي، توفي سنة (1388هـ / 1969م)<sup>2</sup>.

#### 5- المهدي الوزاني

هو ابو عيسى بن محمد العمراني الوزاني نسبة إلى مدينة وزان مسقط رأسه، رحل إلى فاس الحاضرة العلمية بالمغرب الأقصى من أجل العلم واتخذها دارا وموطنا، وبها نبغ في الفقه حتى أضحى أحد الأقطاب العلمية بالمنطقة، كما عرف بفراسته في النوازل الوقتية وأحكام المعاملات، حتى أصبح العلماء يرجعون إليه فيها، وقد ألف في أحكام المعاملات والنوازل الفقهية، ومؤلفات عدة انتشرت في معظم أقطار المغرب ووصل صداها إلى السودان الغربي فضلا عن الجزائر

<sup>1</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على الانفس في اصول الفقه ويليه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص28.

<sup>2</sup> محمد حجي: فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، (ب. ن)، (ب.س)، ص ص 10\_01.

وتونس، وعلى غرار شيخة الشيخ ماء العينين كان معتكفا على نشر العلم تدريسا وتأليفا، توفي ليلة الاربعاء 13 سبتمبر 1922م الموافق لـ 1341هـ عن عمر يناهز 72 سنة<sup>1</sup>.

#### 6- عبد الرحمان الكتمري:

هو الشيخ العالم الحاج عبد الرحمان الملقب بالحاج عابد، بن الحاج عبد بن الحاج اعمر، حيث يصل نسبه إلى الأشراف الأدارسة، ولد ونشأ في منطقة السوس بالجنوب المغربي وهناك تلقى تعليمه، وهو من الأئمة السوسيين المشهورين، وفد على الشيخ ماء العينين فترة إقامة هذا الأخير بزوايته بتيزنيت وأخذ عنه، كما أنه من بين السوسيين الأوائل الذين لبوا نداء الشيخ أحمد هيبه للجهاد، وكان له دور كبير في تحريض القبائل السوسية للجهاد، توفي يوم الجمعة عشرون فبراير 1932م ودفن في مقبرة "تاكوشة" نواحي آيت صواب بالجنوب المغربي<sup>2</sup>.

#### 7- محمد الكتاني الصوفي:

هو أبو عبد الله بن جعفر الإدريسي الحسيني الكتاني من مواليد مدينة فاس سنة 1858م، بدأت مسيرة العلمية على غرار سكان الصحراء، بحفظ القرآن الكريم وبعض المتون ثم انتقل لتلقي العلوم بجامع القرويين والزاوية الكتانية بالقطنين في فاس، وقد اشتهر بمشاركته المتعددة حيث نهل من مجموعة من جهابذة علماء عصره على غرار والده شيخ الجماعة جعفر بن ادريس الكتاني، وأحمد بن أحمد بناني، ومحمد بن عبد الرحمان العلوي المدغري، ومحمد بن عبد الواحد التاودي بن سودة المري، وعبد الملك بن أحمد السجلماسي، والشيخ ماء العينين، ومن بين العلوم التي برز فيها الشيخ محمد الكتاني: علوم الفقه والحديث والتصوف والأصول والنحو واللغة والتوحيد والتصريف، إلى جانب العروض والبلاغة والتوحيد والمنطق، وافته المنية يوم 20 مارس 1926م الموافق لـ 1344هـ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على النفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص ص 28\_29.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص381.

<sup>3</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على النفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص 30.

## 8- محمد ابن إدريس القادري الصوفي:

يعد العلامة محمد بن إدريس بن محمد القادري الحسني من تلاميذة الشيخ ماء العينين، حيث ولد بمدينة الجديدة سنة (1291هـ، 1875م)، نهل العلوم على مجموعة من فحول العلماء في المغرب الأقصى والصحراء الغربية، ويتعلق الأمر بالشيخ الجليل قاسم القادري الحسني، والشيخ أحمد ابن الخياط الزكاري، والعلامة عبد الهادي بن أحمد الصقلي، إلى جانب الشيخ جعفر ابن إدريس الكتاني والشيخ ماء العينين القلبي، أجاز له الشيخ التهامي بن محمد الحداوي الشاوي بالطريقة القادرية، كما أجاز له بالطريقة الدرقاوية العلامة الملم محمد بن الأعرج عن الشيخ العربي الدرقاوي بسنده، وقد إشتهر محمد بن إدريس القادري بمواظبته على العلم تدريسا وتأليفا حيث ناهزت مؤلفاته الخمسين كتاب ومجلد في مختلف العلوم، رحل الشيخ إلى جوار ربه في 23 أوت 1931م الموافق لـ 1350هـ، ودفن بزواية القادريين بالجديدة<sup>1</sup>.

## 9- أحمد بن محمد العباسي السُناري:

يعد الشيخ أحمد بن محمد العباسي السُناري من بين العلماء القلائل الذين تتلمذوا على يد الشيخ من المشرق العربي، حيث ولد بالحجاز وهناك تعلم على شيوخ عدة قبل أن يتخرج من الحرمين، وبها درس 20 سنة وبرز في علوم جملة، قدم بعد ذلك إلى الشيخ ماء العينين في السمارة مع أناس من اهل مصر والإسكندرية<sup>2</sup>، وعن سبب قدومه يقول ابن الشمس الشنقيطي، أنه رأى سلوك بعض تلاميذه بالحرم المكي، فسألهم عن أحوالهم فحدثوه عن الشيخ ماء العينين، فقدم السمارة ومكث بها وأجازته الشيخ في علم السلوك، توفي عند أبناء بني دليم في حوز مراکش<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على الانفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص 30.

<sup>2</sup> الطالب اخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 01، ص 176.

<sup>3</sup> احمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج 2، ص 118.

## 10- عبد الله الفاسي الفهري:

هو الفقيه العالم الوزير عبد الله بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب، بن عبد الحفيظ بن ابي مدين بن أحمد بن محمد بن الشيخ عبد القادر بن علي بن الشيخ ابي المحسن يوسف الفاسي الفهري، ولد بفاس ونشأ في وسط عائلته التي كانت من الأسر المعروفة بالعلم في فاس، حيث تلقى تعليمه على يد جده الشيخ علال، كما أخذ عن والده الشيخ عبد السلام وعن عدة شيوخ آخرين، وقد أخذ أيضا على الشيخ ماء العينين وأجازته إجازة عامة، وتقلد عبد الله الفاسي عدة مناصب سياسية بالمخزن المغربي، على غرار منصب سفير الدولة في باريس وقاضي فاس<sup>1</sup>، وقد امتدح الشيخ ماء العينين في قصيدة قال فيها:

إمام ولي ماجد ذو مواهب \* عظام وأخلاق حسان حميدة  
هو الشيخ ماء العينين أهل \* بهائها جباه إله الخلق كل مزية  
شفاء عيون الناظرين وسرهم \* ومن ربه أولاه عظم مهابة<sup>2</sup>.

وهي قصيدة قالها رحمة الله عليه يهنئ فيها أهل فاس بقدم الشيخ ماء العينين، وقد توفي سنة (1348هـ / 1930م) بفاس، وترك العديد من المؤلفات منها، سلوك الذهب الخالص، الإبريز في بيعة السلطان بن السلطان مولانا عبد العزيز، والنسمات العنبرية في الوجهة السجلماسية<sup>3</sup>.

## 11- أحمد العمراني الصوفي:

يعد العلامة المحدث أحمد بن محمد بن الخضر بن الفضيل بن عمران الحسيني الجوطي العمراني من أبرز تلاميذ الشيخ الذين مكثوا لدى رباطه كثيرا، وقد ولد سنة (1297هـ / 1880م)، نهل العلوم على مجموعة من أبرز علماء المغرب الأقصى، كما تتلمذ على يد الشيخ ماء العينين وابنه

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص405.

<sup>2</sup> عبد الله بن عبد السلام الفاسي: ديوان عبد الله الفاسي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، المغرب، (ب.س)، ج1، ص03.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص405.

العلامة المجاهد أحمد الهيبية إضافة إلى الشيخ أحمد الشمس، وافته المنية سنة (1370هـ / 1951م) ودفن بجومة العيون<sup>1</sup>.

## 12- الحاجب الملكي إدريس بن يعيش.

هو إدريس بن الحاج محمد بن علال بن عبد القادر بن محمد الكبير بن عبد الصادق بن عبد الله بن سيدي يعيش، هذا الأخير قدم من الساقية الحمراء إلى شمال المغرب الأقصى حوالي القرن السابع عشر الميلادي، حيث سكن في قبيلة بني أحسين بالشمال المغربي وكان معلماً للقرآن في هذه القبيلة، وهناك سطع نجمه حيث أصبح من حاشية الملك المغربي بمكناس، ويعد إدريس صاحب الترجمة أحد أحفاد هذا العالم، حيث كان أيضاً باشا لمدينة وجدة في عهد مولاي الحسن، ثم عاملاً عليها منذ (1312هـ / 1895م)، وقد عمل حاجباً ملكياً بالرباط قبل وفاته سنة (1325هـ / 1908م)، وقد تتلمذ على الشيخ ماء العينين، وأخذ عنه الكثير من العلوم والفنون، وبحكم موقعه كان يطلع الشيخ على كل ما يجري في البلاد، ويأخذ باستشارة الشيخ في ذلك<sup>2</sup>.

## 13- الطاهر الإفرائي.

ولد الطاهر بن محمد بن ابراهيم الإفرائي سنة (1283هـ / 1867م) بـ"افران"<sup>3</sup>، نشأ يتيماً وتلقى تعليمه بـ"إليغ" جنوب المغرب الأقصى، كان رجلاً فقيهاً وقاضياً معروفاً، حتى عُد من رجالات العلم بالسوس، قدم الطاهر الإفرائي على الشيخ ماء العينين فترة إقامته بتيزنيت وأخذ عنه، ثم لازم ابنه أحمد الهيبية والشيخ مربيه ربه بعد ذلك، توفي سنة (1373هـ / 1954م)، وخلف العديد من المؤلفات والقصائد الشعرية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على الانفس في اصول الفقه ويلييه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص 31.

<sup>2</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 1، ص 288.

<sup>3</sup> افران: إحدى الأقاليم التابعة لولاية تيزنيت بالجنوب المغربي.

<sup>4</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 1، ص 370.

**14- عبد السلام بن أحمد المشيشي.**

هو العلامة الكبير عبد السلام بن أحمد العلمي المشيشي المغربي، نشأ وتعلم بالمغرب الأقصى على يد مجموعة من علماء عصره، ثم انتقل إلى مكة المكرمة، وسكن بها وقد أجازته الشيخ ماء العينين في طريقته الصوفية، وأجاز له تلقين الأوراد لمن شاء ويفيد بها من أراد<sup>1</sup> (ملحق 07).

**15- الشيخ سيدي هدارة.**

هو الولي الصالح هدارة بن أكريمش الإيديشلي، أطلق عليه الفتى المصاحب للنعام، قدم على الشيخ ماء العينين فترة إقامته بأكرزيم، وبايعه ومكث عنده مدة يحضر جلساته العلمية، قبل أن يحتلي بنفسه للعبادة في الخلاء، وحسب ما أورد الطالب أحيان، فقد كانت تستأنس به الحيوانات خاصة النعام، توفي رحمة الله عليه بتندوف سنة 1958م<sup>2</sup>.

**16- التهامي المكناسي.**

هو القاضي الفقيه التهامي المكناسي السباعي، من قبيلة الأشراف أبناء أبي السباع، كان معلما لأبناء الحسن الأول بمراكش، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء على غرار مولاي عبد الحفيظ العلوي، وأبناء عمومته أبناء أبي السباع، قدم على الشيخ ماء العينين، وأخذ عليه ودعا له الشيخ بسعة الرزق وحسن السيرة<sup>3</sup>.

**17- أخيار السوداني يعقوبي.**

هو العلامة المشارك أخيار السوداني، كان يلقب بصائم الدهر لكثرة صيامه، تلقى تعليمه لدى قبيلة بني يعقوب ولما نال مراده في ذلك، بدأ يبحث عن شيخ للتربية فقدم على الشيخ ماء العينين وأخذ عليه علم السلوك وصدده إلى أهله، وقد مكث فيهم مدة قبل أن يقدم مرة أخرى

<sup>1</sup> ينظر الورقة الأولى من الإجازة، الملحق رقم 07، ص 269.

<sup>2</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص 587.

<sup>3</sup> نفسه: ص 308.

للشيخ، وسافر من عنده للحج وبعد عودته إذن له الشيخ بالعودة لأهله، غير أنه اختار البقاء في حضرته حتى وافته المنية رحمة الله عليهم أجمعين<sup>1</sup>.

### 18- عبد الواحد الفهري الفاسي.

هو العالم المفتي عبد الواحد بن عبد السلام بن علال الفهري الفاسي، كان مسقط رأسه سنة (1294هـ/ 1877م) بفاس، وتلمذ على يد شقيقه عبد الله الفاسي وأحمد بن الخياط وغيرهم من علماء فاس، وقد التقى بالشيخ ماء العينين بفاس وتلمذ على يديه، وللقيه عبد الواحد الكثير من القصائد في مدح الشيخ، توفي -رحمة الله عليه- سنة (1361هـ/ 1942م)، وهو والد الزعيم المغربي علال الفاسي<sup>2</sup>.

### 19- السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي:

كان السلطان العلوي مولاي عبد الحفيظ بن الحسن الأول، من بين السلاطين المغاربة الذين أخذوا على الشيخ ماء العينين وأجازهم في ذلك، ولد مولاي عبد الحفيظ سنة (1280هـ/ 1863م) بحاضرة العلم فاس، وتلقى تعليمه بمراكش على يد التهامي المكناسي، وأخذ عليه مختلف العلوم والفنون، ارتبطت علاقته بالشيخ ماء العينين منذ قدوم هذا الأخير على البلاط الملكي، وعندما كان واليا على مراكش قدم عليه الشيخ ماء العينين سنة (1322هـ/ 1904م) وأخذ عليه مختلف العلوم وأجازه فيها إجازة عامة شاملة لأنواع الإجازة<sup>3</sup>.

توفي صاحب الترجمة سنة (1355هـ/ 1937م) ودفن بفاس، ترك العديد من المؤلفات منها، القول المختار على الخلاصة والاحمرار، نظم الشمائل الحمديّة والسيرة المصطفوية، نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص125.

<sup>2</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج1، ص413.

<sup>3</sup> نفسه: ص378.

<sup>4</sup> نفسه: ص379.

## 20- الوزير أحمد بن موسى.

هو العالم المتدارك أحمد بن موسى بن أحمد مبارك البخاري، عرف بلقب "أباحمد" ولد سنة (1256هـ / 1841م)، ونشأ وتربى في البلاط العلوي، كان والده موسى بن أحمد حاجبا ملكيا للسلطان محمد الرابع، ثم تقلد منصب الصدر الأعظم في عهد ابنه الحسن الأول، وتلقى ابنه أحمد تعليمه على يد الفقيه الحاج أحمد كنون بالقرويين، وأخذ عن الشيخ ماء العينين الكثير من العلوم والفنون، وقد كانت تجمعها بالشيخ علاقة جيدة، وكثيرا ما لجأ إليه أحمد بن موسى لتقريبه من مولاي الحسن الذي لم تكن علاقته به جيدة، وقد كان للوزير أحمد الدور الكبير في اعتلاء مولاي عبد العزيز العرش بعد وفاة والده مولاي الحسن<sup>1</sup>.

## 21- محمد الضوء السباعي البقاري

هو الشيخ الجليل المفتي القاضي محمد الضوء بن عبد الكريم السباعي البقاري، ولد نواحي مراكش بالمغرب الأقصى، وهناك أخذ تعليمه على يد علماء أجلاء على غرار الشيخ الدرباكي السباعي وغيرهم، كما قدم إلى حاضرة العلم فاس وتلمذ على علمائها، وقد قدم السمارة بحثا عن شيخ التربية، وذلك بعدما درس العهود المحمدية للشعراني في إقليم السوس الأقصى، أين مكث مدرسا هناك حوالي خمس وأربعون سنة، وبالسمارة تتلمذ على الشيخ ماء العينين وأجازته في طريقته الصوفية، توفي -رحمة الله عليه- بالمدينة المنورة سنة (1326هـ / 1908م)<sup>2</sup>.

## 22- الفقيه محمد الدرباكي السباعي:

أخذ الفقيه أورايد الصوفية عن الشيخ محمد المأمون الذي يعد أخ الشيخ ماء العينين ابن العتيق، وقدم على الشيخ ماء العينين في السمارة، وقد قام فترة تواجده بالزاوية بنسخ بعض مخطوطات الشيخ ماء العينين، حيث أورد ابن العتيق أن الشيخ الدرباكي إشتكى الشيخ عدم بكائه من خشية

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص265.

<sup>2</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص117.



الله، فدعا له الشيخ فتم له ذلك بفضل الله تعالى، وقد تخرج على يديه بفضل دعاء شيخه له، جمع كبير من العلماء على غرار التهامي المكناسي، وأبناء عمومته أبناء أبي السباع، وغيرهم كثير<sup>1</sup>.

### 23- أحمد بن بوفريوه السباعي البقاري:

حيث يعد من علماء التصوف في عصره عرف بكثرة المطالعة خصوصا كتب التصوف على غرار إحياء علوم الدين للغزالي<sup>2</sup>، إلا أن ذلك لم يشف غليله فراح يبحث عن شيخ للتربية والسلوك، فقدم السمارة وتلقى أوراد القادرية على يد الشيخ ماء العينين ومكث كثيرا عنده، عاد بعدها إلى مراکش وأخذ عنه الكثير من خلقها<sup>3</sup>.

### 24- عبد القادر بن النعمان السباعي البقاري.

حيث يعد من الأعلام الفقهاء والمتصوفة، وقد قدم على الشيخ ماء العينين بعد إقامته بالسمارة وأخذ عنه العديد من العلوم وأجازته في بعض منها على غرار الطريقة القادرية وصدره إلى قبيلة "آل برك" الذين قدم منهم في أول الأمر، وانتفع به خلق كثير منهم<sup>4</sup>.

### 25- العربي بن علي السباعي.

حيث يعد هذا العلامة الفقيه النوازي العربي السباعي من بين العلماء الذين حلوا بمجالس الشيخ ماء العينين بالسمارة وأخذوا عليه علوم عدة، عرف بتواضعه وكثرة طلابه ومريديه حيث كانت له مدرسة خاصة، قال عنه ابن الشمس " يعد علامة مشارك وصوفي متواضع درس على يده الكثير من أهل العلم"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص 129.

<sup>2</sup> الطالب اخیار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 01، ص 179.

<sup>3</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص 118.

<sup>4</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص 130.

<sup>5</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص 118.

## 26- المدني بن المبارك الفيلاي المراكشي.

هو العلامة القاضي المدني بن المبارك الفلاي الغربي، درس في فاس حتى تمكن من أصول الفقه، ودخل مراكش سنة (1307هـ / 1890م) وهناك ذاع صيته وتصدر لتعليم أبناء الشرفاء بالبلاط العلوي بمراكش، وقد كان من المقربين لمولاي إدريس القائد العلوي، حيث رافقه في رحلته إلى بلاد شنقيط، وقد تقلد منصب القضاء بمراكش بعد عودته من الحج سنة (1319هـ / 1901م) كما قدم على الشيخ ماء العينين في السمارة، وأخذ عليه وأجازه في بعض مروياته، كما انضم إلى الحركة الجهادية للشيخ وتوفي سنة (1323هـ / 1906م)، بعد إصابته بجروح في معركة تجكجة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص581.

### المبحث الثالث: جهود تلاميذ الشيخ في الحركة العلمية بالمغرب الأقصى وإفريقيا الغربية.

لم تقتصر الزاوية المعينية بالإجازات العلمية فقط، وإنما عمل الشيخ ماء العينين جاهدا على إرسال العديد من طلبته إلى أقاليم خارج الصحراء الغربية، وهذا بطلب من حكام وقبائل تلك المناطق في أحيان عديدة، وقد أضحت تلك الإجازات والبعثات العلمية للشيخ، إحدى أشكال التواصل العلمي بين الزاوية المعينية بالصحراء الغربية وحواضر المغرب الأقصى وإفريقيا الغربية، ومن بين العلماء الذين أجازهم الشيخ وصدرهم نذكر:

#### 1- أحمد بن الشمس:

حيث يعد من أشهر مريدي الشيخ وقد لازم الشيخ حوالي 30 سنة، كما خدم الشيخ طيلة هذه الفترة وأخذ عنه العلوم الظاهرة والباطنة، وتضلع في علوم متعددة على غرار التصوف والفقه وغيرها. بعد أن أجازته الشيخ، أرسله إلى قبيلة إدو الحاج التي ينحدر منها الشيخ أحمد بن الشمس، حيث تخرج على يده أيضا الكثير من العلماء والفقهاء من القبيلة وغيرها، وقد عاد أحمد بن الشمس مرة أخرى إلى زاوية الشيخ ماء العينين بالسمارة، واستزاد من المعارف والعلوم الامر الذي جعل الشيخ يعينه خليفة على زاويته بفاس، فتتلمذ عليه جمع كبير من أهل المدينة آنذاك، بعد الدخول الفرنسي للمغرب الأقصى إستقر الشيخ بالمدينة المنورة وذلك بعد أن أدى فريضة الحج، وقد تتلمذ على يده جمع غفير من الطلبة والمريدين حتى أن عددهم فاق من تتلمذوا على يده في المغرب الأقصى كما ذكر ابن العتيق<sup>1</sup>، ومما يمكن استنتاجه مما سبق أن الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي ساهم بشكل كبير في نشر أفكار ومنهج الشيخ ماء العينين في موريتانيا وفاس والمدينة المنورة، والفضل يعود في ذلك بدرجة أولى للشيخ ماء العينين، الذي صدر تلميذه إلى شنقيط وفاس التي كانت بوابته للمدينة المنورة.

#### 2- الشيخ أحمد الهيبة.

يعد الشيخ أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين، الخليفة الأول لوالده بعد وفاة هذا الأخير بتيزنيت (1328هـ/1910م)، وقد ولد أحمد (1291هـ/1875م) والدته ميمونة بنت أحمد بن

<sup>1</sup> (ماء العينين بن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص 128.

على، تلقى تعليمه على يد والده الذي أجازته في مختلف علوم وفنون عصره، وقد كانت له مكانة خاصة عند والده الذي كان يلقبه "دليل الخيرات"، قال عنه شقيقه الشيخ محمد الغيث النعمة "كان من أكابر العلماء العاملين ومشاهير الفضلاء الأكرمين" توفي سنة 1919م ودفن بأكدوس بالجنوب المغربي<sup>1</sup>، أما عن أدواره العلمية فقد كان لهذا العالم، دوراً كبيراً في الحياة العلمية بالصحراء الغربية والمغرب الأقصى، فبعد أن أجازته والده كما سبق وذكرنا، تصدر للتدريس بزواوية والده بالسمارة، وبعد وفاة والده خلفه في التدريس وتربية المريدين بزواوية الشيخ ماء العينين بترنيت، وقد صدر العديد من التلاميذ على غرار أحمد بن حبيب الله اليعقوبي، كما ترك عدة مؤلفات منها سراج الظلم فيما ينفع المعلم والمتعلم، ومجموعة من الفتاوى الفقهية جمعت تحت مسمى "أجوبة الشيخ أحمد الهيبة"، وكتاب سرادقات الله الدافعات في البلايا والطواعين والأمراض والمهمات<sup>2</sup>.

### 3- الشيخ مربيه ربه:

هو الشيخ المصطفى بن ماء العينين، لقبه والده بـ "مربيه ربه"<sup>3</sup>، ولد سنة (1298هـ/1881م) بمنطقة أزمول الطيحة نواحي تيرس، نشأ في بيت والديه وحفظ القرآن وبعض مبادئ الفقه والنحو على يد الشيخ الحضرامي ابن الشيخ محمد الأمين، كما أخذ عن والده الفقه والنحو والتصوف والشعر والبلاغة وغيرها من العلوم الظاهرة والباطنة<sup>4</sup>.

بعد أن أجزى من طرف والده في ما حصله من علوم، كُلف بالتدريس في زاوية السمارة، لكن بعد وفاة والده أصبح اليد اليمنى لأخيه أحمد الهيبة في قيادة حركة المقاومة في الشمال، إلا أن ذلك لم يعفّه من القيام بدوره التعليمي، بحيث كان يعقد كل خميس مجلساً موسعاً للبحث في مسائل العلم والنوازل<sup>5</sup>، بعد وفاة أخيه أحمد الهيبة بويع خليفة له بالإجماع، فقام بمهامه السياسية

<sup>1</sup> أحمد الهيبة: مصدر سابق، ص ص 19\_29.

<sup>2</sup> نفسه: ص 31.

<sup>3</sup> أحمد بن الشمس: مصدر سابق، ج 1، ص 177.

<sup>4</sup> عبد الرحمان شيبية: لبانة المجاهدين وبغية الطالبين للعلامة المجاهد الشيخ سيدي مصطفى بن الشيخ ماء العينين "مربيه ربه"

دراسة وتحقيق، بحث لنيل الاجازة، اشراف محمد الشنتوف، جامعة القرويين، كلية اصول الدين بتطوان، المغرب،

2010/2009، ص 05.

<sup>5</sup> نفسه: ص 06.

على أحسن حال، وازداد اتساع مجلسه العلمي في "كردوس" نواحي تيزنيت، حيث أصبح يقام المجلس يوميا وازدادت أعداد العلماء فيه<sup>1</sup>، حيث ازدهرت الحياة الثقافية في بلدة كردوس والمناطق المحيطة بها، وقد يكون لمكانته السياسية دورا في ذلك إلا أن مكانته العلمية سبقت مكانته السياسة.

بعد دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة سنة (1352هـ / 1933) انتقل إلى الطرفاية حيث أصبحت مركزا علميا جديد وعرفت توافد العديد من العلماء إلى غاية وفاته سنة (1361هـ / 1942م)<sup>2</sup>، وقد ترك العديد من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون على غرار: إغاثة اللفهان، حزب سعادة الدارين والكفاية من المهمين، إظهار المكنون في كشف الظنون، الفرائض القرآنية في التركة الإسلامية وغيرها<sup>3</sup>، ومما سبق يمكن القول أن الشيخ مرييه ربه ساهم بشكل كبير في الحركة العلمية بالصحراء الغربية والمغرب الأقصى، فقد شهد قدومه على المخزن احتكاك وتبادل ثقافي بينه وبين علماء المغرب الأقصى، إضافة إلى المساهمة في تنشيط الحركة العلمية بكردوس وطرفاية، في الفترة التي كان فيها قائدا للمقاومة، فأينما حل ترك أثرا علميا.

#### 4- محمد الحسن ابن الشيخ ماء العينين.

هو الشيخ محمد الحسن الملقب بحسنا بن الشيخ ماء العينين، أمه مليكة بنت سيدي محمد بن الدرجة اللبية، ولد سنة (1282هـ / 1866م)، وعلى غرار إخوته درس الشيخ حسنا على يد والده الشيخ ماء العينين، وأجازته في جميع العلوم والفنون التي كان يتفرس فيها وصدره إلى أدرار، توفي سنة (1334هـ / 1916م) ودفن بزاوية والده بفاس<sup>4</sup>.

بعد أن قدم الشيخ حسنا إلى أدرار، ذاع صيته على اعتباره أحد أبناء الشيخ ماء العينين صاحب المكانة العالية بالمنطقة، وقد تتلمذ على يد الشيخ حسنا في أدرار العديد من المريدين الذين أتوه من جميع قبائلها، قال عنه ابن العتيق في سحر البيان " ظهر فيها ظهور القمرين، وسار بسيرة

<sup>1</sup> ماء العينين بن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص 115.

<sup>2</sup> نفسه: ص 115.

<sup>3</sup> عبد الرحمان شيبية: مرجع سابق، ص 07.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص 501.

العمريين، وكثرت أتباعه فيها عربا وزوايا<sup>1</sup>، وولت من خلال ذلك أن الشيخ حسنا بما يتميز به من مؤهلات علمية، استطاع أن يصنع لنفسه مكانة علمية واجتماعية ضمن قبائل أدرار، وقد استطاع بذلك كسب الكثير من الأتباع للطريقة الفاضلية الصوفية.

## 5- المامي بن البخاري القرعي.

هو العالم الشيخ المامي بن البخاري بن بوبكر القرعي، نسبة إلى قبيلة القرع إحدى بطون أولاد مهلهل، كان يلقب بـ"أبوه" وقد سمي المامي نسبة إلى العالم الجليل الشيخ محمد المامي بن البخاري بن حبيب الله وهو من آل بارك الله، وقد ولد صاحب الترجمة في مخيم الشيخ محمد المامي المذكور، ودرس عليه ودعا له، قبل أن يتوجه إلى الساقية الحمراء رفقة أخيه سيدي، للدراسة عند الشيخ ماء العينين، وقد أخذ على الشيخ مختلف العلوم والفنون بعدما مكث عنده قرابة 10 سنوات.

بعد أن أخذ على الشيخ ماء العينين أجازته هذا الأخير في علم السلوك وصدده إلى نواحي "وادي الشبيكة"<sup>2</sup>، وخلال الفترة التي أقام فيها بهذه النواحي، قدم إليه الكثير من المريدين وتعلموا عليه، وبذلك ساهم بشكل كبير في الحركة العلمية بمنطقة وادي الشبيكة الواقعة على طريق رئيسي يربط عيون الساقية الحمراء بطانطان<sup>3</sup>.

## 6- أحمد ابن الخياط الصوفي:

هو أحمد بن محمد بن عمر الزكاري الحسني الشهير بابن الخياط، ولد سنة (1252هـ/1836م) بفاس، وبها نشأ وتلقى تعليمه، ويعد الشيخ العلامة أحمد ابن الخياط من أعلام حاضرة فاس، والمشهود لهم بالعلم والصلاح في المغرب الأقصى بصفة عامة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص105.

<sup>2</sup> وادي الشبيكة: يقع هذا الوادي في المنطقة الرابطة بين العيون والطانطان.

<sup>3</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج1، ص ص 430\_432.

<sup>4</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على النفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص،

مصدر سابق، ص 29.

بعد أن تخرج من حاضرة فاس قدم السمارة للتلقي من علمائها، حيث تلقى على يد الشيخ ماء العينين الكثير من العلوم، وكما يذكر في فهرسته الصغرى أن الشيخ ماء العينين أذن له تلقين ورد السادات النقشبندية وغيرهم من أورااد شيوخ الصوفية، وقد اشتهر بعلومه في الفقه والفرائض إلى جانب تبخره في النوازل الوقتية، وبما أنه بصير بعلمها عارفا بمعانيها وأحكامها كان المرجعية الأساسية لمعظم فقهاء عصره، كما عُرف أحمد ابن الخياط باطلاعه على علم التفسير والحديث والقراءات وعلم المعاني والبيان العربية وغيرها، ومن المناصب العلمية التي شغلها هي تقلد رئاسة المجلس العلمي بفاس، توفي سنة (1342هـ/1924م) ودفن بفاس<sup>1</sup>.

#### 7- أحمد بن محمد البشير الغلاوي:

هو أحمد بن محمد البشير بن البخاري بن أحمد محمود الغلاوي، حيث يعد من بين تلاميذ الشيخ ماء العينين الذين مكثوا كثيرا في مجالسه، كان ذا باع في الأدب والشعر وعالما بالكثير من العلوم والفنون، الأمر الذي جعل شيخه الشيخ ماء العينين يصدره إلى قبيلته بصحراء شنقيط ودرس عندهم فترة وانتفعوا به كثيرا<sup>2</sup>، لذلك يمكن أن نعه من بين طلبة الشيخ ماء العينين الذين كان لهم دور في نشر القيم المعينية خارج محيط الصحراء الغربية، عاد بعدها للسمارة وعين من قبل الشيخ ماء العينين قائد على إحدى ألوية الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي نواحي بلاد شنقيط فأبلى البلاء الحسن إلى غاية استشهاده في معركة أقصير الطرشان نواحي أدرار<sup>3</sup>.

#### 8- محمد بن أنبال:

يعد من شرفاء تيشيت الحاضرة العلمية بموريتانيا، حيث عرف عليه الصلاح والتقوى إلى جانب تواضعه الكبير ويظهر ذلك من خلال مداومته على سلوك الطريقة حتى بعد إجازته فيها،

<sup>1</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الاقدس على الانفس في اصول الفقه وبلية تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، مصدر سابق، ص 29.

<sup>2</sup> الطالب اخير بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 01، ص 234.

<sup>3</sup> نفسه: ص 235.

حيث قدم الشيخ ماء العينين في السماراة وأخذ عليه الطريقة واشتغل في إصلاح نفسه بالذکر والإدمان على العبادات<sup>1</sup>.

بعدهما أجازه الشيخ ماء العينين في الطريقة أوكل له مهمة تعليم القرآن لأبنائه الصغار وبعض الفتية، فأحسن تعليمهم وتأديبهم حتى أن البعض من تلامذته أتقن عليه القرآن حفظاً وتلاوة وأجازهم في ذلك، أرسله بعد ذلك شيخه الشيخ ماء العينين للجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في الجنوب وهناك استشهد رحمة الله عليه<sup>2</sup>. لذلك يمكن أن نعتبر هذا العلامة من بين تلاميذ الشيخ ماء العينين الذين جمعوا بين العلم والتعليم والجهاد، فقد أتى مجلس الشيخ للتعليم وأخذ الإجازة وعلم وكان له مريدون، إلى جانب ذلك ساهم في محاولات صد الغزو الفرنسي لموريتانيا والصحراء الغربية.

## 9- عبد السلام القلعي الريفى.

هو العلامة الشيخ عبد السلام الخياط بن محمد بن علي الويسانى القلعي، كان عارفاً بالله فقيهاً ورعاً، كان شغله الشاغل تعلم العلم وقضاء حوائج المحتاجين والإصلاح بينهم، كان أول اتصال له بالشيخ ماء العينين، عن طريق مريده الحاجب الملكى إدريس بن يعيش، ثم اتصل به وبايعه سنة (1311هـ / 1894م) وأخذ منه الإجازة في الأوراد وتلقين الدروس للطلبة الواردين عليه، وكان ذلك سنة (1317هـ / 1899م)<sup>3</sup>.

بعد أن أخذ الإجازة من شيخه الشيخ ماء العينين، قدمه هذا الأخير على زاويته ببني الأنصار قرب مليلة شمالي المغرب الأقصى، وقد كان له الفضل الكبير في نشر الورد الفاضلي المعيني بهذه النواحي، ومما ورد في إجازة الشيخ ماء العينين له: " هذا وليعلم الواقف عليه من جميع طائفة مريدنا الآخذين على السيد الفاضل عبد السلام القلعي، أنى قبلت انحياشهم لطريقتنا...، وأنى أجزته هو في إعطاء ما شاء لمن شاء من الأوراد، وإقراء ما شاء من العلم لمن شاء..."، توفي سنة

<sup>1</sup> ماء العينين بن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص 148.

<sup>2</sup> نفسه: ص 148.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص 391.



(1324هـ/1907م)، وترك عدد هائل من الطلبة والمريدين، لعل أبرزهم ابنه محمد الذي كلفه الشيخ ماء العينين بالقيام على زاويته ببني أنصار<sup>1</sup>.

#### 10- محمد السالم بن حابوس:

يعد هذا العلامة من بين تلاميذ الشيخ الذين التحقوا بالزاوية المعينية في بداية مسيرتهم التعليمية، حيث تعلم القرآن وبعض العلوم، بعدها جعله الشيخ ماء العينين مقدا على تلاميذه في زاويته بالصويرة، فكان نائبا له في أمور تسيير الزاوية وسفيرا له في تلك البلاد، وقد ساهم بشكل كبير في نشر سنن شيخه وطريقته الصوفية<sup>2</sup>.

#### 11- محمد العاقب بن مايبا الحكني.

هو العلامة الشيخ محمد العاقب بن سيدي عبد الله بن سيدي أحمد المعروف بمايبي، يصل نسبه إلى علي بن جاك، الجد الأول لتجكانت القبيلة البيضانية المعروفة بالعلم، وأمه فاطمة بنت محمد الأمين بن خطار بن أحمد بن بيه الحكنية، حيث ولد بقرية تسمى "تكبة"<sup>3</sup> سنة (1275هـ/1855)، كان والده سيدي عبد الله عالما كبير وقد أخذ الإجازة التصوف من الشيخ محمد فاضل ابن مامين<sup>4</sup>.

نشأ محمد العاقب في مسقط رأسه وأخذ العلم عن والده وعن بعض علماء عصره على غرار الشيخ ابن حامي الغلاوي، قال عنه ابن الشمس في النفحة الأحمدية "هو العلامة المشارك، أبو الفيض في العلوم كلها الزاهد الورع الصوفي..."<sup>5</sup> وعن اتصاله بالشيخ ماء العينين، يقول عن نفسه في مجمع البحرين، أنه كان يبحث عن شيخ ناصح ذي برهان واضح، ولم يجد ذلك إلا في

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص392.

<sup>2</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص 148.

<sup>3</sup> تكبة: قرية صغيرة تقع شمالي قرية تامكشط بحوالي اربعين كيلومتر، وهي تابعة إقليميا للحوض الغربي الموريتاني.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص513.

<sup>5</sup> أحمد ابن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص122.

الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل<sup>1</sup>، حيث قدم عليه في تيرس وتعلم على يده وأرسله إلى أهله حوالي (1311هـ/1893م) بعدما أجازته في جميع العلوم<sup>2</sup>.

كان للشيخ محمد العاقب دور بارز في نشر الورد الفاضلي المعيني في منطقة الحوض الغربي الموريتاني، وقد تعلم على يديه الكثير من المريدين، على غرار إخوته محمد تقي الدين ومحمد الخضر، توفي بزواوية الشيخ ماء العينين بفاس سنة (1327هـ/1909م) متأثراً بمرض الحمى والجذري، وترك العديد من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون نذكر منها، نظم في قواعد مذهب مالك، وكفاية السعيد في السجود على غير الصعيد، ومجمع البحرين في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين<sup>3</sup>.

## 12- محمد بابا لصحراوي.

هو الأديب الكبير محمد بابا الإجاكوجي الشنقيطي، نسبة إلى قبيلة "إجاكوجا" إحدى قبائل الزوايا بشنقيط، ولد سنة 1290هـ ونشأ في مسقط رأسه بين قبيلته وهناك تلقى تعليمه، عرف بفراسته في الأدب والشعر، قدم على الشيخ ماء العينين إلى الصحراء الغربية حوالي 1323هـ، وأخذ عنه الكثير من العلوم وأجازته فيها<sup>4</sup>.

بعد أن وفد محمد بابا على الشيخ ماء العينين في السمارة، أوكل إليه هذا الأخير مهام التدريس بمدارسها، وقد أسند إليه أيضا مهمة نسخ بعض مخطوطاته لأنه كان يمتلك خطأ جميلا، قال عنه مريده الشيخ محمد الإمام بن ماء العينين " كان أستاذ طبقتنا، وهو فوق ذلك شاعر مفلح، حسن الأخلاق، رقيق الحاشية... كرس حياته على علم يفيد أو يستفيد"، بعد وفاة الشيخ ماء العينين لازم ابنه أحمد الهيبة، كما كانت له مشاركات في المجالس العلمية الإليغية، توفي سنة (1342هـ/1923م) ودفن بأكردوس، وقد ترك مجموعة من المؤلفات منها، شرح حسن على لامية العرب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد العاقب ابن مايا الجكني: مصدر سابق، ص2.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج1، ص514.

<sup>3</sup> نفسه: ص514.

<sup>4</sup> المختار السوسي: المعسول، مصدر سابق، ج3، ص29.

<sup>5</sup> نفسه: ص ص 29\_34.

### 13- الحاج عبد الرحمان الوجدى.

هو العلامة الفقىه عبد الرحمان بن محمد بن الهاشمى المىرى الإدرىسى الوجدى دارا ومسكنا، كان مسقط رأسه سنة (1273هـ/1857م) بوجدة، وهناك تلقى تعلمه على يد والده محمد بن الهاشمى قاضى وجدة آنذاك، بعدها انتقل إلى جامع القروىين بفاس، قبل أن يقدم على الشىخ ماء العىنن بالسامرة سنة (1318هـ/1901م)، وقد أخذ على الشىخ الورد المعىنى الفاضلى، وأجازاه فى الطرىقة الفاضلىة القادرىة، ثم عاد إلى وجدة فى نفس السنة<sup>1</sup>.

بعد أن عاد الشىخ عبد الرحمان الوجدى إلى مسقط رأسه وجدة، اجتهد كثرىا فى تلقىن الورد الفاضلى، وتمكن من استمالة الكثرى من الأتباع، ثم تبادر إلى ذهنه إنشاء زاوىة بوجدة تكون فرعاً عن زاوىة الشىخ ماء العىنن بالسامرة، وكتب إلى الشىخ ماء العىنن يستشیره وىطلب منه الإجازة فى ذلك، فوافق الشىخ على الأمر وأجازاه فى ذلك<sup>2</sup> (ملحق 08)، وقد كان لهذه الزاوىة دورٌ كبرىٌ فى الحىاة العلمىة والاجتماعىة بوجدة، واستقطبت العىد من طلبة العلم والمرىدین والضعفاء، بالرغم من المضایقات اللى كانت تقوم بها السلطات الفرنسىة على الزاوىة، بعد احتلال وجدة سنة (1324هـ/1907م)، بحجة أنها من جملة أملاك الشىخ ماء العىنن العدو الأول لفرنسا فى الصحراء الغربىة، توفى سنة (1351هـ/1932م)، ودفن بزاوىة الشىخ ماء العىنن بوجدة<sup>3</sup>.

### 14- أخیار القلزمى الشنقىطى.

هو العالم الناسك شىخ التربىة أخیار أهل بن العباس بن مامىن، وهو ابن عم الشىخ ماء العىنن، سمى بأخیار أهل بمعنى خىر أهله، وهو اسم أطلقته علیه أمه، وىقول عنه ابن الشمس نقلا عن المامى ومحمد نافع وهم تلامذة الشىخ، أن أخیار هذا عندما أتى الشىخ ماء العىنن قال له "إنى لا أرىد المال ولا القرابة، وإنما أرىد أن توصلنى إلى ربى، وتجعلنى كالتلامىذ لا كالقرابة" وقد مكث لدى الشىخ قبل أن یرسله ىذهب إلى حىث یشاء، وقد إستقر نواحى بلاد السودان الغربى<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الطالب أخیار بن الشىخ مامىنا: مرجع سابق، ج1، ص387.

<sup>2</sup> ینظر الإجازة فى الملحق رقم 08، ص270.

<sup>3</sup> الطالب أخیار بن الشىخ مامىنا: مرجع سابق، ج1، ص388.

<sup>4</sup> أحمد بن الشمس الشنقىطى: مصدر سابق، ج2، ص127.

بعد أن قدم الشيخ أخيار على أهل السودان، وجد أغلبهم كفارا وبناء على ما أورد ابن الشمس فقد أسلم على يديه الكثير منهم، وتلمذ عليه خلق كبير منهم، حتى وافته المنية نواحي بلاد السودان، وقد أوصى تلامذته من أهل المنطقة بأن يأخذوا على الشيخ ماء العينين، وبناء على هذه الوصية، قدم على الشيخ الكثير من أهل المنطقة، والبعض الآخر منهم تتلمذوا على يد العالم الشيخ سعد بوه<sup>1</sup>.

## 15- ماء العينين بن العتيق:

هو العالم الجليل حفيد الشيخ ماء العينين، ماء العينين بن العتيق بن محمد الليل بن محمد بن أحمد بن الطالب أخيار بن الطالب محمد بن الجيه المختار، والدته ابنة الشيخ السيدة العالية، وقد ولد ابن العتيق سنة (1305هـ/1888م)، وبعد خمس سنوات من مولده توفي والده العتيق، فكفله جده الشيخ ماء العينين، وقد تلقى تعليمه على يد محمد بن أنباله التيشيبي، كما تعلم من والدته العالية اللغة العربية والفقه، وقد أخذ الإجازة عن الشيخ ماء العينين في القرآن وأصول الفقه والبيان والنحو، وأخذ الإجازة في القرآن برواية ورش وقالون من الشيخ زين بن البكاي القلزمي سنة (1318هـ/1901م)، ثم أجازه أيضا محمد العاقب ابن ماياها الحكني في أصول الفقه أيضا<sup>2</sup>.

بعد أن أخذ الإجازة صدره الشيخ للتدريس بالسمارة، حيث درس فيها مدة قبل أن يتولى القضاء في مدينة الطانطان، وفي سنة (1375هـ/1956م) عين أستاذا بالكلية اليوسفية بمراكش، وقد تخرج على يديه الكثير من الطلبة والمريدين، كما أخذ منه الإجازة عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية، والشاعر ابو بكر بن الشيخ مربيه ربه، وقد توفي سنة (1376هـ/1957م)، وترك العديد من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون، نذكر منها مخطوط "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان" و"مسرح الأفكار بشيرة النبي المختار"<sup>3</sup>.

## 16- عبد القادر الفقيقي.

هو عبد القادر بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الودغيري الإدريسي الفقيقي، ولد بمنطقة قصر أولاد سليمان بفقيق سنة (1285هـ/1869م)، وهناك نشأ وتلقى مبادئ العلوم<sup>4</sup>، كما يعد من بين

<sup>1</sup> أحمد بن الشمس الشنقيطي: مصدر سابق، ج2، ص127.

<sup>2</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماء العينين: مرجع سابق، ج1، ص428.

<sup>3</sup> نفسه: ص429.

<sup>4</sup> نفسه: ص401.

لمعلمين المختصين في البناء والتشييد، قدم على الشيخ ماء العينين فترة بناء السمارة، وقد شارك في أشغال بنائها رفقة معلمين الذين قدموا لهذا الغرض، وبعد أن اكتمل البناء مكث عبد القادر الفريقي في السمارة، حيث بايع الشيخ ماء العينين وأخذ عليه الطريقة وأرسله إلى أهله<sup>1</sup>.

بعد أن أجازاه الشيخ ماء العينين، عاد الشيخ عبد القادر الفيككي إلى منطقة فقيق، وقد اصطحب معه العديد من مخطوطات الشيخ ماء العينين، حيث كان له الفضل في نسخ العديد من كتب الشيخ، إضافة إلى مساهمته الكبيرة في نشر الورد المعيني نواحي الريف الشرقي المغربي<sup>2</sup>، وقد استقر أواخر حياته ببلدة "قباية" بالجنوب المغربي، واشتهر هناك بمعالجة المرضى وقضاء حوائج المسلمين<sup>3</sup>، توفي بالمدينة المنورة سنة (1380هـ / 1961م)<sup>4</sup>.

مما سبق نستنتج أن الشيخ ماء العينين استطاع بواسطة إمكاناته العلمية أن يصنع لنفسه مكانة متميزة بين المجتمع البيضاوي الصحراوي، ويظهر هذا الأمر من خلال الكم الهائل من الطلبة الذين تتلمذوا على يديه، من مختلف قبائل الصحراء الغربية وشنقيط على اختلاف مستوياتهم الإجتماعية، بل تعدى ذلك إلى المغرب الأقصى ومناطق أخرى مجاورة، وقد كان لهؤلاء التلاميذ الفضل في نشر الطريقة القادرية الفاضلية المعينية في مختلف الأنحاء التي قدموا منها، وبالتالي يكون الشيخ ماء العينين قد حقق مجموعة من الأهداف التي رسمها قبل الاستقرار بالمنطقة، ومن بين الأهداف المحققة نذكر:

- نشر حركته الإصلاحية بداية من منطقة الساقية الحمراء، وتوسعها بفضل العدد الكبير لمريديه في مختلف المناطق.
- توسيع نفوذ آل الطالب المختار ليشمل مناطق أخرى من تراب البيضان، بعدما كان نفوذهم ينحصر ضمن مجال الحوض الموريتاني.

<sup>1</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص 149.

<sup>2</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 1، ص 402.

<sup>3</sup> خوليو كارو باروخا: مرجع سابق، ص 428.

<sup>4</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 1، ص 402.

### الفصل الرابع: المؤلفات العلمية للشيخ ماء العينين

- المبحث الأول: مؤلفاته في الفقه وأصوله
- المبحث الثاني: مؤلفاته في الأدب والتصوف
- المبحث الثالث: مؤلفاته في العلوم والفنون الأخرى

## الفصل الرابع: المؤلفات العلمية للشيخ ماء العينين

ترك الشيخ ماء العينين مؤلفات عديدة في فنون وعلوم متعددة، وقد قدرت الأستاذ الطالب أختيار بن الشيخ مامينا عدد مؤلفاته بحوالي 100 كتاب ومخطوط، طبع له منها في المطبعة الحجرية حوالي 80 كتاب<sup>1</sup>، وقد أوردت بعض الدراسات الأخرى أكثر من هذ العدد، ولعل السبب في هذا التضارب حول عدد مؤلفات الشيخ يعود إلى ضياع عدد كبير من مكتبته بعد حملة الاستعمار على مدينتي السمارة وتيزنيت كما سبق الذكر، ومن الأسباب التي ساهمت في تكوينه العلمي وانفتاحه على مختلف العلوم ما يلي:

- انتمائه إلى أسرة عرفت بالعلم والتأليف أبا عن جد منذ أجيال متعددة، فوالده مثلاً فاقت مؤلفاته المئة كتاب في مختلف العلوم والفنون، وعلى أثره سار الشيخ ماء العينين الذي تمكن بفضل منهجه التعليمي المتميز من استقطاب العديد من العلماء إلى رباطه بالسمارة.
- رحلاته العلمية المتعددة والمتكررة إلى مختلف الحواضر المغربية والاسلامية، هذه الرحلات أكسبته خبرات كبيرة وعزز قدراته العلمية والثقافية. وهو الأمر الذي مكّنه من الإدراك والمشاركة في مختلف العلوم المتداولة في عصره إدراكاً تاماً<sup>2</sup>.
- علاقته الجيدة بسلاطين المغرب الأقصى ومعايشته لخمس ملوك علويين أكسبته مكانة كبيرة في المنطقة، وقد ساعده ذلك أيضاً في طباعة حوالي ثمانين كتاباً من مؤلفاته بالمطبعة الحجرية بفاس، ومن بين المؤلفات المعنية في مختلف العلوم نذكر:

<sup>1</sup> الطالب اختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص 140.

<sup>2</sup> إحياء بن مسعود الطالبي: مرجع سابق، ص 342.

## المبحث الأول: مؤلفاته في الفقه وأصوله

### 1) المرافق على المواقف

هو عبارة عن نظم اختصر فيه الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي مع شرح لها بناء على ما جاء في الموافقات، وذلك بعدما اطلع على النظم سنة 1306هـ، ويعد الشيخ ماء العينين أول من أدخل الموافقات إلى الصحراء الغربية والسوس<sup>1</sup>، ومن الأسباب التي جعلته يؤلف نظاماً على الكتاب يقول الشيخ في ذلك:

" شرعت في استخراجي منه نظماً لعله يفيد من طلب منه علماً فتفضل الله علي بنظمه، لكن تعذر علي الغير بعض فهمه فطلب مني أن أشرحه شرحاً يبين معناه لتكثر الفائدة ويسهل فهمه لمن تعناه، فشرحته شرحاً ما جهدت فيه إلا في الاختصار والتجافي عن منهج الإكثار... ولذلك جعلت هذا الشرح مجلداً واحداً ولو مددت فيه القلم لكان أربع مجلدات أو زائداً لكني أتيت من الأصل بما فيه الكفاية ما تحصل البغية لأهل الدراية ولذلك سميت به -: المرافق على المواقف"<sup>2</sup>. ويضيف الشيخ ماء العينين قائلاً " لأني وجدت هذا الكتاب لاسيما في بلادنا مهجوراً بل كأنه لم يوجد ولم يكن له ذاكر فلم يكن مذكوراً فرجوت من الله أن يحييه بنا ويحيينا به..."<sup>3</sup>.

أما عن محاور الكتاب فقد قسم إلى خمسة أقسام:

**القسم الأول: في المقدمات العلمية:** ويتضمن اثنا عشر مقدمة، حيث خصص المقدمة الأولى أصول الدين قطعية، فيما خصص الثانية للحديث عن المقدمات والدليل المستعملة في النظم، الثالثة تكلم فيها عن استعمال أدلة العقل في هذا العلم، أما الرابعة فخصصها لما يبني عليه الفقه، وفي الخامسة تحدث عن الخوض فيما ليس يبني عليه عمل، والسادسة ما يتوقف عليه معرفة المطلوب له طريقان، في السابعة تحدث عن العلم الشرعي وسيلة للعبادة، وخصص المقدمة الثامنة للحديث عن

<sup>1</sup> ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين: المرافق على المواقف، مصدر سابق، ص 03.

<sup>2</sup> إحياء بن مسعود الطالبي: مرجع سابق، ص 348.

<sup>3</sup> نفسه: ص 349.



العلم المعترف في الشرع ومراتب أهل العلم في طلبه وتحصيله، فيا تحدث في التاسعة عن تقسيم العلم إلى صلب وملح ولا ملح، وفي المقدمة العاشرة تكلم عن تعاضد النقل والعقل في الشرع، وخصص المقدمة الحادي عشر للحديث عن المعترف من العلم، وفي المقدمة الثاني عشر أنفع الطرق الموصلة إلى العلم، وفي المقدمة الثالث عشر أورد فيها كل أصل جرى به العمل فهو صحيح.

### القسم الثاني: في كتاب الأحكام: ويحتوي على قسمان:

- القسم الأول: في خطاب التكليف، حيث عالج فيه اثنا عشر مسألة في الأحكام الشرعية الخمس وأقسامها<sup>1</sup>.

- القسم الثاني: في خطاب الوضع، ويحتوي على خمسة أنواع على النحو التالي:

أ- النوع الأول: في الأسباب، ويحتوي على أربع مسائل.

ب- النوع الثاني: في الشروط، ويحتوي على ثمان مسائل.

ت- النوع الثالث: في الموانع، ويحتوي على ثلاث مسائل.

ث- النوع الرابع: في الصحة والبطالان، ويحتوي على ثلاث مسائل.

ج- النوع الخامس: في العزائم والرخص، ويحتوي على إحدى عشر مسألة<sup>2</sup>.

### القسم الثالث: في كتاب المقاصد: ويحتوي على قسمين:

- القسم الأول: فيما يرجع إلى قصد من شرع، ويحتوي هذا القسم على أربعة أنواع ضمن كل نوع مجموعة من المسائل.

- القسم الثاني: في ما يرجع إلى مقاصد المكلف في التكليف، ويحتوي هذا القسم على اثني عشر مسألة.

### القسم الرابع: أوله كتاب الأدلة الشرعية: ويحتوي على:

<sup>1</sup> ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين: المرافق على الموافق، مصدر سابق، ص 63.

<sup>2</sup> نفسه: ص 83.

- النظر في الطرف الأول: في الأدلة على الجملة، ويحتوي على أربعة عشر مسألة.
- النظر في الطرف الثاني: في عوارض الأدلة، ويحتوي على خمسة فصول ضمن كل فصل مجموعة من المسائل.
- الطرف الثاني: في الأدلة على التفصيل، ويحتوي في الجزء الأول على الأدلة من القرآن، والجزء الثاني في الأدلة من السنة<sup>1</sup>.

#### القسم الخامس: كتاب الاجتهاد: ويحتوي على:

- الطرف الأول: يتعلق بالمتهد من جهة الاجتهاد، ويتضمن أربعة عشر مسألة.
- الطرف الثاني: فيما يتعلق بالمتهد من جهة فتواه، ويتضمن أربع مسائل.
- الطرف الثالث: فيما يتعلق بأعمال قول المتهد، ويتضمن تسع مسائل.
- باب يتعلق بكتاب الاجتهاد، ويتمن النظر الأول منه مسألتين، فيما يحتوي النظر الثاني على ست مسائل<sup>2</sup>.

بالرغم من الأهمية التي اكتسبها كتاب "الموافق" إلا أنه نال بعض الانتقاد من قبل بعض الباحثين على غرار الدكتور إحياء بن مسعود الطالبي الذي رأى أن الشيخ ماء العينين في سعيه لتجنب الإطناب الممل وقع في التقصير المخل، حيث أسقط العديد من الجوانب المهمة من الكتاب الأم، فمثلا في المقدمة الثانية من القسم الأول أسقط ما يتعلق باتفاق الأمم والملل على أن الشريعة الإسلامية وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، بينما أشار إليها الشاطبي في الكتاب الأم<sup>3</sup>، لكن حسب رأيه أن الشيخ ماء العينين لم يهمل الأمور الهامة في "الموافقات" وإنما ركز على ذكر وشرح الأمور الضرورية والمسائل الأكثر تعقيدا في كتاب "الموافقات" حتى يتسنى له الإحاطة بأكثر عدد ممكن من المسائل الواردة في الكتاب الأم كما ذكر في أسباب تأليفه، لذلك نعتبر كتاب "الموافق على الموافق" اللبنة الأولى والمرجعية الأساسية في البناء المقاصدي بالمغرب الإسلامي.

<sup>1</sup> ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين: الموافق على الموافق، مصدر سابق، ص ص 351-629.

<sup>2</sup> نفسه: ص ص 629\_814.

<sup>3</sup> إحياء بن مسعود الطالبي: مرجع سابق، ص 350.

## 2) الأقدس على الأنفس في أصول الفقه

وهو نظم شرح فيه الشيخ ماء العينين نظم الورقات في أصول الفقه المسمى "بالأنفس" لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري، وقد كان المادة المصدرية التي اعتمدها الشيخ في شرح النظم كتاب "قرة العين بشرح الورقات لإمام الحرمين" للعلامة عبد الله محمد بن محمد الرعيني المالكي المعروف بـ "الخطاب"، ولعل ما دفع الشيخ ماء العينين لوضع هذا الشرح حسب ما أورده في مقدمته للكتاب كان بطلب من بعض الإخوان الصادقين<sup>1</sup>، أما أهمية الكتاب تكمن في كونه يحتوي على شرحا بسيطا ميسرا يساهم بشكل كبير في فهم أبيات نظم "الأنفس" لأمام الحرمين، ويقول الباحث إحياء بن مسعود الطالبي عن أهمية "الأقدس" أنه يتميز عن كتاب "الورقات" بمنهجه التوضيحي والتمثيلي الجسد في الكثير من القضايا الواردة في النظم<sup>2</sup>.

ويحتوي النظم على 161 بيت، رتبها الشيخ ماء العينين في محاور على النحو التالي:

- استهلال
- مقدمة شاملة لما سيتعرض له
- أقسام الكلام.
- الحقيقة والمجاز.
- باب الأمر.
- فصل فيمن يتناوله الخطاب ومن لا يتناوله في الأمر والنهي.
- باب النهي.
- باب العام.
- باب الخاص.
- باب المطلق والمقيد.
- باب الظاهر والمؤول.
- باب الأفعال.

<sup>1</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الأقدس على الأنفس في أصول الفقه، مصدر سابق، ص 62.

<sup>2</sup> إحياء بن مسعود الطالبي: مرجع سابق، ص 347.

- باب النسخ.
- فصل في بيان ما يفعل في التعارض بين الأدلة.
- باب الإجماع.
- باب الأخبار.
- باب القياس.
- باب الحظر والإباحة.
- باب الأدلة.
- باب صفة المفتي والمستفتي.
- باب الاجتهاد.
- خاتمة الكتاب<sup>1</sup>.

### 3 دليل الرفاق على شمس الإتفاق

حيث يعد من بين المؤلفات الفقهية للشيخ ماء العينين، ولو أن الشيخ أورد فيه بعض المواضيع الأخرى كالطب والتصوف والأدب وفوائد الأسرار والأطعمة وغيرها<sup>2</sup>، وبخصوص البناء المنهجي والعلمي للكتاب فقد كان مستندا على ثلاث مصادر تؤصل للخلاف المذهبي عند المالكية ويتعلق الأمر بـ " بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لابن رشد الحفيد و"رحمة الأمة" للصفدي، و" الميزان الكبرى" للصفدي، من تكمن أهمية الكتاب في مادته المصدرية التي انتقاها من ثلاث مصادر كبرى في الفقه المقارن فكان بذلك كتابا مقارنا مؤصلا تأصيلا فقهيا، ونظرا لقيمته العلمية وضعت له شروحات على غرار شرح الفقيه سيدي ابن أحمد الغلاوي<sup>3</sup>.

أما محاور الكتاب فقد قسمت الى ستة عناصر وثلاثة عشر بابا على النحو التالي:

- خطبة الناظم

<sup>1</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الأقدس على الأنفس في أصول الفقه، مصدر سابق، ص 36\_37.

<sup>2</sup> الشيخ ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل ابن مامين: دليل الرفاق على شمس الإتفاق، مصدر سابق، ص 03.

<sup>3</sup> سيدي بن أحمد الغلاوي: هو العلامة الفقيه سيدي ابن أحمد بين حبت الغلاوي قدم على الشيخ ماء العينين فترة إقامته بالسمارة 1326هـ، تتلمذ على يده وأخذ عنه وكتب له شرحا على كتابه دليل الرفاق، توفي سنة 1371هـ. ينظر: إحياء بن مسعود الطالبي: مرجع سابق، ص 354.

- مقدمة
- الطرق التي تتلقى منها الأحكام
- القواعد التي يقال أن علم الفقه مبني عليها.
- تنمة في فضل علم الفقه.
- ترتيب العلوم السبعة أو التسعة.
- باب الطهارة من النجس.
- باب الوضوء.
- باب الغسل والحيض.
- باب التيمم.
- باب الصلاة.
- باب الصيام.
- باب الحج.
- باب الزكاة.
- باب الجهاد
- باب الإيمان.
- باب النذر.
- باب الضحايا.
- باب الذبائح<sup>1</sup>.

#### 4) تنوير السعيد في العام والخاص

وهو عبارة عن منظومة في أصول الفقه طبعت بالمطبعة الحجرية على هامش كتابه "الأقدس"، خصصها لشرح نظمه المفيد في العام والخاص عند الأصوليين، أما مادته المصدرية فقد اعتمد الشيخ في نظمه هذا، على كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، إضافة إلى نشر البنود على مراقبي الصعود للإمام سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، وقد فرغ الشيخ ماء العينين

<sup>1</sup> الشيخ ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل ابن مامين: دليل الرفاق على شمس الإتفاق، مصدر سابق، ص ص 07\_400.

من تأليفه في رمضان من سنة (1285هـ / 1868)<sup>1</sup>، جاءت محاول الكتاب في شكل أربعة فصول على النحو التالي:

1- الفصل الأول: تناول فيه ألفاظ العموم نظما وشرحا مع التمثيل لها بالأمثلة من مصادر التشريع.

2- الفصل الثاني: تناول فيه أقسام العام على الشكل التالي:

- القسم الأول: وهو الباقي على عمومه.

- القسم الثاني: العام المراد به الخصوص.

- القسم الثالث: العام المخصوص.

3- الفصل الثالث: خصصه للحديث عن المخصصات المتصلة والمنفصلة وأنواعها

وأمثلتها.

4- الفصل الرابع: وتحدث فيه عن تخصيص القرآن للسنة وبعض المسائل المتعلقة

بالعموم والخصوص.

وفي ختام هذا النظم تحدث عن أصله وبين مادته المصدرية<sup>2</sup>.

## 5) كفاية النبيه في فرض العين

هو عبارة عن مخطوط في فقه العبادات، جاءت محاوره في شكل نظم مختصر جدا، يعد من المؤلفات الأولى للشيخ ماء العينين في الفقه، ونظر لأهميته شرحه الفقيه العلامة عبد القادر بن محمد بن محمد سالم، قسمت مواضيع الكتاب إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة، وهي على النحو التالي:

1- الباب الأول: كتاب التوحيد

2- الباب الثاني: كتاب الصلاة

3- الباب الثالث: كتاب الزكاة

4- الباب الرابع: كتاب الصيام والحج<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> محمد مصطفى ماء العينين: الأقدس على الأنفس في أصول الفقه، مصدر سابق، ص 245.

<sup>2</sup> إحياء بن مسعود الطالبي: مرجع سابق، ص 355.

## (6) مفيد السامع والمتكلم في أحكام التيمم والمتميم

حيث يعد من مؤلفات الشيخ ماء العينين في فقه العبادات، وقد اختار الشيخ التأليف في هذا الموضوع لطبيعة المنطقة الصحراوية التي كثيرا ما تشهد ندرة في المياه، لذلك كان من الضروري على حد قول الشيخ نفسه وضع توليف في التيمم وأحكامه وما يتعلق به حتى يفيد المجتمع الصحراوي، أما أهمية الكتاب تكمن في إحاطته الشاملة في ذكر كل ما يتعلق بطهارة التيمم إلى جانب ذكر الأحاديث والسنن المروية بشأنها نقلا عن الصحابة والسلف الصالح<sup>2</sup>، وتحتوي هذه النسخة التي طبعت بالمطبعة الحجرية على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة وقد رتبت على الشكل التالي:

- مقدمة: في أحاديث تحت على اتباع السنة والعلماء
- الباب الأول: في معرفة طهارة التيمم، وفيه بين مفهوم التيمم وفضائله.
- الباب الثاني: في معرفة من تجوز له هذه الطهارة.
- الباب الثالث في معرفة شروط جواز هذه الطهارة.
- الباب الرابع: متعلق بصفة هذه الطهارة.
- الباب الخامس: فيما ما يصنع بهذه الطهارة.
- الباب السادس: في نواقض هذه الطهارة.
- الباب السابع: الأفعال التي هي شرط لصحة هذه الطهارة.

<sup>1</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: كفاية النبيه في فرض العين، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>، 2019/12/23، ص ص 02\_13.

<sup>2</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مفيد السامع والمتكلم في أحكام التيمم والمتميم، المطبعة الحجرية، فاس، (ب.س)، ص02.

خاتمة: في مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الطهارة<sup>1</sup>.

## 7) المحققة في أخبار الخرقة

حيث يعد من مؤلفات الشيخ ماء العينين في الفقه، وتكمن أهمية هذا المخطوط في كون الشيخ وضع من خلاله الأحكام الشرعية في إحدى سلوكيات المجتمع الصحراوي، ويتعلق الأمر بالخرقة التي إعتاد على استخدامها نساء الصحراء والبادية لضفر رؤوسهن وقد بين من خلال المخطوط ما يرخص من ذلك وما يمنع منه<sup>2</sup>.

## 8) مخطوط فائدة في حديث ذو اليمين

هو عبارة عن وثيقة مخطوطة شرح من خلالها الشيخ ماء العينين، حديث الصحابي الجليل عبد عمرو بن نضلة الخضاعي المعروف بالخرباق والمكنى بـ "ذو اليمين"، مع الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم السهو في الصلاة<sup>3</sup>.

## 9) الصلوات في فضل الصلوات

هو مخطوط في فقه العبادات، حيث يعد من المؤلفات الأولى للشيخ ماء العينين بعد استقراره بالصحراء الغربية، ومن الأسباب التي جعلته يؤلف هذا الكتاب حسب ما أورده في مقدمته، محاولة منه توفير الأرضية الخصبة لنشر حركته الإصلاحية بين سكان المنطقة، أما محاور الكتاب فقد كانت على النحو التالي:

- مقدمة: في اشتقاق الصلاة وبعض نكت من كونها جامعة للأسرار من أنواع العبادات.

<sup>1</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مفيد السامع والمتكلم في أحكام التيمم والتميم، ص ص 02\_12.

<sup>2</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: المحققة في أخبار الخرقة، المطبعة الحجرية، فاس، 1321هـ، ص ص 03\_07.

<sup>3</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: فائدة في حديث ذو اليمين، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين

<http://www.cheikh-maelainin.com>، 2019/12/23، ص 01.



- الباب الأول: في فضائل الفرائض وما ورد فيها من النقول، الواردة في كتاب الله تعالى أو عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحتوي هذا الباب على سبعة فصول.
- الباب الثاني: في النوافل: ويحتوي على ثمان وخمسين (58) فصلا في مختلف النوافل والصلوات المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح.
- خاتمة: في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وبعض الألفاظ منها مروية لمن تأخر عن تقديم<sup>1</sup>.

## 10) مزيلة النكد عن لا يجب الحسد

تكمن أهمية الكتاب في كونه يعالج واحدة من القضايا التي عانى منها المجتمع بصفة عامة، هذا الأمر نابع من حرصه الكبير على محاربة مختلف المشاكل والآفات الإجتماعية، جاءت محاور الكتاب في سبعة محاور على الشكل التالي:

- المسألة الأولى: في بيان الأخبار الدالة على ذم الحسد.
- المسألة الثانية: في حقيقة الحسد.
- المسألة الثالثة: في مراتب الحسد.
- المسألة الرابعة: في أسباب الحسد.
- المسألة الخامسة: في كثرة الحسد وقلته وقوته وضعفه.
- المسألة السادسة: في الدواء المزيل للحسد.
- المسألة السابعة: الداخل تحت التكليف عند الحاسد<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ماء العينين بن محمد فاضل ابن مامين: الصلوات في فضل الصلوات، المطبعة الحجرية، فاس، 1321هـ، ص ص 02\_33.

<sup>2</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مزيلة النكد عن لا يجب الحسد، إخراج وتعليق محمد الطريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1998، ص ص 29\_51.

كما أن للشيخ ماء العينين عدة مؤلفات في الأصول والفقاه نذكر منها:

- رسالة في أحكام الرضاع.
- تأليف في أمور النكاح وأحكامه
- أجوبة في جواز ما هو العرف في بلادنا من معاملة البنات الصغار لأزواجهن.
- التميم في أمر اليتيم.
- معرفة أوقات الصلاة، مفسدات الصوم.
- تبيان الحق الذي للباطل سحق.
- مظهر الدلالات المقصودة في ألفاظ التحيات.
- المناضل في كل فج لمن يقول بلزوم شرط أجمع.
- مزيل العتب فيمن طلقت نفسها أو طلقها أهلها بالسب.
- نظم قواعد أبي حنيفة.
- هداية من حارى في أمر النصارى.
- رسالة في أحكام الإيمان نظما ونثرا.
- رسالة في أحكام الطلاق.
- أجوبة في مسائل الفطرة.
- رسالة في جواز الدعاء للأشياخ والأئمة بعد الصلوات في المساجد<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان في مناقب الشيخ ماء العينين الحسان، مصدر سابق، ص ص 21\_27. محمد العاقب ابن مايابا الحكيني: مصدر سابق، ص ص 157\_159. الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص ص 131\_136.

## المبحث الثاني: مؤلفاته في الأدب والتصوف

### 1) هداية المبتدئين في النحو

هو عبارة عن نظم للشيخ ماء العينين في النحو، ويعد النظم من المؤلفات الأولى للشيخ، حيث كان الفراغ من تأليفه سنة (1275هـ، 1858)، وقد طبع بالمطبعة الحجرية بفاس سنة (1322هـ، 1904م) ونظرا لأهمية النظم كتبت عليه العديد من الشروح، على غرار شرح الفقيه العلامة سيدي محمد فاضل بن محمد الحسن، وشرح العلامة سيدي إبراهيم السوداني البوار<sup>1</sup>، أما محاور الكتاب فقد جاءت في ثمانية وعشرين باب رتبت كما يلي:

- الباب الأول: باب الكلام.
- الباب الثاني: باب النكرة والمعرفة.
- الباب الثالث: باب ألقاب الأفعال.
- الباب الرابع: باب الفاعل والمفعول.
- الباب الخامس: باب المبتدأ والخبر.
- الباب السادس: باب حروف الجر.
- الباب السابع: باب الإضافة.
- الباب الثامن: باب إن وأخواتها.
- الباب التاسع: باب كان وأخواتها.
- الباب العاشر: باب نواصب المضارع.
- الباب الحادي عشر: باب جوازم الفعل المضارع.
- الباب الثاني عشر: باب النائب على الفاعل.
- الباب الثالث عشر: باب النعت.
- الباب الرابع عشر: باب العطف.
- الباب الخامس عشر: باب التوكيد.
- الباب السادس عشر: باب البدل.

<sup>1</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ديوان الشيخ ماء العينين، المطبعة الحجرية، فاس، 1322هـ، ص01.

- الباب السابع عشر: باب الحال.
- الباب الثامن عشر: باب الظرف.
- الباب التاسع عشر: باب الإغراء والتحذير.
- الباب العشرون: باب التمييز.
- الباب الحادي والعشرون: باب التعجب.
- الباب الثاني والعشرون: باب المنادى.
- الباب الثالث والعشرون: باب العد.
- الباب الرابع والعشرون: باب الاستثناء.
- الباب الخامس والعشرون: باب التأنيث.
- الباب السادس والعشرون: باب ألفات الوصل.
- الباب السابع والعشرون: باب ما لا ينصرف.
- الباب الثامن والعشرون: باب المصدر<sup>1</sup>.

## 2) يا قوتة الولدان في علم البيان

هو عبارة عن نظم مختصر في علم البيان والكلام، كان سبب تأليفه لهذا الكتاب هو إفادة طلاب المحاضر وتدريبهم على الخوض في هذا المسائل، لهذا السبب جاءت مصطلحاته واضحة وبسيطة وأبياته مختصرة، وعن ذلك يقول الشيخ ماء العينين:

لأجل ذا نظمت للولدان\* فيه نظيما راق للفتيان

وقد فرغ الشيخ من تأليفه يوم الخميس السابع عشر ربيع الثاني 1315هـ الموافق لـ 1897م، أما محاور الكتاب فقد كانت في ثلاثة أقسام كما يلي:

- القسم الأول: في علم المعاني، ويحتوي على ثمانية أبواب.
- القسم الثاني: في علم البيان.
- القسم الثالث: في علم البديع.

<sup>1</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ديوان الشيخ ماء العينين، مصدر سابق، ص ص 12\_02.

- خاتمة<sup>1</sup>.

### (3) مفيد النساء والرجال فيما يفيد من الإبدال

يسمى أيضا مفيد النساء والرجال في بيان بعض ما جاز من الإبدال، هو كتاب ألفه الشيخ ماء العينين في آداب اللغة العربية، وقد كان الهدف من تأليفه هو تبين إبدال بعض الحروف ببعضها، وقد جاءت محاور الكتاب في مقدمة وأبواب على حسب الحروف الهجائية وخاتمة، وقد كان الفراغ من الكتاب، حسب النسخة التي بين أيدينا يوم الخميس الخامس ذي الحجة سنة (1318هـ/1901م)<sup>2</sup>.

### (4) ديوان الشيخ ماء العينين

ديوان الشيخ ماء العينين، هو عبارة عن كتاب ضمنه الشيخ ماء العينين جميع قصائده الشعرية، حيث يحتوي هذا الديوان على العشرات من القصائد تضم حوالي 6365 بيت، وقد طُبِعَ بالمطبعة الحجرية بفاس في السابع من رجب سنة (1316هـ/1898م)<sup>3</sup>، ومن بين القصائد التي ضمها هذا الديوان:

- مجموعة قصائد في مدح أبيه الشيخ محمد فاضل.
- مجموعة قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.
- قصيدة مرهم الزمان لمن جال أو يريد الجولان كان له فيما يحب الرحمان.
- قصيدة في الثناء على الله تعالى.
- قصيدة في وصف ليلة القدر، والعديد من القصائد القصيرة والطويلة يناجي ربه

فيها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: ياقوتة الولدان في علم البيان، مخطوط، خزانة ابي بكر بن تقي الله، المغرب، ص ص 19\_02.

<sup>2</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مفيد النساء والرجال في بيان بعض ما جاز من الإبدال، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>، /2019/12/24، ص ص 15\_02.

<sup>3</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ديوان الشيخ ماء العينين، مصدر سابق، ص 428.

<sup>4</sup> نفسه: ص ص 427\_02.

## 5) ثمار المزهري

الكتاب عبارة عن منظومة شعرية في علوم اللغة، تتكون من 2094 بيت، وقد قسمها إلى أربعة وأربعين نوعاً أو قسماً، جاء النوع الأول في معرفة الصحيح الثابت وهو حد اللغة وما يتعلق به، فيما جاء النوع الرابع والأربعون في معرفة الطبقات والحفاظ والثقات والضعفاء، وقد فرغ من تأليف هذا الكتاب يوم الجمعة التاسع والعشرين من شوال سنة (1321هـ / 1903م)<sup>1</sup>، وعن أسباب تأليف هذه الأرجوزة يقول الشيخ ماء العينين:

قال عبيد الله ماء العينين\* يرجو القبول عند ذي الكونين

الحمد لله اذني شرفنا\* بلغنا النبي اذ عرفنا

صلى عليه الله ما قد فتحنا\* لسان شخص عن ضمير شرحا

ويهد ذا فهاكموا أهل اللغات\* نظما يفيد في اللغات الشائعات

نظمته من مزهر السيوطي كي\* يفيد ذا فصاحة وكل وعي

نوعته كما له قـد نوعا\* لاكن ذا مختصر نظما سعياً<sup>2</sup>.

## 6) مفيد الحاضرة والبادية في شرح الأبيات الثمانية

هو كتاب يتضمن شرحاً دلالياً ولغوياً لثمانية أبيات شعرية، من نظم الشيخ ماء العينين كانت قد اشتهرت وانتشرت في الأوساط آنذاك، حيث كانت ميزة الأبيات أن البيتين الأول والثاني لا حرفان منهما متلاصقان، والثالث والرابع لا معجم فيهما، والأربعة المتبقية لا تتضمن لفظاً مهماً، أما سبب تأليف الكتاب فيقول الشيخ "فطلب مني بعض المريدين الصادقين أنه أبين

<sup>1</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ثمار المزهري، مطبعة حجرية، فاس، 1324هـ، ص ص 02\_121.

<sup>2</sup> نفسه: ص 02.



## 8) منتخب التصوف لكل ذي جهل وتعرف

هو عبارة عن منظومة من 104 بيت، للشيخ ماء العينين في التصوف وعلم السلوك، حيث تحدث في النظم على زاد المرید في التصوف ومبادئه وقواعده، وقد جاءت محاور هذا النظم في اثني عشر بابا، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، ورتبت كما يلي:

- مقدمة.
- باب الأمر والنهي.
- باب التوبة.
- باب الذكر.
- باب العزلة.
- باب صحبة المشايخ.
- باب الصبر.
- باب الشكر
- باب القناعة ومنها الورع والزهد.
- باب الخوف.
- باب الرجاء.
- باب الدعاء.
- باب التواضع.
- خاتمة<sup>1</sup>.

وعن أهمية وقيمة النظم قال الشيخ محمد عبد الله بن تکرور اليعقوبي " هذا النظم لما بلغ أهل الإسكندرية تصفحوه فوجدوه عذبا زلالا، هاديا من ظلمة الضلال، فرقموه بمطبتهم المحروسة إن شاء الله بعين العناية"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: منتخب التصوف لكل ذي جهل وتعرف، مطبعة معوض أفندي فريد، مصر، 1298هـ، ص ص 02\_07.

<sup>2</sup> محمد مصطفى ماء العينين بن مامين الشنقيطي: منيل العبد مناه فيمن يظلم الله، مصدر سابق، ص 40.



## 9 مبصر المشوف على منتخب التصوف

كتاب مبصرة المشوف على منتخب التصوف، يعد أحد أهم مؤلفات الشيخ ماء العينين في التصوف، جاء تأليف هذا الكتاب بعدما طلب مريدو الشيخ وضع تفسير وشرح لهم، على منظومته السابقة الذكر المسماة بـ "منتخب التصوف لكل ذي جهل وتعرف"، وقد جاء الكتاب هي جزئين تناول في الجزء الأول منه، مقدمة تناول فيها مفهوم التصوف وبين حدوده ومقاصده، وشرح فيه الأبواب الست الأولى من منتخب التصوف، أما الجزء الثاني فتناول فيه الأبواب الست الأخيرة من النظم<sup>1</sup>.

وقد كتب ابن العتيق ماء العينين عن قيمة الكتاب، "كتاب لا يوجد مثله لما اشتمل عليه من علوم التصوف، والحكم والأسرار والأدب والتفسير، وغير ذلك من سائر العلوم على حسن الاستطراد وكمال الوفاء بالمراد"، وقد قال عنه الشيخ سيدي محمد ابن الشيخ ماء العينين "إنه فريدة قلائد تصانيف، شيخنا الشيخ ماء العينين"<sup>2</sup>.

## 10 نعت البدايات وتوصيف النهايات

يعد هذا الكتاب من المؤلفات المعينية في التصوف وعلم السلوك، كان الهدف من تأليفه بيان آداب المتعلم مع شيخه ومع إخوانه ومع عبادة ربه عز وجل، وقد تحدث عن هذا في الجزء المسمى نعت البدايات، كما تحدث في الكتاب أيضا عن آداب الشيخ مع ربه ومع تلامذته والناس أجمعين، وهذه الأمور ضمنها في الجزء الثاني من الكتاب المسمى توصيف النهايات، وقد كان الفراغ من تأليف هذا الكتاب سنة (1300هـ / 1883)<sup>3</sup>، أما محاوره فقد قسم الكتاب إلى جزئين، يتضمن كل جزء أربعة أبواب كما يلي:

- 1- الكتاب الأول: في نعت البدايات وما يصلح لأهلها إلى النهايات، ويتضمن ما يلي.
- الباب الأول: في آداب المريد مع شيخه.

<sup>1</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مبصر المشوف على منتخب التصوف، مطبعة حجرية، فاس، 1314هـ، ج2، ص 288\_01.

<sup>2</sup> محمد مصطفى ماء العينين بن مامين الشنقيطي: منيل العبد مناه فيمن يظلم الله، مصدر سابق، ص40.

<sup>3</sup> ماء العينين: نعت البدايات وتوصيف النهايات، مصدر سابق، ص04.



## 12) الخلاص في حقيقة سورة الإخلاص

الكتاب عبارة عن شرح بسيط في حقيقة الإخلاص، بناء على المسائل التي ذكرها الفخر الرازي في مفاتيح الغيب، وقد تضمنت محاور الكتاب ما يلي:

- مقدمة: في شرح قوله تعالى (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) الآية 112 سورة البقرة.
- المسألة الأولى في فضل النية.
- المسألة الثانية في أمر الباعث على الفعل.
- المسألة الثالثة في تفسير قوله عليه السلام "نية المؤمن خير من عمله"<sup>1</sup>.

## 13) منيل المآرب للبشر شرح الكبريت الأحمر.

ويسمى أيضا منيل المآرب للبشر على نظم الكبريت الأحمر، الكتاب يعد من الكتب التي ألفها الشيخ ماء العينين بطلب من تلامذته ومريديه، وهو في الأصل يعد شرحا لقصيدته في التصوف وعلم السلوك والمسماة "الكبريت الأحمر"، وتضم القصيدة 47 بيتا، كان الفراغ من تأليف الكتاب، يوم الجمعة السابع من شعبان سنة (1307هـ / 1890م)<sup>2</sup>.

## 14) سهل المرتقى في الحث على التقى

الكتاب من بين المخطوطات التي ألفها الشيخ ماء العينين في علم السلوك، حيث يقول في بداية الكتاب "هذا كتاب وضعته تذكرة للنفس وحثا لها، وللمتكاسلين من الجنس على التقى الممدوح بكتاب القدس، وسميته بسهل المرتقى في الحث على التقى، والله أسأل أن يجعله للسعادة

<sup>1</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: الإخلاص في معنى سورة الإخلاص، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>، 2020/01/13، ص ص 01\_04.

<sup>2</sup> محمد مصطفى ماء العينين بن مامين: منيل المآرب للبشر شرح الكبريت الأحمر، تح أحمد فريد الزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ، ص ص 02\_136.

سببا موصلا..."، وقد فرغ الشيخ ماء العينين من تأليفه يوم الأربعاء، الرابع عشر من شهر الله رجب سنة (1297هـ / 1880م)<sup>1</sup>.

## 15) نظم الحكم العطائية

نظم الحكم العطائية هو عبارة عن قصيدة شعرية، شرح من خلالها الشيخ الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، والكتاب يصنف ضمن كتب الشيخ ماء العينين في التصوف، حيث فرغ من تأليفه سنة (1310هـ / 1892م) وينقسم هذا الكتاب إلى اثنين وثلاثين بابا<sup>2</sup>، ويقول في مطلع النظم:

يقول ماء العينين عبد ربه \* مستغفرا لربه من ذنبه

يا طالبا تصوفا مشرفا \* دونت ما قد قال من تصوفا

اعني بذاك ابن عطاء الله \* فلا تكن عن قوله باللاهي<sup>3</sup>.

## 16) المقاصد النورانية في ذكر من ذاته وصفاته متعالية

هو كتاب ألفه الشيخ ماء العينين في التصوف وعلم السلوك، وقد تضمن الكتاب كما جاء في مقدمته، كلمات في الذكر أخذ المؤلف معظمها، من كتاب الفيوضات الإحسانية شرح الأوراد البهائية لعبد القادر بن محمد أبي نور الكيالي، وقد فرغ الشيخ ماء العينين من تأليفه يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة (1306هـ / 1889)، أما محاور الكتاب فقد قسمها الشيخ إلى ثلاث مقاصد جاءت كما يلي:

- المقصد الأول: في المراد بالذكر المأمور به في القرآن والأحاديث.

- المقصد الثاني: في آداب الذكر وفضل أهله وفضل مجالسه.

<sup>1</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: سهل المرتقى في الحث على التقى، مخطوط، مكتبة مربيه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب، ص ص 52\_02.

<sup>2</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: نظم الحكم العطائية، المطبعة الفاسية، المغرب، 1310هـ، ص ص 24\_01.

<sup>3</sup> نفسه: ص 01.

- المقصد الثالث: في الذكر السري والذكر الجهرى وأيهما أفضل<sup>1</sup>.  
17) الإيضاح لبعض الاصطلاح

يعد كتاب الإيضاح لبعض الاصطلاح من المخطوطات المعينية في التصوف وعلم السلوك، فقد ألفه الشيخ ماء العينين حتى يوضح ويشرح فيه بعض المصطلحات الصوفية، القديمة والحديثة على سبيل الاختصار، وقد فرغ الشيخ من تأليفه، وأواخر شعبان سنة (1310هـ/1893م)<sup>2</sup>.

18) المشرب الزلال في الصلاة على أفضل الرجال

الكتاب عبارة عن مخطوط في السيرة، حيث يتضمن رسائل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قسم الشيخ ماء العينين هذا الكتاب إلى أربعة أرباع، والنسخة التي بين أيدينا مخطوطة بيد تلميذه الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي، وقد كان الفراغ من كتابتها يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة (1305هـ/1887م)<sup>3</sup>.

ومن مؤلفات الشيخ ماء العينين في الأدب والتصوف الكتب التالية:

- مذهب المخوف على دعوات الحروف.
- جواهر الأسرار.
- إفادة الأمير والرعية والوزير بأسرار فاتحة الكتاب المنير.
- شرح خواص أسمائه تعالى الحسنی.
- تأليف في معاني أسماء الله الحسنی.
- مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع.
- يانع الاستفادة.

<sup>1</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: المقاصد النورانية في ذكر من ذاته وصفاته متعالية، مخطوط، مكتبة مرييه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب، ص ص 02\_52.

<sup>2</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: الإيضاح لبعض الاصطلاح، مخطوط، مكتبة مرييه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب، ص 95.

<sup>3</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: المشرب الزلال في الصلاة على أفضل الرجال، مخطوط، مكتبة مرييه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب، ص 41.

- قررة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين.
- مفيد الراوي على أني مخاوي.
- إنعام الرحمان على مرهم الزمان لمن جال أو يريد الجولان.
- مجموع يضم أجوبة على بعض مردياته.
- رسالة في أوزان البحور.
- تبين الغموض على نعت العروض.
- سراج الفتيان على يقوتة الولدان.
- الحروف الهجائية ومخارجها.
- مفتاح الأفعال الثلاثة.
- إبراز اللآلئ المكنونات في أسماء الله الظاهرات والمضمرات.
- مفيد الأصدقاء<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان في مناقب الشيخ ماء العينين الحسان، مصدر سابق، ص ص 21\_27. محمد العاقب ابن ماياها الحكيم: مصدر سابق، ص ص 157\_159. الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص ص 131\_136.

## المبحث الثالث: مؤلفاته في العلوم والفنون الأخرى

### 1) شفاء الأنفاس فيما ينفع الإنسان وخصوصاً الأضراس

شفاء الأنفاس فيما ينفع الإنسان وخصوصاً الأضراس، يعد من المخطوطات المعينية في التطبيب، يقول الشيخ ماء العينين في مطلعته "وبعد فإنك أيها الابن الحاذق والمريد الصادق، طلبت مني شيئاً ينفع لمطلق الأسنان خصوصاً الأضراس، الجواب والله الموفق للصواب اعلم أن تدبير الأسنان أن تعاهد بالسواك...<sup>1</sup>"، والنسخة التي بين أيدينا كتبت بيد الشيخ الجيه بن الشيخ ماء العينين، وكان الفراغ من نسخها شهر شعبان (1343هـ/1925م) أي بعد وفاة والده<sup>2</sup>.

### 2) مخطوط قصيدة الشفاء

المخطوط عبارة عن وثيقة مخطوطة تتضمن قصيدة، يناجي من خلالها الشيخ ماء العينين ربه، القصيدة تحتوي على سبعة عشر (17) بيتاً يقول في مطلعها:

بسم الله والصلاة والسلام \* على النبي أبدا حامد السلام  
الله أدعوك به فاشف المرض \* بر برك أنلني الغرض<sup>3</sup>.

### 3) قصيدة يا رافعا عنا الوباء

هي عبارة عن قصيدة شعرية للشيخ ماء العينين، كتبت بخط العلامة عبد السلام ولد الشيخ مفتاح وتحتوي القصيدة على اثنان وعشرين (22) بيتاً يقول في مطلعها:

يا رافعا عنا الوباء فارفعا \* أيأ سميع يا مجيب من دعا  
بجاه من أحببته ممن دعا \* عنا الوباء يا رفيع فارفعا

<sup>1</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: شفاء الأنفاس فيما ينفع الإنسان خصوصاً الأضراس، مخطوط، خزانة الجيه ماء العينين، بيوكري المغرب، ص01

<sup>2</sup> نفسه: ص06.

<sup>3</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: قصيدة الشفاء، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>، 2020/01/13، ص01.

#### 4) ضوء الدهور

هو عبارة عن نظم من 636 بيتاً، نظمها الشيخ ماء العينين في علم الفلك، وقد سُمي بضوء الدهور في خصائص الأيام والشهور، كان الفراغ من تأليفه في شهر رجب من سنة (1279هـ/1862م)، أما محاوره فقد جاءت في اثني عشر باباً، بأسماء الشهور الشمسية إلى جانب مقدمة وخاتمة للنظم الذي يقول في مطلعته:

يقول نجل فاضل نجل مامين\* علمه ملقب ما العينين

الحمد لله مُسجد النجوم\* وجاعل الليل وجاعل ليوم

وجاعل الشهور والسنين\* للعرب والأعاجم كل حين<sup>1</sup>.

#### 5) السيف والموسى على قضية الخضر وموسى

الكتاب جاء ليرز العلاقة بين المعلم والمتعلم، وما يستوجب على طالب العلم، تجاه شيخه بغية تحصيل العلم والسلوك، حيث يقول الشيخ ماء العينين في مطلع هذا الكتاب "فقد كنت برهة من زميني، يتدلجج في خاطري ويتردد ظاهري وباطني، في أن أجعل قضيتي الخضر وموسى عليهما السلام، في تأليف على حدتها وبراعتها في الكلام، حتى شرح الله صدري لوضع هذا التأليف"، وقد كان الفراغ من تأليف هذا الكتاب في الثالث من شعبان سنة (1300هـ/1883م)، وطبع طبعة ثانية بالمطبعة الحجرية بفاس سنة (1321هـ/1903م)<sup>2</sup>.

#### 6) منظومة في العقائد الست والستين

هي منظومة للشيخ ماء العينين في ما يجب اعتقاده في حق الله تعالى، وفي حق رسله عليهم السلام، من الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة، حيث أورد أنها ست وستون صفة، ونظراً لأهمية النظم تم طبعه بالمطبعة الحجرية بفاس، كما وضعت عليها عدة شروح على غرار شرح أحمد

<sup>1</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ضوء الدهور، المطبعة الفاسية، المغرب، (ب.س)، ص ص 02\_40.

<sup>2</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: السيف والموسى على قضية الخضر وموسى، المطبعة الفاسية، المغرب، 1321هـ، ص ص 02\_100.



البرناوي بن علي بن أحمد البرناوي، المسمى "نور اليقين على شرح الستة والستين"، ويقول الشيخ في مطلع النظم:

دونك يا سائلنا الستينا\* مع ستة قد وجبت يقينا  
هي الوجود وكذلك القدم\* كذا البقاء والمخالفة ثم  
كذلك القيام بالنفس يزداد\* وحدانية وقدرة فيها تراد<sup>1</sup>.

### 7) منور الأفهام في حكم الثلاثة أقسام

هو مخطوط ألفه الشيخ ماء العينين في التوحيد، حيث فرغ الشيخ من تأليفه سنة (1286هـ/1869م) وقد جاءت محاور الكتاب في اثني عشر فصل رتبت على الشكل التالي:

- الفصل الأول في تعريف الحكم.
- الفصل الثاني في الحكم الشرعي وأقسامه.
- الفصل الثالث في الحكم العادي وأقسامه.
- الفصل الرابع في الحكم العقلي وأقسامه.
- الفصل الخامس في مذاهب الناس في الأفعال.
- الفصل السادس في أنواع الشرك.
- الفصل السابع في أصول الكفر والبدع.
- الفصل الثامن في أقسام الموجودات بالنسبة إلى المحل والمتخصص.
- الفصل التاسع في الممكنات والمتقبلات.
- الفصل العاشر في معاني الصفات.
- الفصل الحادي عشر فصل في انقسام الكلام إلى خبر وإنشاء.
- الفصل الثاني عشر في الأمانة والخيانة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: منظومة في العقائد الست والستين، المطبعة الفاسية، المغرب، (ب.س)، صص

## 8) منيل العبد مناه فيمن يظلم الله

ويسمى أيضا "منيل البش فيمن يظلم الله في ظل العرش"، وهو كتاب شرح من خلاله حديث السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهذا بالاعتماد على ما أتى به الإمام شهاب الدين القسطلاني، في كتابه الموسوم "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، وقد جاءت محاور الكتاب في جزئيتين أساسيتين:

- أولا عرض الحديث الذي أخرجه البخاري، مع استطراد ما بقي للقسطلاني عند شرحه.

- ثانيا شرح الحديث<sup>2</sup>.

## 9) ناصرة الأصدقاء على الأعداء

يتضمن الكتاب بعض الأدعية التي نقلها الشيخ ماء العينين عن شيخه ووالده الشيخ محمد فاضل ابن مامين، وهي أدعية مأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وحسب النسخة التي بين أيدينا فقد كان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادى الأخيرة سنة (1322هـ/1904م)<sup>3</sup>.

## 10) اللؤلؤ المحوز الجامع ما في الجامع الصغير والراموز

هو عبارة عن مخطوط من ثلاثة أجزاء، ضمنه الشيخ ماء العينين أحاديث كتاب الجامع الصغير في حديث البشير النذير للسيوطي، إضافة إلى أحاديث كتاب الراموز على الصحاح لمؤلفه

<sup>1</sup> ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: منور الأفهام في حكم الثلاثة أقسام، مخطوط، مكتبة مربييه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب، ص ص 08\_01.

<sup>2</sup> محمد مصطفى ماء العينين بن مامين الشنقيطي: منيل العبد مناه فيمن يظلم الله، مصدر سابق، ص ص 49\_50.

<sup>3</sup> ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ناصرة الأصدقاء على الأعداء، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين

<http://www.cheikh-maelainin.com>، 2020/01/19، ص ص 04\_01.

السيد محمد بن السيد حسن، كما نوه من خلال كتابه إلى الأحاديث التي اتفقا فيها، وحدد ما اختلف به كل واحد منهما، كما شرح بعض الأحاديث التي رأى أنها تحتاج إلى شرح<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى المؤلفات المذكورة من مختلف العلوم والفنون، ألف الشيخ ماء العينين العديد من الكتب نذكر منها:

- منظومة في الطب.
- بيان أن التوحيد كله مندرج في صفته مخالفته تعالى لخلقه.
- منظومة فيما يجب من معرفة ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل.
- صلة المترحم في الحث على صلة الرحم.
- منظومة في سيرته صلى الله عليه وسلم.
- منظومة في أسمائه صلى الله عليه وسلم.
- منظومة في البروج.
- كتاب في معرفة الأقاليم السبعة.
- تفسير للقرآن، تفسير الفاتحة.
- تفسير قوله تعالى "ربنا آتنا في الدنيا حسنة".
- تفسير قوله تعالى "إنما يخشى الله من عباده العلماء".
- ضبط الإخوان والأخوات لمن لا يعرفهم من البنين والبنات.
- رحلته الحجازية.
- وصف الصالحات من النساء وعكسهن.
- منظومة في وصف المروءة.
- ومنظومة وصيته لمريده الطالب أعمار اللمتوني<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد مصطفى ماء العينين بن مامين الشنقيطي: منيل العبد منا فيمن يظلم الله، مصدر سابق، ص35.  
<sup>2</sup> ينظر: ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان في مناقب الشيخ ماء العينين الحسان، مصدر سابق، ص ص 21\_27. محمد العاقب ابن مايابا الحكيني: مصدر سابق، ص ص 157\_159. الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج1، ص ص 131\_136.

مما سبق إجمالاً نستنتج أن الشيخ ماء العينين ألف في مختلف العلوم والفنون التي انتشرت في عصره، وبناء على ما أوردها ابن العتيق في سحر البيان، ومحمد العاقب ابن مايبا في مجمع البحرين، والطالب أخيار فإن عدد مؤلفات الشيخ فاقت المائة كتاب من مختلف العلوم والفنون، غير أن هذه المصادر ذكرت سبعة وثمانين عنواناً، وحسب الإحصائيات (الملحق 09) فإن:

- 26.43% من مؤلفات الشيخ في الفقه وقواعده.
- 25.28% من مؤلفات الشيخ في التصوف.
- 12.64% في اللغة العربية وآدابها.
- 5.74% في التفسير.
- 4.59% في التوحيد.
- 4.59% في أصول الفقه.
- 3.44% في الحديث.
- 2.29% في السيرة النبوية.
- 14.95% هي نسبة مؤلفاته في باقي المواضيع.

يستشف من خلال الإحصائيات، أن الشيخ ماء العينين أعطى الأولوية في تأليفه إلى الفقه وقواعده، وهذا راجع إلى حرصه الكبير على تعليم طلبته ومريديه مبادئ الدين الإسلامي، والوقوف في وجه البدع والخرافات التي كانت منتشرة بين قبائل الصحراء الغربية، وقد كانت كتب التصوف في المرتبة الثانية بعد الفقه، ومرد ذلك إلى أن أغلب من قدم مجلس الشيخ كان يريد التصوف، إضافة إلى أن أحد أسباب استقرار الشيخ ماء العينين بالصحراء الغربية، كانت بهدف نشر الطريقة الفاضلية القادرية.

الفصل الخامس: الإحتلال الإسباني والفرنسي للمنطقة  
وبداية الحركة الجهادية للشيخ ماء العينين.

- المبحث الأول: الأطماع الأجنبية في الصحراء الغربية.
- المبحث الثاني: بداية التوسع الفرنسي والإسباني في تراب البيطان  
وردود أفعال الشيخ ماء العينين.

## الفصل الخامس: الاحتلال الإسباني والفرنسي للمنطقة وبداية الحركة الجهادية للشيخ ماء العينين

### المبحث الأول: الأطماع الأجنبية في الصحراء الغربية

#### 1) الجذور الأولى للتواجد الأجنبي في المنطقة

بدأ التهديد الإستعماري للأقاليم الصحراوية منذ القرن الخامس عشر مع حركة الكشوفات الجغرافية التي كان السبق والريادة فيها لإسبانيا والبرتغال حيث نجحت الأولى منذ (804هـ/1402م) من احتلال جزر الكناري التي كانت بمثابة القاعدة الأساسية للتوسع الإسباني في سواحل غرب إفريقيا، وفي هذا الصدد يقول الضابط الإسباني توماس غارسيا فيغراس "Tomas Garcia Figueras" أن جزر الكناري سهلت على إسبانيا الإستيلاء على سيدي إفني "سانتا كروث دي ماريكينيا" منذ (880هـ/1476م)، قبل أن تفقدها سنة (930هـ/1524م)<sup>1</sup>، أما البرتغال فقد تمكنت سنة (837هـ/1434م) من الوصول إلى رأس بوجادور بقيادة جيل إيانيش "Gil Eanes"، كما تمكنت رحلات أخرى (846هـ/1443م) من الإستيلاء على جزيرتي الرأس الأبيض وأركين<sup>2</sup>، إلا أن أهداف البرتغال كانت تقتضي الاستيلاء على المناطق الساحلية وذلك في إطار مشروعها القاضي بالوصول إلى الشرق عبر رأس الرجاء الصالح، لذلك لم تسجل هذه الفترة مواجهات بين القبائل الصحراوية والبرتغاليين، رغم أن الرحالة خهاو رودريكيث "Johao Rodriguez" تمكن من التوغل في المجتمع الصحراوي سنة (898هـ/1493م) ووصل إلى أركين وودان وكتب عن الحياة الاجتماعية والسياسية للقبائل الصحراوية<sup>3</sup>، إلا أن الأطماع البرتغالية تبخرت بهزيمتهم بوادي المخازن (985هـ/1578م).

<sup>1</sup> ) Tomas Garcia Figueras: Santa cruz de Mar Pequena – Ifni- Sahara, La accion de Espania en la costa Occidental de Africa, Edit. FE. 1941, p 21.

<sup>2</sup> أركين: هي عبارة عن جزيرة صغيرة بالساحل الموريتاني، يبلغ طولها حوالي 7 كلم أما عرضها فيبلغ حوالي 4 كلم، نظرا لموقع الجزيرة الاستراتيجي تنافست دول أوربية عديدة على هذه الجزيرة التي شكلت مركزا للتبادل التجاري مع البيطان.

ينظر: محمدو ولد محمدن امين: مرجع سابق، ص 51.

<sup>3</sup> رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 55.

بعد وفاة المنصور الذهبي دخل المغرب الأقصى في مشاكل واضطرابات داخلية، جعلت منها القوى الأوروبية فرصة لتنفيذ مخططاتها، فمع مطلع القرن الـ17م أسست فرنسا سنة (1047هـ/1638م) مدينة "سان لوي" على مقربة من إمارة الترازة، حيث شكلت هذه المدينة محورا تجاريا هاما في تجارة الأوروبيين مع البيطان والتي كانت تنصدرها تجارة الصمغ العربي، وبذلك تمكنت من مواجهة نفوذ هولند التي كانت تسيطر على جزيرة آركين<sup>1</sup>.

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر عادت الأطماع الإسبانية إلى الواجهة ، حيث وظفت هذه الأخيرة ديبلوماسية في المغرب الأقصى لمحاولة إقناع السلطان العلوي محمد ابن عبد الله بغرض منحها امتيازات تجارية في السواحل الصحراوية، وبعد انتصارها في حرب تطوان على المخزن فرضت عليه إتفاقية 24 أكتوبر 1861م/ 1278هـ<sup>2</sup>، والتي بمقتضاها يدفع المغرب الأقصى لإسبانيا نصف الإيرادات الجمركية للموانئ المغربية، كما نص الاتفاق أيضا على إنشاء مراكز على طول الساحل الصحراوي استخدمتها إسبانيا للصيد والتجارة في محاولة منها إقامة علاقات مباشرة مع القبائل الصحراوية ومواجهة النفوذ الفرنسي الهولندي في منطقة الترازة، ونستنتج من ذلك أن إسبانيا منذ البداية كانت تهدف إلى ضمان منفذ لها تتمكن من خلاله السيطرة على الساحل الشرق للأطلسي بالإضافة إلى أن هذه المستعمرة تتمكن من خلالها التوسع في باقي أقاليم إفريقيا الغربية.

وبغرض تحقيق أهدافها تم تكوين لجنة مشتركة سنة (1265هـ/1878م) غرضها معاينة الممتلكات الإسبانية المقابلة لجزر الخالدات وقد أعقب ذلك تأسيس "الشركة الإفريقية للمستعمرات" التي أسستها إسبانيا عقب مؤتمر مدريد، إلا أن الشركة لقيت رفضا من قبل سكان المنطقة الذين بقوا على عهد صداقتهم للسلطان المغربي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمدو ولد محمدن أمين: مرجع سابق، ص 59.

<sup>2</sup> Gérard Crespo : Les Espagnols ou Maroc 1856-1975 De la guerre d'Afrique à l'indépendance du Sahara Espagnol, Edilivre, France, 2016, p 52.

<sup>3</sup> حمزة الرشيد: إضاءات تاريخية وشخصيات جهادية من الصحراء الشيخ ماء العينين نموذجاً، قوت القلوب، العدد 5 و6، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، 2015، ص 04.

وفي إطار السباق المحموم بين الإمبراطوريات الأوروبية الإستعمارية لإيجاد مناطق نفوذ لها في الصحراء الغربية، حاولت بريطانيا أيضا إقامة علاقات تجارية مع الشيخ ماء العينين وذلك عن طريق التاجر دونالد ماكينزي " Dounald Makinzze " الذي تمكن من توقيع إتفاقية مع الشيخ محمد بن بيروك 26 يوليوز 1879م/ 1296هـ، حصل بموجبها على قطعة أرض لبناء مركز تجاري في طرفاية، بعدها حاول ماكينزي مراسلة الشيخ ماء العينين عن طريق " ألك فاكس " Alk fax وذلك سنة (1297هـ / 1880م)، إلا أن رد الشيخ ماء العينين على رسائل ماكينزي كانت رافضة للوجود البريطاني في المنطقة<sup>1</sup>. يُستشف من ذلك أن مواقف الشيخ تجاه المشاريع الأوروبية قوبلت بالرفض، لمعرفة الشيخ أن تلك المشاريع ماهي إلا مهادت للاستعمار الأوروبي بعد ذلك.

وبدوره تحرك السلطان المغربي الحسن الأول للدفاع عن نفوذه بالساحل، حيث احتج على التواجد البريطاني في طرفاية لدى الحكومة البريطانية على مشروع ماكينزي بحجة عدم أخذ ترخيص مسبق من السلطان المغربي، إلا أن رد الحكومة البريطانية كان مبهماً، الأمر الذي جعل السلطان يعطي أوامره للقبائل الصحراوية المهادنة له، بمهاجمة المركز البريطاني في طرفاية سنة (1298هـ/ 1881م)، وبعد مفاوضات بين الطرفين قرر المغرب الأقصى تقديم تعويض لحسائر الشركة مقابل الانسحاب من طرفاية<sup>2</sup>.

## 2) الأطماع الاجنبية في الصحراء الغربية بعد مؤتمر برلين 1885م

مع ظهور بريطانيا وفرنسا كمنافس للبرتغال وإسبانيا وهولندا على احتلال إفريقيا الغربية ولتجنب المواجهات المباشرة بين تلك القوى الأوروبية، تداعوا إلى مؤتمر دولي لتقسيم القارة وتسوية المنازعات المطروحة حول مناطق النفوذ فيما بينهم، وقد تبنى بسمارك الفكرة وتم عقد المؤتمر في مدينة برلين الألمانية وجرت أشغاله بين 15 نوفمبر 1884م/ 1301هـ، و 25 نوفمبر 1885م/ 1302هـ، وقد حضرته معظم الدول الأوروبية الإستعمارية، ومن بين أهم القرارات التي تمخضت عن مؤتمر برلين الأول ما يلي:

<sup>1</sup> حمزة الرشيد: مرجع سابق، ص 05.

<sup>2</sup> نفسه: ص 05.



- نصت المادة 34 على ما يلي: يتوجب على أي دولة أوروبية تستولي في المستقبل على أي منطقة من الساحل الإفريقي أو تعلنها محمية، أن تخطر الدول الموقعة على وثيقة برلين وبذلك يتم التصديق على دعواها، وقد أطلق على هذا الميثاق "مناطق النفوذ"، وقد فسرتة القوى الاستعمارية بأن أي دولة تمكنت من الإستيلاء على منطقة في الساحل فهي ضمينا صاحبة الحق في الأراضي الواقعة خلفه<sup>1</sup>. واستنادا لهذا المبدأ ازداد التنافس الأوربي على السواحل الإفريقية، حيث أضحت جميع الدول الأوروبية التي احتلت سواحل في إفريقيا الغربية لها الحق في الإستيلاء على المناطق الواقعة في الداخل، وهو الأمر الذي جعلها تتسارع للحصول على المزيد من المنافذ لها في القارة الإفريقية.

- أما المادة 35 فقد تضمنت: إن أي دولة أوروبية تمكنت من بسط سيطرتها على منطقة من الساحل الإفريقي، وجب عليها البرهنة على قدراتها في حماية الحقوق القائمة وحرية التجارة وحق العبور عند الاقتضاء في ظل الشروط المتفق عليها، وقد سمي هذا الميثاق "مبدأ الإحتلال الفعلي"<sup>2</sup>.

بعد التوقيع على قرارات المؤتمر ازدادت المنافسة بين الدول الأوروبية على السواحل الصحراوية، حيث قامت ألمانيا سنة (1302هـ / 1885م) بإرسال بعثة بقيادة جناس "Jannasch" كانت تهدف ألمانيا من خلالها إقامة مركز تجاري بوادي نون يكون بمثابة حجر الأساس لأطماعها التوسعية في الصحراء الغربية، إلا أن مشروع جناس فشل بعدما وقع في قبضة قبائل المنطقة، ولم يتم الإفراج عنهم إلا بتوسط السلطان المغربي<sup>3</sup>.

بعد أن طرحت فرنسا مشروعها الخاص بإنشاء سكة حديد توات تمبكتو، سارعت إسبانيا محاولة إقامة مشاريع من شأنها الحد من التوسع الفرنسي في غرب إفريقيا ففي 05 نوفمبر 1883م/1301هـ، عقد أعضاء الجمعية الملكية الإسبانية للجغرافيا التجارية والاستعمارية مؤتمرا انبثقت عنه القرارات التالية:

<sup>1</sup> Gérard Crespo: op cit, p 72.

<sup>2</sup> ibid: p 72.

<sup>3</sup> نور الدين بلحداد: التسرب الإسباني إلى شواطئ الصحراء، مطبعة المغارف الجديدة، الرباط، 2008، ص 124.

- إنشاء مراكز للصيد البحري على السواحل الصحراوية وفتح مدارس في جزر الكنارييس، بهدف تلقين الصيادين العربية لتسهيل معاملاتهم مع قبائل المنطقة<sup>1</sup>.

وتجسيدا لهذه القرارات عملت الحكومة الإسبانية على عقد مؤتمرٍ بمدريد بالتنسيق مع جمعية الدراسات الإفريقية والإستعمارية وذلك بهدف دراسة مشروع إرسال بعثة جديدة إلى السواحل الصحراوية، وكان من بين توصيات هذه المؤتمر الذي عقد في 30 مارس 1884م بمسرح الحمراء، مطالبة الحكومة الإسبانية بتقديم التسهيلات اللازمة لصيادي جزر الكنارييس، إلى جانب تأسيس جمعية الأفارقة والمستعمرين<sup>2</sup>.

تكللت مساعي جمعية الدراسات الإفريقية والإستعمارية بالحصول على الدعم المالي لمشروع البعثة من ملك إسبانيا شخصيا، وبعد اجتماع أعضائها مع رئيس الحكومة أنطونيو كانوفاس دي كاستيو "Antonio Canovas Del Castillo" قرر الأخير اختيار الملازم إمينليو بونيلي<sup>3</sup> "Emilio Bonelli Hernando" رئيسا للبعثة الإسبانية للصحراء الغربية نظرا لزياراته المتكررة إلى مناطق سواحل إفريقيا وتمكنه من اللغة العربية، وتمهيدا لبعثة بونيلي أرسل أعضاء "جمعية الشركة التجارية الإسبانية-الإفريقية"، إلى سواحل وادي الذهب في فيفري 1884م/1301هـ السفينة التجارية "Ines"، تحمل العديد من المواد التجارية الإسبانية بغية استمالة قبائل المنطقة وتسهيل مهمة بونيلي، إلا أن أعضاء هذه البعثة واجهوا صعوبات كثيرة نظر لرفض القبائل التعامل معهم<sup>4</sup>.

رغم فشل البعثة الأولى في استمالة قبائل المنطقة، لم يتراجع بونيلي عن قيادة البعثة التي وصلت في نوفمبر 1884م/1302هـ إلى شبه جزيرة الداخلة، مزودة بسفينة حربية ومواد أخرى، وقد مكنته معرفته بالعربية منذ البداية من ربط علاقات جيدة مع سكان المنطقة، الذين مكنوه من

<sup>1</sup> نور الدين بلحداد: التسرب الإسباني إلى شواطئ الصحراء، مطبعة المغارف الجديدة، الرباط، 2008، ص 105.

<sup>2</sup> Gérard Crespo: op cit, p 70.

<sup>3</sup> إمينليو بونيلي "Emilio Benelli"، من مواليد مدينة سرقسطة سنة 1855، من أب إيطالي منذ نشأته راز رفقة والده الجزائر وتونس مرسيليا وطنجة، وبسبب إتقانه للغة العربية شغل منصب مترجم بالقنصلية الإسبانية بمدريد، كما نال لقب ملازم في الجيش الإسباني، قبل أن يتوفى بمدريد في 25 نوفمبر 1925م. ينظر: نور الدين بلحداد: مرجع سابق، ص 106.

<sup>4</sup> نور الدين بلحداد: مرجع سابق، ص 106.

إقامة مبنى مؤقت للمواد التجارية على سواحل وادي الذهب، وقد كانت هذه الخطوة بمثابة الضامن الأول للمصالح الإسبانية في المنطقة، حيث أعقبها إعلان الحماية الإسبانية على سواحل الداخلة في ديسمبر من نفس السنة<sup>1</sup>، وفي مطلع سنة (1302هـ / 1885م) بدأت البعثة في بناء مركز تجاري مكان المبنى المؤقت الذي شيده في بداية الأمر، فكان رد فعل بعض القبائل أن راسلوا الشيخ ماء العينين في الأمر، وحسب ماء أورده الباحث ماء العينين مربيه ربه أن فتوى الشيخ ماء العينين في الأمر كالتالي:

إن كان للبناء فوائد على القبائل والمخزن فلا ضير في ذلك، وإن كان من عند أنفسهم فعليهم ثلاث، إما الإسلام، فإن رفضوا، فالجزية، وإن رفضوا فليتركوا البلاد<sup>2</sup>، وعلى هذه النقاط جرت المفاوضات بين الطرفين في بدايات مارس 1885م / 1302هـ، إلا أن فشلها أدى إلى نشوب معركة بين البعثة الإسبانية والقبائل المفاوضة في 09 مارس 1885 بمدينة الداخلة، ومن القبائل التي شاركت في المعركة أولاد بعمر، أولاد الدليم، العروسيين...، إلى جانب متطوعين من طلبة الشيخ ماء العينين على رأسهم ابن أخته العتيك ابن محمد فاضل والخضرمي ابن الشيخ محمد الأمين إضافة إلى أحمد ابن علي الشيخ المصطفوي<sup>3</sup>، فكان من نتائج هذه المعركة ما يلي:

- تأليف الشيخ ماء العينين كتابه "هداية من حارى في أمر النصارى" والذي حدد فيه موقفه المعارض من الإستعمار. وأحكام الجهاد وشروطه، إضافة إلى الحكم الشرعي في تلك الغنائم التي غنموها من المعركة<sup>4</sup>.

- تحطيم المركز التجاري الإسباني في المنطقة، إلى جانب قتل اثنين من المواطنين الإسبان وأسر البعض منهم، إلى جانب الاستيلاء على المواد والبضائع التجارية التي كانت بالمركز، وكان رد فعل

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: الشيخ ماء العينين علماء وامراء في مواجهة الاستعمار الفرنسي، ط2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011، ج2، ص 16.

<sup>2</sup> ماء العينين مربيه ربه: الشيخ ماء العينين ومعركة الداخلة 1885م، أعمال ندوة مدينة السمارة الحاضرة الروحية والجهادية في الصحراء، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، المغرب، 1999، ص 06.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص 17.

<sup>4</sup> ماء العينين مربيه ربه: مرجع سابق، ص 10.

السلطات الإسبانية أن أرسلت مفرزة عسكرية من جزر الكناري لحماية وتعزيز أنشطة فيلا سيروز، وعينت بونيلي حاكما مدنيا وعسكريا على الأقاليم التي سيطرت عليها<sup>1</sup>.

أعقب هذه المحاولات رحلات علمية جغرافية كانت أبرزها من تنظيم "جمعية الجغرافية التجارية" بدعم مباشر من الملك، ومن أهم رحلاتها إلى الصحراء رحلة خوسي أباريث "Jose Alvarez" التي انطلقت من درعة في مارس (1303هـ / 1886م) لتصل إلى الساقية الحمراء في أبريل من نفس السنة إلا أن هذا الأخير لم يستطع أن يواصل رحلته لأسباب أمنية وقد تمكن من عقد اتفاقيات مع بعض قبائل الصحراء كآيت موسى والزركيين<sup>2</sup>، وقد قامت الجمعية في جويلية من نفس السنة بتنظيم رحلة أخرى برئاسة خوليو كيريرا "Julio Cervera" وفرانسيسكو كيروغا "Francisco Quiroga" إلى جانب المترجم فيليب ريزو "Felipe Rizzo" إلى منطقة "كدية إيجل"<sup>3</sup> الواقعة شمال موريتانيا وتمكنت خلالها من عقد اتفاقيات مع أمير أدرار وأمراء بعض القبائل الصحراوية<sup>4</sup>، وكانت الجمعية قد زودت أعضاء البعثة بالمواد الضرورية وبعض الخرائط الجغرافية التي رسمها الإدرسي إلى جانب بعض مصاحف القرآن الكريم لتوزيعها على قبائل المنطقة، وبالرغم من الطابع التجاري لتلك الرحلات إلا أنها تخفي طابعا إستعماريًا وما يبرر ذلك، معاهدة 12 جويلية 1886م/1303هـ، التي إقترح بموجبها أعضاء الجمعية برئاسة كيريرا على دخول بعض أراضي منطقة أدرار تحت الحماية الإسبانية<sup>5</sup>، إلا أن هذه المعاهدة لم تطبق على أرض الواقع بعد أن عارضت فرنسا الإتفاق الإسباني المبرم مع قبائل أدرار بحجة أن المنطقة ضمن نطاق نفوذها منذ القرن السابع عشر، كما أن رئيس وزراء إسبانيا رفض الإعلان على قرار الحماية لعدم

<sup>1</sup> Gérard Crespo: op cit, p 71.

<sup>2</sup> محمد دحمان: سيدي إفني الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية 1934/1950، مطابع الرباط، المغرب، 2015، ص 21.

<sup>3</sup> كدية إيجل: منطقة غنية بمناجم الملح تقع شمال غرب ودان وتشيت وعلى بعد 200 كلم من تجكجة وأوليل شمال نهر السنغال، كما أن المدينة على مقربة من الساحل، الأمر الذي سيجعل الصراع على أشده بين إسبانيا وفرنسا للإستيلاء على المدينة بداية القرن العشرين. ينظر: مصطفى ناعمي: الصحراء من خلال بلاد تكنة، منشورات عكاظ، الرباط، 1988، ص 33.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص 18.

<sup>5</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 116.

رغبته إقحام إسبانيا في صراع مع الدول الأوروبية المنافسة لها على سواحل الصحراء خصوصا وأن فرنسا كانت تتمركز في سواحل السينغال بواسطة الشركة السنغالية، أما بريطانيا فكانت تبسط نفوذها على سواحل الطرفاية<sup>1</sup>.

كما أن زيارة السلطان المغربي للسوس في ماي 1886م/1303هـ، كانت بهدف معاينة حجم التدخلات الأجنبية على السواحل الأطلسية، وفي هذا الصدد قام بعدة إجراءات من بينها، إقامة حامية عسكرية في "كليمين" لتأمين حدوده بالسوس، ومنع دخول السفن الأجنبية إلى السواحل الأطلسية، إضافة إلى فتح مرسى للتجار لتوفير مختلف المواد الضرورية عوض اقتنائها من الأجانب، وقد استغل السلطان المغربي مولاي الحسن صداقته مع الشيخ ماء العينين، في محاولة رسم علاقات جيدة مع مختلف القبائل التي كانت تربطها مع الشيخ علاقات صداقة<sup>2</sup>.

بعد فشلها في إعادة ترميم مركزها التجاري في الداخلة "مركز بونيلي" سنة (1304هـ/1887م)، أرسلت إسبانيا بعثة أخرى سنة (1305هـ/1888م) كان على متنها اليهودي المترجم أصبير<sup>3</sup> "Asber"، حيث كان الهدف منها إقامة علاقات تجارية مع الحبيب بن بيروك إلا أن محاولة أصبير فشلت، بعد أسر وفدٍ من أتباع الشيخ ماء العينين أفرادا من البعثة الإسبانية ولم يتم الإفراج عنهم إلا بعد عدة أشهر، وقد حاولت إسبانيا بعد هذه الفترة إقامة علاقات تجارية مباشرة مع الشيخ ماء العينين سنة 1892م، إلا أن المفاوضات بينهم فشلت في بداياتها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص 19.

<sup>2</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 116.

<sup>3</sup> أصبير "إسبريديرن" Espiridion: إسباني من أصل يهودي قدم جزر الكناري من بلاد الشام وأقام شركة تجارية مع بعض الاسبانيين، كلفته الحكومة الفرنسية سنة 1888م بمهمة مترجم لبعثتها الى الصحراء الغربية وحتى يتمكن من تسهيل مهمته تزوج امرأة من قبائل الصحراء وادعى الاسلام وسمى نفسه محمد أصبير اتصل بالشيخ ماء العينين يتوسط له في أسرى البعثة الاسبانية المرافق لها، وأقام مدة في الصحراء قبل ان يطرد منها بتهمة التجسس لصالح الفرنسيين. ينظر: الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص20.

<sup>4</sup> نفسه: ص 21.

أما بلجيكا التي كانت تتمركز في الكونغو، فقد حاول الملك ليوبولد الثاني استغلال علاقاته مع السلطان المغربي في بناء مركز تجاري في الصحراء الغربية، بغرض تسهيل التواصل بين بلجيكا ومستعمراتها في الكونغو، ولتجسيد هذا المشروع حاول إقناع إسبانيا بالتنازل عن مركزها التجاري "فيلا سيسنيروس" إلا أن هذه الأخيرة رفضت الاقتراح البلجيكي، بعدها وجه ليوبولد أنظاره إلى مركز البريطانيين في الطرفية فوافق ماكنيتري مبدئياً سنة (1305هـ / 1888م)، وساعد مبعوث الملك البلجيكي الكولونيل بارون لاهير "Baron Lahure" الذي وصل إلى الطرفية في سبتمبر 1888م / 1306هـ، وقد واجهته عدة معوقات في توغله شرق الطرفية إلا أن خدمات العلاج التي كان يقدمها طبيبه الخاص روسل "Russel" مكنته من إقامة علاقات مع بعض شيوخ القبائل على غرار الشيخ حفيظ الذي كان من أغنى رجالات قبيلة أولاد تيدرارين، والشيخ أحمد بابا من منطقة لقطوط<sup>1</sup>، كما اتصل ببعض الشيوخ من منطقة الساقية الحمراء، إلا أن محاولات لاهير باءت بالفشل، وبالتالي بقيت مساعي ليوبولد الثاني رهينة بتنازل دونالد ماكنيتري عن المركز البريطاني في الطرفية<sup>2</sup>.

بالنسبة لفرنسا التي كانت تتمركز قواتها في الجزائر والسينغال حاولت بدورها الحصول على امتيازات لها على الساحل الصحراوي، ولتحقيق هذا الهدف كان عليها إقامة علاقات تجارية مع قبائل المنطقة، فبعد أن أقنعت قبائل تمبكتو بذلك سنة (1302هـ / 1885م)، أرسلت بعثة إلى سواحل الصحراء الأطلسية سنة (1304هـ / 1887م)، بقيادة شارل صولير<sup>3</sup> "Charles Soller" حيث زار جزيرة أركين التي كانت تحت النفوذ الفرنسي والرأس الأبيض إضافة إلى تيدرة وكيجي، وحول رحلته أعد تقريراً مفصلاً للجمعية الفرنسية للجغرافية التجارية نوه فيه بالأهمية الاقتصادية لجزيرة أركين<sup>4</sup>، وفي نفس السنة قامت الجمعية بإرسال بعثة إلى سواحل وادي

<sup>1</sup> لقطوط: منطقة تقع شرق الطرفية حيث تبعد على الساحل حوالي 5 كلم.

<sup>2</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 127.

<sup>3</sup> شارل صولير: رحالة ومغامر فرنسي وعضو المجلس الأعلى للمستعمرات، زار المغرب الأقصى وشغل فيها مراسلاً لجريدة الزمن الفرنسية، ولمعرفته الكبيرة بالشؤون الصحراوية إختارته الجمعية الفرنسية للجغرافية التجارية رئيساً لبعثتها إلى الصحراء الغربية مطلع 1887م. بنظر: محمدو ولد محمدن أمين: مرجع سابق، ص 126.

<sup>4</sup> نفسه: ص 128.

الذهب بقيادة كيمي دولس<sup>1</sup> "Camille Douls" حيث رست سفينته بالقرب من رأس بوجادور في 11 يناير 1887م/ 1304هـ، وقد حمل معه موادا تجارية بغرض توزيعها على الأهالي، وصل إلى قبيلة أولاد دليم متنكرا في زي تاجر مسلم من الجزائر وقد سمى نفسه الحاج عبد الملك<sup>2</sup>، إلا أن إسلامه كان محل شك لذلك تم عرضه على أمير أدرار الشيخ أحمد ولد عيدة<sup>3</sup> الذي اعترف لهم أنه مسلم وأمرهم بالإحسان إليه، بعدها قرروا عرضه على الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء، وقد أكد لهم هذا الأخير حسن إسلامه بعد أن اختبره في بعض الأمور الفقهية، وقد مضى دولس خمسة أشهر عند أولاد الدليم، تمكن خلالها من الاطلاع على عادات وتقاليده قبائل وادي الذهب، ولم يتمكن أولاد الدليم من معرفة هويته إلا بعدما رحل إلى مراكش ومنها إلى فرنسا<sup>4</sup>، هذه الأخيرة أرسلت بعثة جديدة بقيادة "Gaston Donnet" سنة (1310هـ/ 1893م) وقد كلفته الحكومة الفرنسية بإنجاز تقرير دقيق حول العلاقات التجارية بين القبائل الصحراوية والمركز البريطاني والإسباني على الساحل الصحراوي<sup>5</sup>.

إن تحرك الأطماع الأوروبية على السواحل الصحراوية، أثار حفيظة إسبانيا التي رأت في نفسها من خلال قرارات مؤتمر برلين أنها صاحبة الحق في المنطقة، فكان رد فعلها أن احتجت ديبلوماسيا لدى ملك بلجيكا بعد البعثة البلجيكية إلى الصحراء الغربية سنة (1305هـ/ 1888م)، كما أرسلت إلى حكومة بريطانيا برقية احتجاج على خلفية إرسال هذه الأخيرة حاميات عسكرية للساحل الصحراوي سنة (1309هـ/ 1892م)<sup>6</sup>، وفي نفس الوقت حاولت إسبانيا تعزيز

<sup>1</sup> كيمي دولس: رحالة ومغامر فرنسي ولد سنة 1864م بفرنسا وقدم إلى المغرب الأقصى سنة 1885م، عرف باتقانه للغة العربية وقد إختارته الجمعية الفرنسية للجغرافية التجارية رئيسا للبعثة الفرنسية إلى الصحراء سنة 1887م، إغتالته قبائل الطوارق في الصحراء الجزائرية سنة 1889. ينظر: نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 128.

<sup>2</sup> Camille Douls: Voyage dans le Sahara occidental et le sud Marocain, rouen imprimerie de espérance cagniard, 1888, p08.

<sup>3</sup> أحمد ولد عيدة: هو أحد أمراء منطقة أدرار ببلاد شنقيط عرف بحنكته ودهائه السياسي إلى جانب خبراته في الحروب. ينظر: محمد دهمان: الكتابات التاريخية الإسبانية حول منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب قراءة سوسيو تاريخية، مجلة المناهل، العدد 89 و90، وزارة الثقافة المغربية، المغرب، 2011، ص 85.

<sup>4</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مamina: مرجع سابق، ج2، ص 32.

<sup>5</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 129.

<sup>6</sup> نفسه: ص 131.

نفوذها في الداخل الصحراوي، عبر إرسال العديد من البعثات بغية إقناع القبائل بإقامة علاقات تجارية معهم، ومع انعدام الأمن في السواحل الصحراوية إثر تعرض الإسبان إلى هجومات أولاد دليم سنوات 1892م، 1894م، 1897م، جعلت الحكومة الإسبانية تفكر في التخلي عن مركز "ريو دي أورو"<sup>1</sup>، إلا أن مخاوفها من فقدان أملاكها بالساحل الصحراوي، دفع بها إلى تكثيف محاولاتها لإقناع الشيخ ماء العينين بمشروعها التجاري غير أن محاولاتها باءت بالفشل، وفي ظل هذا الأوضاع عملت إسبانيا على عقد تحالف مع ألمانيا سنة (1316هـ/1899م)، إلا أن ذلك لم يمنع من إقدام الحكومة الفرنسية في 27 ديسمبر 1899م/1317هـ على إعلان موريتانيا الغربية مستعمرة لها<sup>2</sup>، وفي الوقت نفسه كانت قواتها تتحرك لإخضاع الجنوب الغربي الجزائري والذي سيفسح المجال لفرنسا للتوسع في الصحراء الغربية، وفي هذه الحالة سيصبح النفوذ الإسباني منحصر في السواحل الصحراوية خصوصا وأنها فشلت في التوغل داخل الصحراء، هذه التطورات التي عرفت المنطقة أصبحت تنبئُ بحدوث مواجهات مباشرة بين إسبانيا وفرنسا ولتجنب ذلك كان على الطرفين خصوصا إسبانيا التوصل إلى حلول لتحديد مناطق نفوذهما في المنطقة.

من خلال ما سبق يمكن القول أن القوى الأوروبية بعد مؤتمر برلين حاولت بشتى الطرق الحصول على مناطق نفوذ لها على الساحل الصحراوي، فإسبانيا التي كانت صاحبة السبق في التواجد بالمنطقة حاولت جاهدة توسيع دائرة نفوذها عن طريق إرسال المزيد من البعثات لإقامة علاقات مع قبائل الصحراء الغربية، وهو المبتغى الذي حاولت فرنسا تحقيقه عبر إرسال العديد من الرحلات لإكتشاف المجال الصحراوي، هذا الأمر سيجعل الصراع على أشده بين إسبانيا وفرنسا بداية القرن العشرين.

### 3) المفاوضات الإسبانية الفرنسية حول الصحراء الغربية

ترجع المفاوضات الفرنسية الإسبانية إلى فترة الثمانينات من القرن التاسع عشر، وذلك بعد أن نجح الرحالة الإسباني ثريبييرا في إقامة علاقات مع قبائل أدرار، التي ترى فيها فرنسا منطقة نفوذ

<sup>1</sup>) Gérard Crespo: op cit, p 74.

<sup>2</sup>) علي بدوى سليمان: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903/1960م)، مذكرة ماجستير، اشراف عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2003، ص 41.



لها حيث حاول الطرفان التوصل إلى حل بشأن هذه المنطقة، إلا أن المفاوضات التي جرت بينهم بباريس في 25 ماي 1886م / 1303هـ فشلت بسبب تعنت الطرفين حول المسألة، وبالرغم من أن إسبانيا لم تعلن أن أدرار منطقة نفوذ لها، إلا أن مخاوفها كانت تخشى تعاضم النفوذ الفرنسي في الصحراء الغربية، وحتى تطمئن إسبانيا حاول الأدميرال الفرنسي هومان "Houmann" سنة (1891/1308هـ) اقتراح مشروع مراجعة الحدود الفاصلة بين الأملاك الفرنسية والإسبانية في الصحراء الغربية، إلا أن إسبانيا رفضت المقترح لأن هدفها كان الوصول إلى مملحة إيجل الواقعة في حدود خط الطول 11 درجة<sup>1</sup>.

مع نهاية القرن التاسع عشر شهدت إسبانيا اضطرابات كبيرة، فقد أدت خسارتها للفلبين وكوبا وبورتوريكو سنة 1898م، إلى تزمزيم الرأي العام الإسباني من الحروب الإستعمارية التي تنتهي بهزائم، وما أوجب الوضع أكثر الأزمة الاقتصادية التي عرفتها البلاد سنة 1898م، فبعد الزيادات في الضرائب على المواد الغذائية، إندلعت أعمال شغب في "أليكانتي" و"سوسيداد" و"بايزا"، وتم إعلان الطوارئ في جميع أنحاء البلاد، وهو الأمر الذي حتم على الحكومة الإهتمام أكثر بمستعمراتها في الساحل الأطلنطي<sup>2</sup>.

## 1- المفاوضات الفرنسية الإسبانية الأولى

في مطلع سنة 1900م / 1317هـ، إجتمع وزير خارجية فرنسا ديلكاسي "Delkassi" مع السفير الإسباني ليون دي كاستيوا "Lion Del Kastion" في باريس، لدراسة مشروع تحديد أملاك بلديهما على سواحل وادي الذهب، وقد إقترح الطرفان على أن تكون الحدود الفاصلة بين أملاكهما في المنطقة خليج كالكو "Galge" الواقع في الجنوب الغربي من الرأس الأبيض، غير أن الإختلاف كان بينهما حول حدود هذا الخليج، فأما دي كاستيوا فقد رأى أن الحدود الجنوبية لهذا الخليج تمتد من "رأس سانتا أنا" الواقع جنوب وادي الذهب إلى غاية الرأس الأبيض، إلا أن ديلكاسي عارض هذه الحدود كونها تمنح فرنسا جزيرة أركين فقط وألح على تقسيم الرأس الأبيض بين الطرفين، ومع تعنت الطرفين توقفت المفاوضات حول هذه المسألة

<sup>1</sup> ( نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 150.

<sup>2</sup> Gérard Crespo: op cit, p 78.

وحاول الطرفان مناقشة النقطة المتعلقة بمنطقة أدرار التي كانت المسألة الأبرز في المفاوضات، خصوصا الجانب الفرنسي الذي كان يرى في أدرار منطقة حساسة ومهمة في مشروع موريتانيا الغربية<sup>1</sup>، لذلك حاولت تعزيز تواجدتها فيها بإرسال حامية عسكرية لاحتلال أدرار وبذلك تضع إسبانيا في الأمر الواقع منذ البداية، إلا أن هذه الخطوة أدت إلى انسحاب دي كاستيو الذي عاد إلى مدريد 18 ماي 1900م / 1317هـ للتنسيق مع حكومة بلاده في هذا الأمر<sup>2</sup>.

من خلال ما سبق يتبين أن الحكومة الإسبانية كانت تهدف بالأساس إلى الحفاظ على مناطق نفوذها بالصحراء الغربية سواء في الساحل أو الداخل، أما منطقة أدرار فلم تكن لها قيمة كبيرة بالنسبة للإسبان على اعتبار أن الحكومة منذ سنة (1303هـ / 1886م) لم تعترف بمعاهدات ثريبيرا مع قبائل المنطقة، لذلك نجد رئيس الحكومة الإسباني سنة (1317هـ / 1900م) يصدر تعليماته للمفاوض الإسباني دي كاستيو بالتنازل عن ادرار بمجرد الحصول على تعويض مالي من فرنسا، إلا أن هذا الخيار بالنظر إلى سياق الأحداث نجد إسبانيا مُضرة للتخلي عن أدرار للحفاظ على الصحراء الغربية، وذلك عائد إلى محدودية قوتها إذا ما قارناها بفرنسا، إضافة إلى أن فرنسا كانت قد وضعت إسبانيا في الأمر الواقع عندما استولت عسكريا على أدرار لذلك لم يبقى للإسبان سوى الرضوخ للطرح الفرنسي بأقل أضرار.

بعد عودة دي كاستيو إلى باريس كانت ملامح التقسيم شبه ظاهرة على اعتبار أن إسبانيا ضمنيا رضخت لمطالب فرنسا الخاصة بمنطقة أدرار، لكن في نفس الوقت لم تكن لترضى بأن تتخلى على مناطق أخرى من الصحراء، لذلك كانت المفاوضات بين الطرفين أكثر حدة من السابق رغم ذلك تمكن الفرنسي ديلكاسي والإسباني دي كاستيو من التوصل إلى حلول تحدد ممتلكات بلديهما في إفريقيا الغربية، حيث وقعت الحكومتان رسميا على نتائج المفاوضات في باريس 27 جوان 1900 / 1317هـ<sup>3</sup>، وقد تضمنت ما يلي:

<sup>1</sup>) coppolani: analyse Regions occidentales et orientale des pays Trarza,(S.é), 1899, p 08.

<sup>2</sup>) نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 152.

<sup>3</sup>) Gérard Crespo: op cit, p 80.

1) تستولي إسبانيا على الصحراء الغربية، وفرنسا على بلاد شنقيط على أن يتم الفصل بين ممتلكات البلدين في الساحل الصحراوي بخط يقطع منتصف جزيرة الرأس الأخضر بالتحديد المنطقة الواقعة بين أقصى هذا الرأس والخليج الغربي، ثم يصعد باتجاه الساحل الشمالي إلى غاية نقطة التماس بين مع الخط الموازي (21.20°) لخط العرض الشمالي، ثم ينعطف شرقا عند خط العرض (20.21°) ليصل نقطة التقاطع مع خط الطول (15.20°) غرب باريس، و(13°) غرب خط غرينيتش، ومن هذه النقطة يصعد خط في اتجاه الشمال الغربي بين خطي طول (15.20°، 16.20°) غرب باريس، و(13°، 14°) غرب خط غرينيتش، وانطلاقا من نقطة التقاء المنحنى المذكور مع خط الطول (15.20°) غرب باريس و(13°) غرب غرينيتش، لتمتد على خط الطول الأخير في اتجاه الشمال<sup>1</sup>، وبهذه الحدود تمكنت فرنسا من تدعيم حضورها في المنطقة من خلال الاستيلاء على مملحة "ايغل" التي كانت إسبانيا تستولي عليها، وضمائها لمراكز هامة على الساحل الموريتاني، الأمر الذي سيمكنها الحد من السيطرة الإسبانية والبريطانية في الصحراء الغربية<sup>2</sup>، وقد اتفق الطرفان على تكليف لجنة خاصة لتحديد الجزء الخاص بمنطقة الراس الأبيض وذلك ما أشار إليه البند الثامن من هذا الاتفاق بحيث يسند الجزء الغربي من شبه الجزيرة إضافة إلى خليجها الغربي إلى إسبانيا، في حين تحتفظ فرنسا بالرأس الأبيض والجزء الشرقي من شبه الجزيرة<sup>3</sup>.

2) يسمح للإسبان الموجودين داخل المناطق الواقعة ضمن النطاق الفرنسي، على غرار المر الواقع بين لسان الرأس الأبيض "رصيف لياظر" (La Bayadere)، وداخل مياه خليج لفريبي (Levrier) الذي يقع ضمن المنطقة التي تربط أقصى الرأس الأبيض بلسان بلاكوكي (La coquille)، يسمح لهم مزاوله صناعة الصيد البحري إضافة إلى العمليات الخاصة بالتجفيف وإصلاح المراكب وتهيئ الأسماك، كما يسمح لهم بإقامة أكواخ ومنشآت مؤقتة شرط إزالتها متى ما خرجوا للبحر، وقد نص هذا البند على التزام الأطراف بعدم المساس بالممتلكات العمومية

<sup>1</sup> (نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 155.

<sup>2</sup> Fabert: Voyage dans le bayas des Trarza et dans Le Sahara occidental, BSGP, t-.XIII., 1892, p 04.

<sup>3</sup> (نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 155.

والخاصة<sup>1</sup>، هذا البند كان يهدف إلى احترام الحقوق التقليدية للصيادين الإسبان في المحيط الأطلسي، إلا أنه ومع ذلك لوحظت العديد من الحوادث بين الصيادين الفرنسيين والإسبان خصوصا في العقد الأول من القرن العشرين<sup>2</sup>.

(3) كما يحق للإسبان نقل الملح المستخرجة من مملحة "إيغيل" إلى الموانئ الصحراوية الواقعة تحت نفوذهم في السواحل الصحراوية، ولا يخضعون في ذلك لأي قانون تصديري<sup>3</sup>، وهذان البندان أرادت من خلالهما فرنسا امتصاص غضب الرأي العام الإسباني خصوصا بعد أن خسرت إسبانيا أجزاء من الساحل الأطلسي ومملحه "إيغيل" التي كانت مورداً إقتصادياً هاماً بالنسبة لإسبانيا في الصحراء الغربية.

(4) يلتزم الطرفان بحسن معاملة شيوخ القبائل خصوصا الذين تربطهم اتفاقيات ومعاهدات بالدولتين، والذين أصبحوا بموجب هذا الإتفاق تحت سيادة أحد الطرفين<sup>4</sup>.

## 2- ردود الأفعال المختلفة حول الإتفاق الفرنسي الإسباني حول الصحراء الغربية

### أ) إسبانيا

كان الرأي العام الإسباني منقسما على نفسه حول نتائج المفاوضات، حيث اعتبر البعض أن إسبانيا تخلت عن أراضي شاسعة لصالح فرنسا رغم أن هذه الأخيرة لم تكن صاحبة السبق في المنطقة عكس إسبانيا، وقد قلل المؤرخ الإسباني توماس فيغراس من الأهمية الإقتصادية للأراضي التي استولت عليها بلاده، واعتبر المشاريع التي تعتمز بلاده القيام بها في المنطقة إهدارا للمال العام<sup>5</sup>، وقد اعتبر المعارضين للإتفاق أن كاستيوا تجاهل الجهود التي بذلها ثريبيرا في إقناع شيوخ منطقة أدرار سنة (1303هـ/ 1886م).

في المقابل ثمن البعض الآخر مجهودات الديبلوماسي الإسباني في باريس، والذي كان له الفضل في حصول إسبانيا على مناطق فاقت مساحتها 180000 كلم<sup>2</sup>، أما على الصعيد الرسمي

<sup>1</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 156.

<sup>2</sup> Gérard Crespo: op cit, p 80.

<sup>3</sup> جليليه: التوغل في موريتانيا، تر محمدن ولد حمينا، دار الضياء، الكويت، (ب. س)، ص 128.

<sup>4</sup> نفسه: ص 156.

<sup>5</sup> Tomas Garcia Figueras : op.cit , p 206.

فمن خلال الطعون التي تقدم بها كل من رئيس الحكومة الإسبانية ورئيس البرلمان الإسباني يظهر أن نتائج الإتفاق غير مرضية بالنسبة لهم، مقارنة بالمجهودات الكبيرة التي بذلتها إسبانيا في غرب إفريقيا، لذلك عقد البرلمان الإسباني دورة استثنائية في 11 ديسمبر 1900م / 1318هـ لمناقشة بنود الاتفاق، وبعد مفاوضات وجلسات متعددة توصل النواب إلى المصادقة على جميع البنود التي تضمنها الاتفاق<sup>1</sup>.

وبناء على ذلك عينت الحكومة الإسبانية قائد المشاة فرانسيسكو بنس أرجونادا "Francisco Bens Argonanda"، كحاكم مدني في "ريو دي أورو"، حيث سيكون له أثر فعال في إحياء النشاط الاقتصادي وتعزيز المواقف الإسبانية في هذه المنطقة، إذ سيشرع في سياسة الحوار والتشاور مع القبائل المحلية التي سريعا ما كسب ود البعض منها بفضل أسلوبه اللين في المعاملة<sup>2</sup>.

### ب) المغرب الأقصى

على إثر التهديدات التي شهدتها السواحل الأطلسية أواخر القرن التاسع عشر، ولمواجهة ذلك إستغل السلطان المغربي آنذاك الحسن الأول، علاقته الجيدة مع الشيخ ماء العينين للدفاع عن مشاريع بلاده في الساحل الصحراوي، ويمكن أن نفسر أسباب لجوء الملك الحسن الأول للشيخ ماء العينين لـ:

- 1- الصدقة التي تجمع الشيخ ماء العينين مع السلاطين المغاربة.
- 2- المكانة التي يتميز بها الشيخ في أوساط القبائل الصحراوية، ويظهر ذلك من خلال الوفود التي ترد إلى الشيخ ماء العينين، من مختلف قبائل الصحراء لغرض التعليم تارة، والإقامة في رباطه تارة أخرى.

<sup>1</sup> ( نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 158.

<sup>2</sup> Gérard Crespo: op. cit, p 82.

3- تعدد أتباعه وموريديه، حيث بلغ عدد أتباعه سنة (1316هـ / 1899م) حوالي 500 خيمة بعدما كانت قبل ذلك 100 خيمة فقط<sup>1</sup>، ولكون هؤلاء يدينون له بالولاء التام، سيتمكن في بداية حركته الجهادية من قيادة المقاومة ضد الغزو الاجنبي بواسطتهم.

بعدها أذعنت له معظم قبائل البيضان، بدأ الشيخ يتنقل بين أقاليم الصحراء الغربية لتوحيد صفوف القبائل الصحراوية، في الوقت الذي بدأت أبوابها تُدق من قبل الإسبان، المرابطين على السواحل الأطلسية، فكان لا بد من الاستعداد الجيد للمواجهة، بدءاً بتوحيد القبائل وحثها على رفض التعامل مع الإسبان<sup>2</sup>.

مع بداية المفاوضات الإسبانية الفرنسية حول الصحراء وغرب إفريقيا، وفي اطار الصداقة بين المخزن والشيخ ماء العينين، أرسل هذا الأخير رسالة إلى الوزير المخزني أحمد بن موسى، يخبره من خلالها بعزم القوات الفرنسية دخول أدرار<sup>3</sup>، فكان رد فعل السلطان المغربي سريعاً، حيث احتج لدى وزير فرنسا بطنججة، إلا أن مساعي السلطان المغربي لم تُثن من عزيمة فرنسا في احتلال أدرار، وهذا الأمر يظهر من خلال سعي حكومتها لإنشاء خط تجاري يربط بين عين صالح وتمبكتو، كما حاولت كسب ود الشيخ ماء العينين عن طريق تكليف الشيخ سعد بوه<sup>4</sup> بالتوسط لإقناع الشيخ ماء العينين في إقامة علاقات تجارية معهم، إلا أن الشيخ ماء العينين امتنع عن ذلك<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> غلال الفاسي: مرجع السابق، ص 146.

<sup>2</sup> حمزة الرشيد: المرجع السابق، ص 04.

<sup>3</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 158.

<sup>4</sup> الشيخ سعد بوه: هو الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ مامين القلقي الشنقيطي، ولد سنة 1848م، في منطقة الحوض الشرقي في موريتانيا على بعد 70 كلم من مدينة النعمة، نشأ في كنف أبيه الشيخ محمد فاضل حيث أخذ عنه العلوم الظاهرة والباطنة، كما أخذ عن أخيه محمد الزين القرآن الكريم وعلومه وهو لا يتجاوز السن السابعة، تنقل سعد بوه بين مناطق ولاتة وكوش قبل أن ينتقل الى الحوض الغربي (القبلة) بأمر من والده الشيخ محمد فاضل، وقد تمكن من نشر الورد القادري الفاضلي في المنطقة رغم الصعاب التي واجهها في بداية إقامته من قبل علماء المنطقة، وقد قدر عدد طلابه في مدينة (القبلة) حوالي 700 تلميذ، كما اشتهر بفتواه المعارضة لمواجهة الاستعمار الفرنسي في المنطقة، الأمر الذي جعل العلاقات بينه وبين إدارة الاحتلال جيدة حيث كان الوسيط في الكثير من المفاوضات بينهم وبين قبائل الصحراء واعيانها توفي في بلدة (النمجات) في الجنوب الشرقي لموريتانيا سنة 1917م. ينظر: ولد أن محمد الأمين: مرجع سابق، ص 205\_ 213.

<sup>5</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 159.

أما عن القبائل الصحراوية فقد كانت ردود أفعالها حول بداية التوسع الإسباني والفرنسي، أن هاجمت المركز الإسباني فيلاسييسنيروس في مطلع أكتوبر 1901م /1319هـ، الأمر الذي جعل الإسبان يتمركزون في السواحل الصحراوية فقط، وحتى تتمكن من إمتصاص غضب قبائل الصحراء الغربية، أصدرت الحكومة الإسبانية قانونا في 12 ماي 1902م / 1320هـ، يقتضي بالسماح فقط لبعض شركاتها التجارية استغلال مراكزها التجارية بالساحل الصحراوي، وفسح المجال لشركات أخرى للاستثمار بالصحراء، ولتسهيل نشاط هذه الشركات التجارية، عملت الحكومة على إعداد مشروع بناء مركز تجاري كبير في شرق وادي الذهب<sup>1</sup>، هذا الأمر سيساهم في إضفاء حركية في التبادل التجاري مع القبائل وخلق نشاط إقتصادي بين السواحل والداخل الصحراوي، غير أن هذا المشروع عارضته فرنسا بحجة أنها فاوضت المخزن بشأنه منذ (1276هـ/ 1860م)، هذا الأمر أدى إلى دخول فرنسا وإسبانيا في مفاوضات جديدة لتحديد مناطق نفوذهما على الساحل الممتد من وادي درعة الى رأس بوجادور.

#### 4- المفاوضات الفرنسية الإسبانية حول السواحل الأطلسية الواقعة بين وادي درعة ورأس بوجادور سنة (1319هـ، 1902م)

بعد أن بدأت إسبانيا تخطط لإنجاز مشروع مركز تجاري جديد في الساحل الصحراوي تحركت المساعي الفرنسية للدفاع عن مناطق نفوذها في الساحل الأطلسي، حيث استدعى وزير خارجيتها ديلكاسي السفير الإسباني كاستيوا للتفاوض بشأن الأقاليم الواقعة بين وادي درعة ورأس بوجادور، وقد كان الموقف الفرنسي منذ البداية واضحا وهو الرفض لأي مشروع اقتصادي في المناطق المتنازع حولها، وهذا تنبيه واضح للحكومة الإسبانية حول مشروع إنشاء المركز التجاري شرق وادي الذهب، هذا الأمر جعل كاستيوا يعرض القضية على رئيس حكومته "سلبيللا" (Slebelá)، حيث التقى الطرفين في مدريد في سبتمبر 1902م /1320هـ، وقد حاول كاستيوا إقناع رئيس حكومته بضرورة التوقيع على اتفاق جديد مع فرنسا قبل بناء المركز التجاري الجديد في الساحل الاطلسي، إلا أن سلبيللا رفض العرض ما لم يتم إشراك بريطانيا في المسألة<sup>2</sup>، لأن هذه الأخيرة كانت قد عقدت إتفاقاً مع المخزن سنة (1312هـ / 1895م)، بموجبه تعهد المخزن بعدم التنازل عن المناطق الواقعة جنوب ساحل الطرفاية،

<sup>1</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 160.

<sup>2</sup> نفسه: ص 161.

ورغم تعهد ديلكاسي بإبقاء المعاهدة (في حال توقيعها) سرية عن بريطانيا والمخزن، لكن مخاوف وزير الدولة الإسباني "المودفار" (Almodovar) من استيلاء فرنسا على منطقة في الساحل الصحراوي، ومعارضة الرأي العام الإسباني للمغامرات الإسبانية في إفريقيا أدى إلى فشل المفاوضات بين الطرفين<sup>1</sup>.

#### - ردود أفعال الحكومة الفرنسية

بعدما فشل وزير خارجية فرنسا ديلكاسي في إقناع كاستيوا، بالتوقيع على بنود الاتفاق الفرنسي الإسباني، حول الأقاليم الواقعة بين وادي درعة وبوجادور، لجأت فرنسا إلى فرض سياسة الأمر الواقع مثلما فعلت في احتلال أدرار، حيث أرسلت سفينة عسكرية إلى وادي درعة مطلع 1903م/ 1320هـ، بهدف إقناع القبائل لربط علاقات تجارية معهم، وقد رفض بعض القبائل ذلك العرض، فيما ذهبت قبائل أخرى على غرار إزركيين وأولاد الدليم إلى محاولة ربط علاقات تجارية معهم، لكن سرعان ما تراجعوا عن قرارهم بضغط من الشيخ ماء العينين<sup>2</sup>، ورغم أن فرنسا لم تنجح في إقامة علاقات تجارية مع القبائل الصحراوية بوادي درعة، إلا أنها تمكنت من إحداث انقسام بين تلك القبائل من جهة، ومن ناحية أخرى تمكنت من التوصل لاتفاق مع بريطانيا سنة (1321هـ/ 1904م)، يقضي بتنازل الأخيرة على كامل حقوقها في المغرب الأقصى لصالح فرنسا، مما سيجعل إسبانيا مضطرة للدخول في مفاوضات مع فرنسا للحفاظ على مصالحها في الصحراء الغربية.

#### 5- المفاوضات الإسبانية الفرنسية حول ساحل سيدي إفني ومنطقة السوس (1321هـ، 1904م)

قبل بداية المفاوضات الفرنسية الإسبانية، كان على إسبانيا إقناع الرأي العام الإسباني بضرورة الدفاع على المصالح الوطنية في إفريقيا الغربية، حيث أرسل رومانونيس "Romanones" وزير الدولة الإسباني السابق، رسالة إلى كيساريو فيرنانديز دورو "Cesario Fernandez Duro" رئيس الجمعية الإسبانية للجغرافية التجارية، يطالبه من خلالها بضرورة التعجيل بنشر قرارات الإتفاق الفرنسي البريطاني (1321هـ/ 1904م)، لكسب الرأي العام الإسباني الراض للمشاريع التي تقوم بها الحكومة في الصحراء الأطلسية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 162.

<sup>2</sup> Tomas Garcia Figueras: op. cit, p 189.

<sup>3</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 164.



في التاسع عشر من أبريل سنة 1904م/1322هـ، بعث أعضاء الجمعية الإسبانية للجغرافية التجارية برقية إلى رئيس الحكومة الإسبانية، يُعبرون من خلالها بضرورة التعجيل في احتلال ساحل سيدي إفني، وهذا خشية استيلاء فرنسا على الأراضي التي تنازل عليها المخزن لصالح إسبانيا سنة (1300هـ/1883م)، ومع دخول بلجيكا على الخط مطالبة بإنشاء مركز تجاري على سواحل سيدي إفني سنة (1322هـ/1904م)، تحرك الرأي العام الإسباني من خلال مقال نشر في 26 ماي 1904م بجريدة (Heraldo de Madrid) يطالب الحكومة بضرورة إجراء مفاوضات مع فرنسا لتحديد مناطق النفوذ الإسبانية في منطقة السوس<sup>1</sup>، وهو أمر رأت فيه الحكومة الإسبانية بمثابة الضوء الأخضر من قبل الرأي العام الإسباني، لذلك أوعزت إلى سفيرها في باريس دي كاستيوا في بداية التحضير لعقد إتفاق مع نظيره الفرنسي حول المسألة.

بدأت المباحثات بين الطرفين في باريس أوائل جوان 1904م/1322هـ، ورغم أن الهدف كان التفاوض حول مسألة السيادة في منطقة السوس وسيدي إفني، إلا أن الطرفين تبحتا أيضا في مسائل تخص منطقتي فاس وتازة وبعض الأقاليم الأخرى، وقد كانت إسبانيا تأمل في حصولها على مناطق تازة وفاس، التي كان الإتفاق البريطاني الفرنسي 1904م قد حسم أمرها لصالح هذه الأخيرة، كما كانت ترغب في توسيع حدود المنطقة التي تنازل عليها المخزن سنة (1276هـ/1860م) لصالح إسبانيا، فيما كانت المطالب الفرنسية تحاول قدر الإمكان الحصول على مناطق لها في السوس والساحل الصحراوي، رغم أن ديلكاسي كان يعلم أن إسبانيا لا يمكنها التخلي عن السواحل السوسية لفرنسا مقابل تعويض ترابي في الشمال المغربي، وعلى هذا الأساس بدأت المباحثات بين الطرفين، وبالرغم من تضارب مصالح البلدين إلا أن ديلكاسي وكاستيوا توصلا سريعا إلى حلولا بشأن المسائل المتباحث حولها، حيث إنتهت المرحلة الأولى منها مع نهاية جوان 1904م/1322هـ<sup>2</sup>.

في 04 جويلية 1904م عرض وزير الخارجية الإسباني غبريال ماورا "Gabriel Maura" النتائج الأولية للمفاوضات على البرلمان الإسباني، غير أنها لم تلقَ إجماعا من أعضاء البرلمان، حيث عبر النائب نوصيدال "Nocedal" عن رفضه لنتائج المفاوضات مطالبا الوزير بالدفاع عن الحقوق الإسبانية في المغرب الأقصى والصحراء الغربية، وفي ظل تباين مواقف النواب حول نتائج المفاوضات، عقد البرلمان الإسباني جلسة ثانية يوم 05 جويلية 1904م، إلا أن موقف أغلب النواب بقي رافضا

<sup>1</sup> (نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 165.

<sup>2</sup> نفسه: ص 165.

لنتائج المفاوضات، ورغم الموقف السلمي للنتائج التي حققها كاستيو إلا أن هذا الأخير وقع رسمياً على نتائج الإتفاق في 03 أكتوبر 1904م / 24 رجب 1322هـ بباريس<sup>1</sup>، متجاهلاً بذلك كل الأصوات المنتقدة لمسودة هذا الإتفاق الذي تقرر فيه ما يلي:

(1) بناء على الإتفاق المغربي الإسباني الموقع (1276هـ/ 1860م)، والذي تضمن منح إسبانيا قطعة أرض لبناء مركز للصيد البحري على السواحل الشمالية للصحراء، تكون حدود هذه المنطقة انطلاقاً من مجرى وادي تازروالت<sup>2</sup> إلى غاية منطقة التقائه مع وادي ماسة<sup>3</sup>، ومن نقطة تماس هذين الواديين إلى غاية البحر.<sup>4</sup>

(2) بالنسبة للحدود الفاصلة بين ممتلكات البلدين في الساحل الصحراوي، وكتمة للبند الأول من إتفاق كاستيو ديلكاسي "1" تكون الحدود بين ممتلكات البلدين كما يلي: " إن الخط الفاصل بين الممتلكات الإسبانية والفرنسية في ساحل الصحراء الغربية، يتمثل في الخط المنطلق من ملتقى خط الطول (14.20°) غرب باريس، إلى غاية إلتقائه بخط العرض (26°)، ويمتد هذا باتجاه الشرق إلى غاية إلتقائه بخط الطول (11°) غرب باريس، ثم يستمر هذا الخط شمالاً إلى نقطة إلتقائه مع وادي درعة حيث يمر محاذياً للوادي إلى غاية إلتقائه بخط الطول (10°) غرب باريس، ويتجه منها إلى الأراضي الواقعة بين وادي درعة وسوس، ثم يتجه الخط غرباً محاذياً للخط الأعلى لوادي درعة وسوس، وبذلك يحترق الأراضي المحاذية للساحل بين وادي ماسة ووادي نون ليصل إلى أقرب نقطة يتشكل منها منبع وادي تازروالت<sup>5</sup>.

(3) تضمنت المادة السادسة من الإتفاق منح إسبانيا حق الإستيلاء على الأراضي الخارجة عن نطاق المخزن والواقعة بين خطي العرض (26°)، و(40°، 27°)، إلى غاية خط الطول (11°).

(4) أما بموجب المادة السابعة من هذا الإتفاق، فتتعهد إسبانيا بعدم التنازل لأي دولة أو طرف من الأطراف عن المناطق التي تحصل عليها بموجب المادة السادسة.

<sup>1</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 166.

<sup>2</sup> وادي تازروالت: يقع في قلب منطقة تازروالت الواقعة في الجنوب الغربي للأطلس الصغير على بعد 40 كلم شرق مدينة تيزنيت.

<sup>3</sup> وادي ماسة: حيث يقع في منطقة سوس ماسة وينبع من روافد عدة من بينها اسيف تازروالت.

<sup>4</sup> نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 166.

<sup>5</sup> نفسه: ص 167.

5) تتعهد الحكومة الإسبانية بعدم إشراك أي طرف في حال فشلها بعملية إحتلال الأراضي التي منحتها المادة السادسة، ولا يمكنها طلب مساعدة أي دولة إلا بموافقة الحكومة الفرنسية<sup>1</sup>.

بناء على نتائج الإتفاق الفرنسي الإسباني، نستنتج أن إسبانيا فشلت مرة أخرى في فرض منطق مبدأ مناطق النفوذ الذي تضمنته قرارات مؤتمر برلين 1885م، حيث تنازلت لفرنسا عن مناطق واسعة كان للإسبان سبق في احتلال سواحلها، كما تمكنت فرنسا من الاستيلاء على إقليم السوس دون أن تمنح لإسبانيا تعويضا ترايبيا في شمال المغرب الأقصى، رغم أن ديلكاسي كان ينوي هذا العرض منذ بداية المفاوضات كما ذكرنا سابقا.

---

<sup>1</sup> (نورالدين بلحداد: مرجع سابق، ص 167).

## المبحث الثاني: بداية التوسع الفرنسي والإسباني في تراب البيضان وورد أفعال الشيخ ماء

العينين

### أولاً) التوسع الفرنسي في بلاد شنقيط

لقد كان المشروع الفرنسي لاحتلال الجزء الجنوبي من تراب البيضان، يقتضي إعداد خطة متكاملة، بدأت تتضح ملامحها منذ أواخر القرن التاسع عشر، فبعد حملاتها الاستكشافية التي قادها مغامرون كما سبق وذكرنا، بدأت عملية التوسع المباشرة التي أشرف عليها الإداري كوبولاني مطلع القرن العشرين، وقد كان مشروع هذا الأخير يقوم على مرحلتين:

أ) المرحلة الأولى: ونسُميها مرحلة جس نبض القبائل البيضانية، حيث تبدأ برحلة كوبولاني الأولى إلى الحوض، وتنتهي بحصوله من بعض علماء المنطقة، على فتوى تبيح التواجد الفرنسي في تراب البيضان.

### 1- كوبولاني في رحلته الأولى لمنطقة الحوض

بعد أن تمكن الطرفان من تحديد مناطق نفوذهما بإفريقيا الغربية، بدأت فرنسا التحضير لاحتلال بلاد شنقيط، وقد اختار وزير المستعمرات لهذا الغرض المستشرق الإداري كزافييه كوبولاني "Xavier Coppolani"<sup>1</sup> الذي سبق له وأن تقلد العديد من المناصب الإدارية في الجزائر<sup>2</sup>، وقد مكنته معرفته باللغة العربية والقرآن والدين الإسلامي، مكنته من التعرف على نفسيات وطريقة تفكير الشعوب الإسلامية إلى جانب نقاط القوة والضعف فيهم، لذلك عمل منذ البداية على انتهاج خطة مرنة، تعتمد على محاولة كسب ود رجالات الطرق الصوفية، وقد

<sup>1</sup> ( كزافييه كوبولاني: سياسي وإداري فرنسي ولد في كرسيا بمنطقة مريانة 01 فبراير 1866، حيث قضى العشر سنوات الأولى من عمره في مسقط رأسه، قبل أن يقدم إلى قسنطينة رفقة عائلته أين نشأ وتلقى تعليمه، وبعدها تم دراسته عين كاتباً مراسل بمقاطعة قسنطينة، وفي 15 أبريل 1885م عين سكرتيراً بالبلدية المختلطة لوادي الشرق، وفي 15 ديسمبر 1895م تم تعيينه في الحكومة العامة، وأثناء فترة إشتغاله بالمكاتب العربية كتب رفقة مواطن له كتاباً كبيراً حول "الطرق الصوفية والدين Vuillemin: Coppolani en Mauritanie, Revue d'histoire des colonies, tome 42, n°148-149, troisième et quatrième trimestres 1955, p 292.

<sup>2</sup> غاستون دوفو: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا 17-1920، تر. المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيه، مكتبة القرنين 21/15، انواكشوط، 2012، ص 65.

كان كوبولاني قد ترأس سنة (1315هـ / 1898م)، بعثة إلى قبائل الطوارق والبيضان في السودان والحوض، ولقيت البعثة دعماً مالياً من الحكومة العامة بالجزائر، حيث انطلقت البعثة من سان لوي باتجاه منطقة الحوض، وعلى العكس من باقي الرحالة، استقبله أعيان قبائل مشظوف وأولاد علوش الذين انبهروا بسعة علمه ومعارف الإسلام وتتمكّنه من العربية والثقافة الحسانية، وهو الأمر الذي ساعده في زيارة مناطق عديدة على غرار تيشيت وتكانت<sup>1</sup>، وقد التقى الشيخ سيد الخير بن الشيخ محمد فاضل، هذا الأخير كان قد وقع اتفاقاً مع العقيد لاماري "Lamary" في أوت 1895م / 1313هـ، مفاده أن الفرنسيين بالسودان لن يتعرضوا إطلاقاً لآل الطالب المختار، ولا لأصدقائهم، ولا للذين يتبعون طريقهم، ولن يسطوا على أراضيهم بأي شكل من الأشكال، وعلى نفس الشاكلة يجب أن يتصرف آل الطالب المختار اتجاه الفرنسيين<sup>2</sup>، وهو الأمر الذي جعل كوبولاني يثق في الشيخ سيد الخير، وفي نهاية رحلته هذه أعد تقريراً مفصلاً تضمن حوصلة حول الوضع العام في المنطقة وحياة السكان فيها، وحظوظ فرنسا في تراب البيضان، كما تضمن التقرير أيضاً الخطة التي يجب اتباعها في احتلال المنطقة، والدور الذي يلعبه المرابط الشيخ ماء العينين في الصحراء الغربية، وأصر على الأهمية الاستراتيجية لمنطقة أدرار<sup>3</sup>.

تقلب موقف السياسة في فرنسا حول مقترح مشروع كوبولاني بين التأييد والرفض، حيث أيدته وزير المستعمرات الفرنسي الذين عمل جاهداً منذ ديسمبر 1899م / 1317هـ، لتنفيذ مشروع احتلال موريتانيا الغربية، وقد حاول إقناع الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية بضرورة دراسة الخطوات العملية لتنفيذ المشروع<sup>4</sup>، إلا أن رفض التجار الفرنسيين في سان لوي، ومعارضة وزير الخارجية الفرنسي، والحاكم العام للسنغال بالي "Pally"<sup>5</sup> حال دون تنفيذ مشروع كوبولاني، وفي برقية إلى الحكومة الفرنسية أبدى كوبولاني رغبة كبيرة في سبيل الدفاع على مشروعه، لاسيما ما تعلق بعلاقاته التي ربطته بقبائل المنطقة سنوات (1898/1899م)، وقد

<sup>1</sup> Vuillemin: op cit, p 295.

<sup>2</sup> بول مارتى: القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص 179.

<sup>3</sup> Vuillemin: op cit, p 295.

<sup>4</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص 113.

<sup>5</sup> بالي "Pally": سياسي فرنسي تقلد منصب الحاكم العام للسنغال قبل أن يتقلد منصب وزير الخارجية في باريس إلى غاية 1905م، عرف بمعارضته الشديدة لمشروع احتلال موريتانيا الغربية.

نبه إلى خطورة إهمال المشروع، واعتبره كوبولاني خطأ من الصعب تداركه<sup>1</sup>، إلا أن الحكومة الفرنسية في هذه الفترة كانت تخشى الاحتجاجات الإسبانية ودليل ذلك أنه بعد التوقيع على مسودة المفاوضات الفرنسية الإسبانية (1317هـ/1900م)، أنشأت وزارة المستعمرات مكتبا للدراسات في سان لوي سنة (1319هـ/1902م)، للحفاظ على علاقات كوبولاني بقبائل البيضان، ويهدف التعرف أكثر على بلاد شنقيط، وقد ترأس هذا المكتب كوبولاني بمساعدة أرنيس روم "Ernest Rom"<sup>2</sup> الحاكم العام للسنغال<sup>3</sup>، هذا الأخير أعرب عن نيته تنفيذ مشروع كوبولاني للأسباب الآتية:

- بعدما كان "بالي" الحاكم العام للسنغال معارضا لإحتلال موريتانيا خوفا من تهديد قبائل البيضان لتجارة فرنسا في حوض السنغال، رأى خليفته "روم" في احتلال موريتانيا الغربية تأمينا ودعمًا لتجارة القوافل، وذلك عبر احتكار بلاده لتجارة الصمغ والملح وغيرها من الموارد التي تحتوي عليها تراب البيضان، كما أن الاستيلاء على موريتانيا يعتبر تحقيقاً لمشروع فرنسا الرامي إلى ربط مستعمراتها في الشمال الإفريقي بمناطق نفوذها في إفريقيا الغربية.
- في الجانب الثقافي والحضاري كانت منطقة شنقيط عبر العصور موطنًا للتصوف والإصلاح الديني، وقد كانت أغلب هذه الطرق المغذي لحركة المقاومة بشقيها الثقافي والعسكري، وهو أمر لا تريده فرنسا كونه يهدد سلطتها في السنغال وإفريقيا الغربية، ومع دعم "روم" لمشروع كوبولاني، ونهاية المفاوضات الفرنسية الإسبانية الخاصة بتحديد أملاكهما في المنطقة، أصبح احتلال فرنسا لموريتانيا مسألة وقت فقط، وقد أصبحت الفرصة سانحة لتنفيذ مخطط كوبولاني، بعد انتشار الفوضى في إمارة الترازو لمحاذية للحدود السنغالية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Vuillemin: op cit, p 298.

<sup>2</sup> روم "Rom": سياسي فرنسي تقلد منصب الحاكم العام للسنغال خلفا للحاكم العام بالي، وقد كان روم متحمس لمشروع احتلال موريتانيا الغربية.

<sup>3</sup> Vuillemin: op cit, p 300.

<sup>4</sup> Ibid: p 330.

## 2- التدخل الفرنسي بحجة توفير الأمن في المنطقة

مع مطلع 1319هـ الموافق لأواخر أبريل 1902م، اندلعت في إقليم الترازرة صراعات دامية حول السلطة بين اثنين من أسرة الإمارة، ويتعلق الأمر بأحمد سالم بن أعلي<sup>1</sup>، وابني عمه محمد فال ولد سيدي<sup>2</sup>، وبناء على قناعاته كان يدرك كوبولاني أن أحد الطرفين المتخاصمين سيلجأ إلى الاستعانة بطرف ثالث، ومع ذلك كان عليهم اختيار من يخدم مصالحهم في المنطقة<sup>3</sup>، وحسب الرائد جيليه "Gillier" فإن الأمير أحمد سالم بن أعلي، لجأ إلى الفرنسيين في السنغال لمساعدته في وضع حد للفوضى التي يعيشها الإقليم منذ وفاة محمد الحبيب، لذلك الغرض جهاز روم رتل عسكري من فرقة رماة وفرقتين للفرسان، حيث أطلق عليه رتل مراقبة الترازرة، وقد انطلق من "دكانا"<sup>4</sup> أواخر مارس 1902م / 1319هـ، بقيادة الرائد دبلان "Delaplane"، ليصل إلى الحوض في ظرف وجيز، وقد تمومت قوات دبلان قرب "سهوت الماء"<sup>5</sup>، وأصدر أرنيس روم حاكم السنيغال قرار بإنشاء مركز عسكري بالمنطقة، الأمر الذي جعل سيدي بن محمد فال وأتباعه يهرب إلى نواحي البراكنة، إلا أن التحاق بعض أتباعه القلائل بمخيم الرتل جعل سيدي بن محمد فال يعلن خضوعه للسلطات الفرنسية، وقد تم حل رتل مراقبة الترازرة نهاية أبريل 1902م / 1320هـ، وترك دبلان عددا من قواته في بلدة "كيوة" قرب سهوة الماء، بهدف حفظ السلم وحماية عرش أحمد سالم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أحمد سالم بن أعلي: هو أحمد سالم بن أعلي بن محمد الحبيب، لقب بلقب "بيادة" بمعنى الفارس البطل الشجاع الحازم القوي، تولى إمارة الترازرة بعد مقتل عمه أحمد سالم بن محمد الحبيب سنة 1891م، وقد قال عنه الرحالة الفرنسي ليون فيبر الذي التقى به 1892م، قال عنه " كان شابا غاية في الوسامة والذكاء والحيوية" وعقب توليه الإمارة خرج عليه سيدي وأحمد ولد الديد ابني محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب، ومعهم أولاد أحمد بن دامن، وأولاد دامن، وقد جرت بينهم العديد من الأيام، كان النصر فيها للأمير بيادة. ينظر: المختار بن حامد: حياة موريتانيا حوادث السنين، تح سيدي أحمد بن أحمد سالم، (د. ن)، (د.س)، ص 612.

<sup>2</sup> إبن محمد فال ولد سيدي هم، سيدي وأخوه أحمد ولد الديد.

<sup>3</sup> Vuillemin: op cit, p 303.

<sup>4</sup> دكانا أو دكانه: منطقة واقعة على ضفاف نهر السنيغال.

<sup>5</sup> سهوة الماء: نهاية بحيرة الركيزة شمالا.

<sup>6</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 66.

من خلال ما أورد الرائد جليليه، أن الأمير أحمد سالم قد لجأ إلى القوات الفرنسية في السنغال لإستعادة عرشه أمر يحتاج إلى نقاش، فبالعودة إلى رأي غاستون دوفو " Gaston Dou Foo" أن أحمد سالم لم يلجأ للقوات الفرنسية في السنغال، وإنما هي أرادت البحث عن سبب مباشر لدخول المنطقة، وتذرعت بحجة مساعدة حليفها أحمد سالم<sup>1</sup> الذي كان قد وقع معاهدة مع السلطات الفرنسية بالسنغال، بموجبها تعترف هذه الأخيرة بشرعيته كأمر على الترازرة، وحتى الفوضى التي تحدث عنها الرائد جليليه وغاستون دوفو وتحجج بها كوبولاني، لا تعدو كونها صراعات وخلافات عاشتها إمارة الترازرة منذ تولي أحمد سالم بن أعلي الإمارة فيها سنة 1891م<sup>2</sup>، لذلك نقول أن ما روج إليه الرائد جليليه في كتاباته وتمسك به كوبولاني في مراسلاته لأعيان المنطقة، لم يكن سوى حجج أرادو بها تبرير تدخلهم في إمارة الترازرة، خصوصا وأن هذه الفترة كانت تجرى في باريس المفاوضات الفرنسية الإسبانية حول تحديد أملاكهما في غرب إفريقيا، وبالتالي أي تقدم لفرنسا في بلاد شنقيط، يعتبر مكسبا لها في مفاوضاتها ضد إسبانيا.

### 3- كوبولاني يحاول كسب شيوخ وأعيان منطقة الحوض

حسب النقيب غاستون دوفو، فإن القوات الفرنسية في السنغال كان باستطاعتها اجتياح إقليم الترازرة والتوسع في موريتانيا الغربية<sup>3</sup>، إلا أن مشروع كوبولاني كان يهدف إلى ضمان القابلية للاحتلال من قبل البيضان، وهو أمر لا يتأتى حسب كوبولاني إلا بكسب ود الشخصيات الوازنة في المجتمع، خاصة الشيوخ والأعيان ذوو الكلمة الوازنة في المجتمع، وفي هذا الصدد أرسل كوبولاني إلى الشيخ سعد بوه رسالة يطلب من خلالها حضور الأخير إلى سان لوي بغرض التباحث في أمر تواجدهم في المنطقة، واختيار الشيخ سعد بوه لم يكن اعتباطيا، بل إن هذا الأخير يعد بن الشيخ محمد فاضل بن مامين ومن آل الطالب المختار، وشقيق الشيخ ماء العينين الذي تحدث عنه كوبولاني كثيرا في تقريره، كما أن الشيخ سعد بوه صاحب مكانة كبيرة في منطقة القبلة والحوض بصفة عامة، ولديه العديد من المريدين والأتباع والحصول منه على فتوى لصالح فرنسا، تزيل الكثير من العراقيل التي من شأنها عرقلة المشروع الفرنسي بالمنطقة.

<sup>1</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 66.

<sup>2</sup> المختار بن حامد: حياة موريتانيا حوادث السنين، مصدر سابق، ص 612.

<sup>3</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 65.



في 07 ديسمبر 1902م / 07 رمضان 1320هـ، التقى الشيخ سعد بوه بـ كوبولاني إلى جانب الحاكم العام في السنغال بمدينة سان لوي، وحسب محمد فاضل بن محمد ناجم وهو أحد مريدي الشيخ سعد بوه، أن هذا الأخير اعترض على التدخل في بلاد المسلمين كون ذلك يثير الحروب في البلاد<sup>1</sup>، وفي لقاء آخر حضره إلى جانب الشيخ سعد بوه الشيخ سيدي بابا<sup>2</sup>، ومما جاء في عرض كوبولاني على الشيخين:

"إني أظن أنكما تعلمان ما أريد منكما فإني شق علي ما بلغني من الفساد الواقع بالقرب مني وفي جوارري، وقد بدا لي أن أزيله بدخولي بالحكم في تلك البلاد... وإني أريد منكما أن تعيناني على هذا الأمر الذي مصلحته عامة، فأريد أن تذهبا مع نائبي هذا إلى بلادكم حتى تفهم الناس مقصدنا ولتعلموا أن هذا نفعه عظيم عليكم وعليهم ولا بد أن تبدلا لي جهدكما في هذا"<sup>3</sup>.

بناء على عرض كوبولاني يتبين أن هذا الأخير وضع أمام الشيخ سيدي والشيخ سعد بوه خيارين اثنين، فإما القبول بالفوضى التسبب التي تعيشها منطقة شنقيط، أو مساعدة فرنسا على احتلال المنطقة تحت غطاء القضاء على تلك الفوضى وإفشاء السلم في المنطقة كما حدث مع إمارة الترازة، وحسب محمد فاضل بن محمد ناجم أن الشيخ سيدي وافق مباشرة على عرض كوبولاني، وقد التقى هذا الأخير شخصيات أخرى من قبائل المرابطين على غرار سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان، وعبد الرحمان بن محمد فال بن متالي، وأقنعهم بعرضه مما جعل الشيخ سعد بوه يوافق على عرض كوبولاني<sup>4</sup>، ومما جاء في فتوى الشيخ سيدي بابا والشيخ سعد بوه ما يلي:

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماء مينا: مرجع سابق، ج2، ص 117.

<sup>2</sup> الشيخ سيديا: هو الشيخ سيديا بابا ولد حوالي 1862م، تعلم القرآن على يد والده قبل أن يتوفى، واكمل تعليمه القرآن وبعض المتون في سن مبكرة، على يد الشريف مولاي محمد الذي توفي بعد وفاة والد الشيخ سيديا بقليل، وكان الشيخ سيديا من بين العلماء الذين كان لهم باع كبير في العلم بمنطقة الحوض واشتهر بحواراته الفقهية مع علماء عصره، وقد كانت فتواه لصالح دخول الإستعمار الفرنسي لشنقيط. ينظر: بول مارتى: دراسات حول الإسلام في موريتانيا، مرجع سابق، ص 30\_36.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماء مينا: مرجع سابق، ج2، ص 117.

<sup>4</sup> نفسه: ص 118.

- فتوى الشيخ سيديا بابا: من خلال جوابه على كتاب الداهية كوبولاني الذي كان فحواه يدور حول "هل يجوز للمسلمين أن يجاهدوا النصارى، والحال أن هؤلاء لا يمنعونهم من تطبيق شعائرتهم، بل يعينونهم عليها بتنصيب القضاة ونحو ذلك، خاصة وقد علم المسلمون في هذه البلاد أنهم لا يملكون من القوة ما يملكه المسلمون في المغرب الأقصى"، وقد كان جواب الشيخ سيديا بما يلي:

"... إنه يتعين على المسلمين في هذه الحالة أن يهادنوا النصارى، ولا يقصروا فيما يجلب لهم العافية، ولا يتعبوا أنفسهم بالمحاربة لهم كما تشهد له قواعد الشريعة ونصوصها..."<sup>1</sup>.

وقد سعى الشيخ سيديا بابا بواسطة نفوذه في منطقة الحوض، إلى التأثير على إمارات الترازو والبراكنة وتكانت وحتى على أدرار، لإقناعهم بضرورة التعامل مع الفرنسيين، والوقوف في وجه تيار الشيخ ماء العينين المعادي للتواجد الأجنبي في المنطقة<sup>2</sup>، لذلك نجد كوبولاني بعد ضمه لإمارة الترازو سيوفر الحماية اللازمة للشيخ سيديا ضد هجمات القبائل المعادية له.

- فتوى الشيخ سعد بوه: على عكس الشيخ ماء العينين الذي كتب "هداية من حارى في أمر النصارى" كتب أخيه الشيخ سعد بوه "النصيحة العامة والخاصة في التحذير من محاربة الفرناصة" والذي بين من خلاله موقفه من الجهاد ضد الفرنسيين في تراب البيضان، ومما جاء في كتابه: "إن مصلحة المسلمين اليوم في مهادنة الفرنسيين ومعاهدتهم لا في معاداتهم، نظرا لما عليه الناس في البلاد من الفقر والتناحر والفوضى والتسيب سفك الدماء، وأن الجهاد لا يتأتى إلا بوحدة الصف واجتماع الكلمة، كما نوه إلى قوة فرنسا التي قهرت أمراء السودان الأقوياء كالساموري وابن الحاج عمر وغيرهم..." وقد وظف الشيخ سعد بوه بالعديد من الأحاديث النبوية وأقوال العلماء لدعم موقفه من هذه النازلة<sup>3</sup>.

من خلال فتوى الشيخين سعد بوه والشيخ سيديا، يمكن أن نستشف أن كوبولاني بدهائه الكبير حقق هدفين مرة واحدة، حيث تحصل من بعض شيوخ وأعيان القبائل على التأييد لصالح

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق: ج2، ص ص 72\_73.

<sup>2</sup> Vuillemin: op cit, p 304.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق: ج2، ص ص 80\_81.

المشروع الفرنسي في المنطقة، كما تمكن من كسب ود هذه الشخصيات الوازنة في المجتمع البيضاني، حيث سيكون لها دورٌ كبيرٌ في إقناع العديد من القبائل في العدول عن حمل سلاح ضد الفرنسيين في المنطقة، وبذلك يكون كوبولاني قد حقق مراده بتهيئة الظروف اللازمة لتحقيق حلم احتلال موريتانيا الغربية.

(ب) المرحلة الثانية: وهي مرحلة التوسع المباشر، حيث كان حجر الأساس فيها احتلال إقليم الترارزة.

### 1- الزحف على إقليم الترارزة

عرف الشناقطة نظام الإمارة كنظام سياسي حاولوا من خلاله تجاوز النظام القبلي القائم في المنطقة، وقد ظهرت إمارة الترارزة مطلع القرن 18م، وإن كانت بوادر ظهورها قبل هذا القرن مع أحمد ولد دامان الذي تنتمي إليه سلالة الإمارة، وقد أقامت إمارة الجنوب الموريتاني علاقات تجارية مع هولندا وإنجلترا وألمانيا وفرنسا خصوصا فترة حكم الأمير أحمد سالم بن أعلي بن محمد الحبيب الذي كان قد تولى إمارة الترارزة بعد مقتل عمه أعمار سالم بن محمد الحبيب سنة (1308هـ/1891م)<sup>1</sup>، وهي نفس الفترة التي كان فيها السباق محمومًا بين القوى الأوروبية للظفر بمنافذ لها على السواحل الغربية لإفريقيا، ومن ناحية أخرى كانت للأمير أحمد سالم علاقات ود وصدافة مع الشيخ ماء العينين المناهض للتواجد الإستعماري بالمنطقة<sup>2</sup>.

عقب تولي أحمد سالم الإمارة خرج عليه سيدي وأحمد ولد الديد ابني محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب، ومعهم أولاد أحمد بن دامان، وأولاد دامان، وقد جرت بينهما أيام عديدة، كانت سببا في الفوضى التي سرعان ما استغلها كوبولاني لصالح مخططه الإستعماري. حيث تحرك باتجاه "الكانه" على ضفاف نهر السنغال أين التقى أحمد سالم أمير الترارزة في النصف من ديسمبر 1902م / 1320هـ، حيث وقع الطرفان اتفاقية من بنودها ما يلي:

- يتعهد كوبولاني بحماية عرش أحمد سالم والدفاع عنه مقابل توقيع الأخير على معاهدة تضع إقليم الترارزة تحت الحماية الفرنسية.

<sup>1</sup> رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 149.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص 161.

- يحق للسلطات الفرنسية تعيين أمير الترارزة والمصادقة عليه.
- إنشاء وظيفة مقيم عام فرنسي بإمارة الترارزة.
- إلغاء كافة الرسوم العرفية، وإحلال مكافآت تدفعها فرنسا حسب اختيارها<sup>1</sup>.

بعد توقيع أحمد سالم على إتفاقية إخضاع إقليم الترارزة للحماية الفرنسية، إزدادت حدة الفوضى بإمارة الترارزة، فبعد أن كان الصراع بين الأمير والفصائل التابعة لسيدي، أصبح الصراع داخل معسكر الأمير نتيجة رفض بعض أتباعه الخضوع لسلطة فرنسا، لذلك انشق عنه الراضون وانضموا إلى معسكر غريمه سيدي بن محمد فال المتواجد قرب سهوة الماء، هذا الأمر جعل أحمد سالم يهاجم ابن عمه سيدي، وكان من نتائج هذا الصراع:

- سقوط العديد من القتلى من الطرفين وهو الأمر الذي يخدم كوبولاني ويضعف خصومه.
- تدعيم مركز كوبولاني داخل المجتمع البيضاني بعدما تدخل لفض النزاع بين الطرفين، حيث تمكن في 24 يناير 1903م / 1320هـ، من إقامة مركز آخر نواحي "خروفة" أين قدمته العديد من قبائل الزوايا وحسان ترحب به وتبايعه كحاكم على البلاد.
- تمكن كوبولاني من استمالة سيدي بن محمد فال، الذي وقع رفقة أتباعه عند سهوة الماء إتفاق قبول الحماية الفرنسية بشكل رسمي بتاريخ 05 فبراير 1903م / 27 شوال 1319هـ، مما سيسمح لهم بمواصلة التنظيم السياسي للبلاد بمساندة القبائل الموالية لسلطتهم، كما بدأ كوبولاني بالتفكير في إنشاء مركز إمداد على الساحل لتسهيل عملهم بالترارزة<sup>2</sup>.
- وعلى إثر المكاسب التي حققها، توج كمنسوب للحاكم العام ومكلف بمهمة تسيير الترارزة، وقد شملت صلاحياته جباية الضرائب، وتنصيب القضاة إلى جانب مراقبة العدالة<sup>3</sup>.

بعد أن تمكن كوبولاني من بسط نفوذه على إقليم الترارزة، قام بتقسيم الإقليم إلى مقاطعتين: المقاطعة الشرقية وتم بها إنشاء مركز "أكلال فاي"، أما الغربية فضمت مركز سهوة الماء ونواكشط، كما أسس مجلسين يضم كل منهما اثني عشر (12) عضواً، فأما المجلس الأول يمثل

<sup>1</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 111.

<sup>2</sup> Vuillemin: op cit, p 307.

<sup>3</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 126.

قبائل الزوايا، والمجلس الأخر يمثل قبائل حسان<sup>1</sup>، ففي ظرف ثلاثة أشهر حصل كوبولاني على سيادة إمارة الترازرة، دون إطلاق رصاصة واحدة أو خسارة جندي واحد، وبمصاريق لم تصل خمسة وعشرون ألف (25000) فرنك فرنسي، وعلى خلفية الإنجازات التي حققها كوبولاني في المنطقة، أصدر الشيخ سيديا فتوى عبر من خلالها عن مدحه "الصانع السلام كوبولاني" موضحاً أن الإحتلال الفرنسي للبلاد نعمة من الله، كما نال الثناء من صديقه روم حاكم السنيغال، الذي عبر عن ذلك من خلال تقرير أرسله لوزير المستعمرات غاستون دوميرغو " Gaston Doumergue"<sup>2</sup>، هذا الأخير هنا كوبولاني بالمكاسب التي حققها لبلاده، إلا أنه اعترض على اتخاذ إجراءات تجاه أدرار التي كان يرى فيها كوبولاني المنطقة الأهم في موريتانيا، واعتبر أي قرار في هذا الشأن سابقاً لأوانه، ودعاه إلى مواصلة مجهوداته في ضم البراكنة، دون التخلي على الأسلوب السلمي الذي لا يكلف ميزانية الدولة الكثير<sup>3</sup>.

بناء على توصيات وزير المستعمرات، بدأ كوبولاني يعد العدة لضم إمارة البراكنة الواقعة شرق إمارة الترازرة، ولكن هل سينجح كوبولاني في ضم الإمارة على الشاكلة التي ضم بها إمارة الترازرة؟

## 2- الزحف على إقليم البراكنة

تقع إمارة البراكنة على الضفة الشمالية لنهر السنيغال، حيث يعود أصلهم إلى استيطان بعض الأجزاء من قبائل المغافرة المنتسبين إلى عبد الله بن بركني، ويعد محمد بن عبد الله بن كروم الذي عاش مطلع القرن الحادي عشر هجري، صاحب السيادة العامة بمغافرة المنطقة، وقد تولى الإمارة في البراكنة نغماش ابن محمد بن عبد الله وهيبة بن نغماش وأحفاده، وقد شهدت الإمارة إزدهاراً كبيراً في الجانب السياسي والاقتصادي، قبل أن تعصف بها رياح الخلافات بين أولاد نغماش، وأولاد السيد نهاية القرن التاسع عشر الميلادي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ما مينا: مرجع سابق، ج2، ص 121.

<sup>2</sup> Vuillemin: op cit, pp 308\_309.

<sup>3</sup> Ibid: p 310.

<sup>4</sup> رحال بوبريك: مرجع سابق، ص150.

بعد أن تمكنت فرنسا من بسط سيطرتها على إقليم الترازرة، بدأ كوبولاني يزحف باتجاه البراكنة إلا أنه كان يدرك حجم الصعوبات التي تنتظره في البراكنة، فنفوذ الشيخ سيديا بابا والشيخ سعد بوه ضعيف في هذه الإمارة، وغياب مرابطين يدينون له بالولاء يزيد الأمر صعوبة، إلا أنه كان حريصا على عدم إظهار نقاط ضعفه<sup>1</sup>، وقد رأى كوبولاني أنه من الضروري إنشاء قاعدة تموين في الجانب الشرقي من البراكنة وعلى مقربة من النهر، هذا الأمر سيسهل عمل نقل الإمدادات ويساهم في توسيع نقاط الحماية بالجانب العلوي من النهر، كون المراكز الفرنسية في الترازرة باتت بعيدة عن تلبية هذا الغرض<sup>2</sup>.

في 11 ماي 1903م/ 1321هـ، إستغل كوبولاني الوضع الذي تعيشه إمارة البراكنة، فتنقل من سان لوي متجها لضم الإمارة، وقد ضمت بعثته الترجمان ابن مقداد، إلى جانب فصيلة من الفرسان السنغاليين للحراسة، وبعد وصوله ضفاف نهر السينغال تمركز بمنطقة "بودور"<sup>3</sup>، لكن قبل ذلك كان عليه التفاوض مع سكان الإمارة، حيث استدعى أمراء وأعيان البراكنة على رأسهم الأمير أحمد بن سيدي أعلي، وقد تمكن كوبولاني من إقناعهم على الخضوع لسلطاته في ظرف أسبوع، الأمر الذي مكّنه من تحقيق مجموعة من المكاسب من بينها:

- إلغاء الأتوات والضرائب التي كانت تدفعها فرنسا لأمراء البراكنة.
- إنشاء مركز "بودور" كقاعدة إستراتيجية لانطلاق القوافل المتوجهة إلى تكانت مرورا بالألاك.
- تنصيب الديد بن محمد عبد الله بن محمد محمود بن حبيب الله بن الغاظمي، كقاضي لفض النزاعات<sup>4</sup>.

في مطلع سبتمبر 1903م/ 1321هـ، بدأت تظهر بوادر العصيان ضد التواجد الفرنسي بالمنطقة، فأمر الترازرة أحمد سالم الذي كان يقيم في "كرك" قرب المركز الفرنسي في "كيوة"، بدأ يتحرك نحو الشمال بحجة الإبتعاد عن مناطق المستنقعات قرب النهر، إلا أنه وحسب الرائد جيليه

<sup>1</sup>) Désire- Vuillemin: op. cit, p 311.

<sup>2</sup>) Ibid: p 315.

<sup>3</sup>) غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 69.

<sup>4</sup>) الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 2، ص 126.

كان ينوي الهجوم على مركز "أخروفة" الفرنسي ومصادرة أملاك المقيمين به، وقد أثارت تحركات أحمد سالم حفيظة الضابط سيكولي "Ciccoli" الذي أوعز إليه بالعودة، إلا أن هذا الأخير قرر الإنشقاق رفقة 600 محارب من أتباعه، مما جعل سيكولي يخرج عليه في 08 أكتوبر 1903م، رفقة سبعة عشر (17) قناصا، و ثلاثون (30) فارسا، إلا أنهم فشلوا في القضاء عليه<sup>1</sup>.

وبانضمام أحمد سالم إلى معسكر المجاهدين، أصبحت مأمورية كوبولاني وفرنسا في تراب البيضان صعبة، فالمراكز الفرنسية الأقل حماية والتي كانت تبدو في مأمن عن غارات القبائل المناوئة أصبحت أكثر عرضة لخطر إغارة الجماعات المنشقة، وعلى رأسها الأمير أحمد سالم الذي أصبح يشرف على أكثر من 1000 محارب بعد أن انضمت إليه قبائل الشمال من أولاد أبي السباع والعلب، هذا الأمر جعل كوبولاني يغادر سان لوي تحت حراسة النقيب فريرجان "Frérejean" والضابط أبكرال "Abgrall" إلى جانب 45 قناصا، حيث نزلوا نواحي نواكشوط بغرض حماية الأقاليم التابعة من هجمات الشمال<sup>2</sup>.

بعد أن تم له تأمين الثغور في الترازرة، وضمن إمارة البراكنة مؤقتا، بدأ كوبولاني يفكر في التحضير لضم إمارة تكانت، حيث اجتمع الجزء الأكبر من أفراد بعثته في "بكة" أواخر نوفمبر 1903م/ 1321هـ، وقد ضمت البعثة إلى جانب إداريين وكتاب، مترجمين عسكريين والمترجم المدني ابن مقداد إلى جانب أطباء، أما القوات النظامية التي أسندت قيادتها إلى النقيب شوفو "Chauveau"، فقد ضمت:

- 96 من رماة كتيبة الرماة السنغاليين الأولى.
  - 50 فارسا.
  - 50 من حرس الحدود و50 فارسا من منطقة الساحل<sup>3</sup>.
- أما القوات غير النظامية فقد ضمت:

<sup>1</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 127.

<sup>2</sup> نفسه: ص 128.

<sup>3</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، صص 69\_70.

- وحدة الجمالة السود التابعة لمساعد مكتب شؤون السكان الأصليين المقيم في البراكنة وبلغ عددها حوالي 80 بندقية.
- وحدة الجمالة السود يقودها الملازم براند "Briand" وقد بلغ عددها حوالي 25 بندقية.
- وحدة جمالة البيضان بقيادة الضابط أوبير "Aeber"، وقد تركزت هذه الكتائب بين "بكة" و"الأك" و"كيهيدي" تمهيدا للزحف على تكانت<sup>1</sup>.

مع مطلع شهر ديسمبر 1903م غادر كوبولاني "بكة"، باتجاه "الأك" التي وصلها في الثالث من نفس الشهر تحت حراسة خمسين (50) من الفرسان، وثمانين (80) من الرماة بقيادة النقيب شوفو وفريق من الجمالة السود بقيادة الفريق ليستر دي ري "Lester De Rey"، وقد رفع عليها العلم الفرنسي وترك بها حامية عسكرية على رأسها النقيب شوفو، ثم اتجه إلى موضع يطلق عليه "مال" بين "الأك" و"مويت"، حيث أسس بها موقعا للتأمين من الغارات المفاجئة للقبائل المناوئة، وكقاعدة تمويل وإسناد أثناء عمل البعثة في تكانت<sup>2</sup>.

وفي الوقت الذي ظن كوبولاني أنه ضمن موالات أمير البراكنة، كان هذا الأخير في مراسلات مع الشيخ ماء العينين بشأن الجهاد، وبدعوة وتحريض من بكار ولد أسويد أحمد أمير إدوعيش، انضم أحمد بن سيدي أعلي إلى المجاهدين في تكانت، رفقة جماعة الزعيم محمد عبد الجليل بن الشيخ القاضي، إضافة إلى قبائل أولاد أحمد وكنته و"كراتيس"<sup>3</sup>، وقد حاول كوبولاني إقناع أمير البراكنة بالعدول عن موقفه، إلا أن المفاوضات بينهما لم تصل إلى نتيجة، ففي ليلة 07 ديسمبر 1903م/ 1321هـ، باغتت قوات الأمير أحمد بجوالي أربعمئة (400) بندقية، معسكر بعثة كوبولاني على هضبة "أكوينات"<sup>4</sup> الصخرية، وبعد كرف وفر بين الطرفين انسحبت قوات الأمير إلى معسكره في "شقار" شمال شرقي البراكنة<sup>5</sup>، فكان رد القوات الفرنسية أن هاجمت قوات النقيب شوفو المكونة من قناصة الملازم ديفور "Defor" وكتيبة من الفرسان، مخيم الأمير

<sup>1</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق: ص 70.

<sup>2</sup> الطالب اخار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج 2، ص 126.

<sup>3</sup> Vuillemin: op. cit, p 317.

<sup>4</sup> هضبة أكوينات: هضبة في ولاية البراكنة عليها أقيمت مدين أك عاصمة الولاية.

<sup>5</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق: ص 71.



أحمد في "شكار" الواقعة على بعد 35 كلم شمال "الأك"، وفي رحلة استطلاعية أخرى للنقيب شوفو باغتت قواته أحياء إدوعيش نواحي "مال"، إستولوا خلالها على 500 جمل، وألف رأس من الغنم<sup>1</sup>.

مع الهدوء المؤقت لهجمات القبائل المناوئة إستقر كوبولاني في "مال" ليواصل نشاطه السياسي مع السكان، وقد وفدت على إقامته في "مال" العديد من القبائل للدخول تحت لوائه كونه صاحب البركة والسلام في المنطقة<sup>2</sup>، إلا أن ذلك السلام سرعان ما اختفى، ففي مطلع سنة 1904م / 1321هـ، ازدادت متاعب الإدارة الفرنسية في تراب البيضان، مع ازدياد إغارات القبائل المناوئة، ففي فبراير هاجمت جماعات من إدوعيش حامية فرنسية، كانت بصدد بناء مركز "أميت" وبعد مواجهات بين الطرفين اضطرت جماعات إدوعيش إلى الانسحاب<sup>3</sup>.

وفي مارس 1904م / 1322هـ، باغتت قبائل أولاد أبي السباع والرحاحلة، فصيلة تابعة للرقيب فيليب "Philip" بمنطقة "التاكلالت" الواقعة بين أخروفة وسهوة الماء بإمارة الترازة، حيث كانت الحصيلة أن خسر أولاد أبي السباع عدداً من المقاتلين، فيما خسر الطرف الفرنسي قناصين وجرح آخر<sup>4</sup>. وقد نظم الأمير بكار بنفسه هجوماً آخر على المركز، فكان رد فعل القوات الفرنسية أن أرسلت رتلاً عسكرياً لمواجهة، وحسب فيلمان "Vuillemin" أن القوات الفرنسية حاصرت قوات بكار وكادت تقضي عليه، لولا تدخل كوبولاني "صانع السلام" الذي أمر بتهديد قوات إدوعيش وتجريدهم من مواشيهم وممتلكاتهم<sup>5</sup>، وقد حقق كوبولاني مرة أخرى انتصاراً كبيراً، حيث تمكنت قواته من دحر قوات الأمير بكار المناوئة من المناطق التي ضمها، الأمر الذي سيسهل عليه تنظيمها، وبأسلوبه السلمي تمكن من إقناع العديد من قبائل الزوايا التي أعلنت خضوعها لسلطته، وبذلك يكون كوبولاني قد أتم مهمته الثانية في إخضاع إمارة البراكنة بشكل

<sup>1</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 143.

<sup>2</sup> Vuillemin: op. cit, p 318.

<sup>3</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 144.

<sup>4</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 76.

<sup>5</sup> Vuillemin: op. cit, p 319.

رسمي في 25 صفر 1322هـ / 10 ماي 1904م، ليعود في ذات اليوم إلى سان لوي للتباحث مع الحاكم العام بشأن المرحلة القادمة من عملية الإحتلال<sup>1</sup>.

ومن خلال هذه المواجهات بين القبائل المناوئة وبعثة كوبولاني في موريتانيا، يمكن أن نستشف أنه رغم خسارة القبائل الصحراوية في الكثير من المواجهات، إلا أنها وقفت ضد التواجد الفرنسي في المنطقة، كما أن هذه المقاومات أجبرت كوبولاني على التخلي عن الطابع السلمي في عملية التوغل، حتى أنها حالت دون إنشاء مركز دعم وإسناد للفرنسيين في تراب البيضان، وحتى المراكز التي تم إنشاؤها ظلت دائما في مواجهات مع القبائل المنشقة والمناوئة، وهو الأمر الذي حتم على كوبولاني دائما الإستعانة بسان لوي للحصول على الدعم، لحماية المناطق التي تم إخضاعها من قبل.

### 3- الزحف على إمارة إدوعيش "تكانت"

تنتسب قبائل إدوعيش المؤسسة للإمارة في الأصل إلى قبائل لمتونه الصنهاجية، وإدوعيش هذه إشتهرت فيها فصيلتان رئيسيتان، يتعلق الأمر بـ: أبكاك واشرايت، وقد تمكن محمد ولد خونا من وضع لبنة إمارة إدوعيش نهاية القرن الـ17م، إلا أن حفيده محمد شين<sup>2</sup> هو المؤسس الفعلي للإمارة على تراب تكانت، وقد سار على نهجه ابنه محمد الذي قيل عنه "إنه من أفضل شيوخ العرب وأفضلهم"، بعد وفاه الأمير محمد دخلت إمارة تكانت في صراع داخلي بين حلف أبكاك واشرايت، الأمر الذي أدى إلى تقسيم الإمارة وإهناك قوتها، وقد نجح الأمير بكار ولد أسويد أحمد من إعادة توحيد الإمارة في النصف الثاني من القرن الـ19م<sup>3</sup>.

كان على كوبولاني في طريقه لإحتلال تكانت وأدرا مواجهة عدة صعوبات منها:

<sup>1</sup> Vuillemin: op. cit, p 320.

<sup>2</sup> محمد شين (1733/1788م): يعد المؤسس الفعلي لإمارة تكانت، بعد أن قاد مجموعة من المواجهات العسكرية ضد تحالف القبائل الحسانية، البراكنة وأولاد غيلان وأولاد امبارك، إنتهت بانتصار محمد شين بمعركة حنيكات بغداد. ينظر: بوبريك رحال: مرجع سابق، ص 152.

<sup>3</sup> نفسه: ص 152.

- إن تكانت وأدرار كانت مأوى للقبائل المنشقة والمناوئة لسلطة فرنسا في المنطقة، الأمر الذي يحتم على كوبولاني مرة أخرى اللجوء إلى سان لوي لتدعيم بعثته ببعض الجنود -على قتلهم- هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكنه التخلي عن أسلوبه السلمي تجاه القبائل، إلا أن مفاوضاته مع إدوعيش وقبائل ادرار باءت بالفشل، ولم يوافق على شروطه إلا شيخ كنته الحوض محمد المختار، الذي كان قد تلقى رسالة من الشيخ سيديا بابا يحث عليه من خلالها ضرورة التعاون مع كوبولاني، ولأن محمد المختار الكنتي كان قد انهزم في صراع إمارة تكانت مع إدوعيش، وجد في ذلك فرصة للانتقام من خصومه واعتلاء عرش الإمارة، حيث أعلن خضوعه رسمياً في 05 صفر 1322هـ / 20 ابريل 1904م (ملحق 10)<sup>1</sup>.

- ومن ناحية أخرى يريد السياسيون في السنغال، ضرورة استمرار مهمة كوبولاني المعجزة إلى غاية أدرار دون إطلاق رصاصة واحدة، إلا أن هذا الأخير سرعان ما انزعج من بعض الممارسات المشينة لبعض تجار سان لوي في سواحل الترازرة، والتي من شأنها أن تقف في مشروعه الرامي إلى تحقيق الهدوء بين البدو، وتهدئة موريتانيا من النهر إلى أدرار وإلى المحيط<sup>2</sup>.

- أما في الترازرة فقد توصل المنشق أحمد سالم إلى اتفاق مؤقت مع منافسه ولد سيدي، وبدعم من أمير أدرار توحدت قواهما ضد التواجد الفرنسي في المنطقة<sup>3</sup>، وقد فشلت كل أنواع التفرقة بين قبائل أبكاك وإشاراتيت التي ازدادت إغاراتها على قبائل الزوايا الخاضعة<sup>4</sup>، وحسب النقيب غاستون دوفو لم يكن لسلطات بلده ما يكفي من القوات المتنقلة لحماية هذه القبائل من النهب<sup>5</sup>، كما أن كوبولاني كان على دراية بأن السلطات الفرنسية في دكار وباريس، ستتنصل من سياسته إذا ما طالب بقوات إضافية، مما جعل هذه القبائل ترى في التواجد الفرنسي مجرد عالية، هدفه جمع الضرائب والسخرات دون توفير الحماية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميا: مرجع سابق، ج2، ص 132.

<sup>2</sup> Vuillemin: op. cit, p 319.

<sup>3</sup> Ibid: p 322.

<sup>4</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 147.

<sup>5</sup> غاستون دو فو: مصدر سابق، ص 79.

<sup>6</sup> Vuillemin: op. cit, p 324.

- إلى جانب تلك الصعاب جميعها، رأى كوبولاني منذ زيارة المنطقة سنة (1316هـ/1899م) أن المشكلة الموريتانية تكمن في مرتفعات تكانت التي تعد المستقر الآمن للناقمين على سلطتنا في المنطقة، وأدراك المعقل الروحي لمربط الساقية الحمراء الشيخ ماء العينين<sup>1</sup>، إلا أن الرائد جليليه كان يرى أن نفوذ شيخ السمارة وشيعته مازال خارج القضية على ما يبدو، لذلك بدأت بعثة كوبولاني في التحرك من "مال" يوم 15 فبراير 1905م/ 1322 باتجاه تكانت، وقد تدعمت البعثة بـ:

- 120 جمالا جزائريا أسندت قيادتها للنقيب سيكولي، والضابط دو لافو غويو " De Lavau Guyon"، إلى جانب 300 جمالا من السود على ثلاث وحدات تحت قيادة النقيب أفيرجان، والضابطان ليستر دي، والضابط إيتيف "Etievent"، بالإضافة إلى فرق البيضان من أولاد أبيير وتجكانت، كمساعدة من الشيخ سيديا لقائد البعثة<sup>2</sup>، وقد وصلت هذه الأخيرة إلى تكانت رسميا في 21 فبراير، وبعد يوم من وصول بعثة كوبولاني أقيم مخيمه في "تامورت العاج" تمهيدا للتفاوض مع قبائل تكانت<sup>3</sup>، ويبدو أن كوبولاني لا يزال مصرا على انتهاج أسلوبه السلمي في احتلال المنطقة، رغم أنه فشل مرار في إقناع إدوعيش بالخضوع له.

بعد إقامته في "تامورت العاج" بدأت مساعي كوبولاني في استمالة قبائل إدوعيش من جهة، وفي الوقت نفسه تحرك جزء من قوات بعثته بقيادة ليستر دي ري تجاه "تل البدر" لاحتلالها وحماية قوافل المؤونة التي تأتي من "كيهيدي" عبر ممر "فم البطحاء"<sup>4</sup>، بينما اتجهت الفرق الأخرى من البعثة إلى تشيد مركز في قصر "البركة"<sup>5</sup>، الأمر الذي استغلته قبائل إدوعيش فنظموا هجوما

<sup>1</sup> Vuillemin: op. cit, p 321.

<sup>2</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 148.

<sup>3</sup> غاستون دو فو: مصدر سابق، ص 82.

<sup>4</sup> فم البطحاء: هو أحد الممرات الرئيسية لإمارة تكانت، حيث يحتوي على العديد من التلوات الصخرية يقع في الشمال الشرق للبراكنة، ولأهميته تركزت به قوات إدوعيش لصد بعثة كوبولاني فبراير 1905م. ينظر: جليليه: مصدر سابق، ص 149.

<sup>5</sup> قصر البركة كان يعد العاصمة القديمة لقبائل كتنة الحوض قبل أن يتم تدمير مدن كتنة في تكانت من قبل إدوعيش سنة 1885م. ينظر: Vuillemin: op. cit, p 325.

صبيحة يوم 26 فيفري 1905م، بقيادة أحمد محمود بن بكار على مفرزة دي ري نواحي "دركل" وألقوا به هزيمة كبيرة<sup>1</sup>.

ويبدو أن كوبولاني قد تيقن من صعوبة المسألة في تكانت، فقوات ليستر دي ري المكلفة بإخضاع المناطق المحيطة بتل البدر فشلت في مغادرة مركزها إثر هجمات إدوعيش، لذلك ستعاني البعثة كثيرا من نقص المؤونة لعدم تأمين نقاط نقل الإمداد، وفي ظل هذا الوضع كلف كوبولاني الضابط أفيريجان بتدعيم مفرزة ليستر دي ري، والإستيلاء على حقول الذرة البيضاء ومخازن الغلال التابعة لإدوعيش، ففي مطلع مارس 1905م/1322هـ، اتجه أفيريجان بمفرزته المتكونة من البيضان والسود إلى نواحي تل البدر، واستولى في طريقه على العديد من مخازن إدوعيش، وبعد مواجهات بين الطرفين تمكن من إجلاء إدوعيش خارج المناطق المحتلة<sup>2</sup>. وقد أتاحت هجمات أفيريجان الكثير من المؤونة لأفراد البعثة الفرنسية، كما أتاحت لهم الفرصة لمواصلة توغلهم نواحي أدرار، إلا أن ذلك لم يتحقق بأسلوب التهذئة والإحتواء الذي كان قد وظفه كوبولاني في إقليم الترازو والبراكنة، لذلك أصبح من الضروري انتهاج أسلوب الإغارة والنهب كأسلوب بديل لعملية (الإحتلال بأقل التكاليف).

رغم الحسائر التي تلقاها إدوعيش في تكانت، إلا أن ذلك لم يش من عزيمة قائدهم الشيخ بكار بن أسويد أحمد، حيث أفادت تقارير وردت كوبولاني أن إدوعيش قد تجمعوا بأعداد كثيرة في شمال وشرق تكانت، تمهيدا لصد التوغل الفرنسي نحو تجكجة، فكان من كوبولاني أن كلف مرة أخرى رجل المهمات الصعبة الضابط أفيريجان لتفريق تجمعات إدوعيش، وقد اعتمد "أفير" في حملته هذه على 46 فرد من المتطوعين البيضان و120 من السود<sup>3</sup>، إلى جانب دليلين موثوق بهما<sup>4</sup>، وحسب رواية الرائد جيلبيه أن "أفير" لم يأخذ معه من الزاد إلا ما يكفي لخمس أيام،

<sup>1</sup> (غاستون دو فو: مصدر سابق، ص 84.

<sup>2</sup> (جيلبيه: مصدر سابق، ص 150.

<sup>3</sup> Vuillemin: op. cit, p 325.

<sup>4</sup> (ويتعلق الأمر بـ: البشير بن مسومة، ومحمد ولد الجابر من أهل سيدي محمود، وتم اختيارهما لكونهما في خلاف كبير مع الأمير بكار. ينظر: الطالب أختيار بن الشيخ مامين، مرجع سابق، ج2، ص 148.

ذلك أن الإغارة على القبائل في الطريق توفر لهم الكثير من المؤونة لمواصلة زحفهم، وقد ساعدتهم المجموعات البيضانية كثيرا في عملية الإرشاد لنقاط المياه والطرق الآمنة.

ومع مطلع فجر غرة أبريل 1905م أغارت مفرزة الضابط أفيرجان، على مخيمات إدوعيش نواحي "بوقادوم"، ولأن الهجوم كان مفاجئاً فقد رجحت كفة الفرنسيين<sup>1</sup>، وكانت من بين نتائج المعركة ما يلي:

- استشهاد الأمير الشيخ بكار بن أسويد أحمد<sup>2</sup> العدو اللدود لسلطة كوبولاني في المنطقة، وقد انعكس ذلك على معنويات إدوعيش الذين ضلوا بعيدا عن مقاومة الغزو الفرنسي مدة طويلة، كما استولت القوات الفرنسية على العديد من مؤونة إدوعيش بعد تشتتهم إثر هجوم أفير المفاجئ<sup>3</sup>.

وبعد هذا الانتصار الكبير الذي أحرزه أفيرجان، إستقبله كوبولاني في تجكجة التي كان قد احتلها أثناء هجوم أفيرجان، وقد أثبتت الوثائق التي استولى عليها أفير في إقامة الأمير بكار أن هذا الأخير كان في مراسلات نشطة مع الشيخ ماء العينين وزعماء أدرار بشأن التنسيق بينهما في حركة المقاومة<sup>4</sup>.

من خلال النتائج التي حققها أفيرجان، يتبين مرة أخرى أن أسلوب الإغارة أثبت فاعليته في عملية إحتلال أقاليم الشمال الشرقي لموريتانيا، بل والتزويد بالمزيد من المؤونة لمواصلة عملية التوغل في الأقاليم الشمالية، لكن هل سيتخلى كوبولاني عن أسلوبه لصالح أسلوب أفيرجان؟.

بعد أن تمركزت البعثة في تجكجة، بدأت الأشغال في بناء مركز على مشارفها، وفي نفس لوقت استقبال كوبولاني بعض أعيان كنته الحوض وقائدهم محمد المختار، هذا الأخير كان قد اتفق مع كوبولاني على منحه النفوذ على تكانت بعد قبوله الوصاية الفرنسية، وفي نفس الفترة التي كان

<sup>1</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 83.

<sup>2</sup> هناك روايتين في وفاة الشيخ بكار، الأولى ساقها الضابط أفيرجان في مذكراته، والثانية جاءت على لسان عبد الرحمان بن الأمير بكار، ينظر: الطالب أحيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص ص 150\_151.

<sup>3</sup> جليليه: مصدر سابق، 152.

<sup>4</sup> Vuillemin: op. cit, p 326

في نقاش مع كنته، قدم إلى مخيمه الحسين بن بكار لإعلان خضوع بعض فصائل إدوعيش من "أبكاك" و "اشراتيت"، ورغم أن رئيس البعثة كان يراوده الشك في نوايا الحسين<sup>1</sup>، إلا أن رفضه لهذا الأخير سيؤثر على مكانته بين القبائل الصحراوية "كرجل سلام".

#### 4- تحرك البعثة نحو أدرار ووفاة كوبولاني

إمارة أدرار تقع في الشمال الموريتاني، يعود تأسيسها إلى الأربعينات من القرن 18م، أين نجح عثمان ولد الفضيل في توحيد الفصائل بعد حروب عديد، وقد حكم عثمان عشرين سنة غير متصلة، بعد وفاته خلفه ابنه سيد أحمد الذي وطد أركان الإمارة، إلا أن القرن التاسع عشر شهدت الإمارة صراعات دامية حول السلطة، وإن كانت بعض الفترات القصيرة تشهد بعض فترات الهدنة والاستقرار، إلا أنها تختفي بوفاة الأمير أو اغتياله<sup>2</sup>.

مع نهاية القرن التاسع اعتلى عرش الإمارة بأدرار المختار بن أحمد ولد عيدة، وقد شهدت أدرار في عهده اضطرابات كبيرة أدت بالمختار إلى الاستعانة بالشيخ ماء العينين لضبط وحدة الصفوف داخل الإمارة<sup>3</sup>، ونظرا للمكانة التي يحظى بها الشيخ بالشمال الموريتاني، فقد ساهم بشكل كبير في بعث السلام بالمنطقة، غير أن وفاة المختار واعتلاء ابنه أحمد العرش، جعل الإمارة تدخل في فوضى وحروب انتهت باغتياله من قبل أولاد أبي السباع، ولأن ابنه سيدي أحمد كان لا يزال صغيرا أرسلته والدته إلى الشيخ ماء العينين بالسمارة، أين تربى في كنف الشيخ قبل أن يعود إلى أدرار ويعتلي عرش الإمارة مطلع القرن العشرين<sup>4</sup>.

بعد أن تمكنت بعثة كوبولاني من بسط نفوذها على تكانت، كان عليها مواصلة زحفها باتجاه أدرار، إلا أن نقص المؤونة والتموين من جهة إضافة إلى تحالف أولاد أبي السباع ومنشقي الترابزة ضد التقدم الفرنسي حال دون ذلك<sup>5</sup>، هذه الظروف حتمت على كوبولاني إجراء المزيد

<sup>1</sup> (جيليه: مصدر سابق، ص 153).

<sup>2</sup> (رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 151).

<sup>3</sup> (الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج1، ص 161).

<sup>4</sup> (نفسه: ص 66).

<sup>5</sup> (غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 84).

من المفاوضات لتنظيم البلاد وضمان ولائها، وعلى غير العادة أرسل أمير أدرار سيدي أحمد ولد عيدة تلميذ الشيخ ماء العينين رسالة إلى رئيس البعثة، يعلن من خلالها صداقته مع السلطان المغربي، كما تضمنت الرسالة معارضة ولد عيدة للتواجد الفرنسي في المنطقة عموماً<sup>1</sup>، ومن خلال نص الرسالة ندرك تأثير الشيخ ماء العينين على علاقة أمير أدرار الشاب برئيس البعثة إكزافييه كوبولاني، فبعدما كان هذا الأخير هو من يرسل أمراء وأعيان القبائل للتفاوض بشأن مشروع بلده في المنطقة، نجد الأمر مختلف لدى سيدي أحمد ولد عيدة الذي كان له السبق في رفض التواجد الفرنسي بأدرار حتى قبل تحرك البعثة تجاهها.

يرى الرائد جليليه أن المجتمعات البيضانية عادة ما تعرف خصومات بين أفراد القبيلة الواحدة، وجب استغلالها لخدمة المصالح الفرنسية بالمنطقة، هذا الأمر حاول كوبولاني توظيفه لاحتلال أدرار في ظل استحالة إقناع ولد عيدة، حيث حاول بعث الفوضى التي كانت تعيشها أدرار عقب اغتيال أحمد بن المختار، إلا أن فشل كوبولاني في ذلك، أدى به للتفكير في إرسال حملة عسكرية بقيادة أفيرجان لإخضاع أدرار وتحقيق وحدة الإمبراطورية الفرنسية من الجزائر إلى السنغال<sup>2</sup>.

مع مطلع ماي 1905م/ 1323هـ وبينما كان كوبولاني ينتظر التموين للتحرك نحو أدرار، كانت جهود الشيخ حسنا بن الشيخ ماء العينين قائمة لتعبئة القبائل للمقاومة، وحسب ما أورد فيليمان أن الشيخ حسنا استغل سمعة ونفوذ والده في أدرار للتحريض ضد كوبولاني منظر الحملة الفرنسية على موريتانيا<sup>3</sup>، وبناء على ذلك قامت جماعة من إيديشلي تتكون من 20 فرداً تحت قيادة الشريف ولد مولاي الزين<sup>4</sup>، بالتحرك نحو تجكجة مقر إقامة البعثة الفرنسية، وبعد أن وصلوا

<sup>1</sup> (جليليه: مصدر سابق، ص 153).

<sup>2</sup> Vuillemin: op. cit, p 328.

<sup>3</sup> Ibid: p 330.

<sup>4</sup> الشريف ولد مولاي الزين: هو الشريف سيدي ولد مولاي الزين زين العابدين بن مولاي أحمد الذهبي، هذا الأخير عاش بشنقيط حوالي القرن الـ12 الهجري ودفن بها، وهو من ذرية أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني المتوفى في القرن الثامن الهجري بتلمسان، والشريف سيدي ولد مولاي الدين رأى في المنام أنه قتل ثعبان أسود وبعد أن قص الرؤيا عن شيخه محمد محمود ولد الشيخ الغزواني، فسر له شيخه بأنه سيقتل كوبولاني فما كان عليه سوى تنفيذ المهمة رفقة 20 فرداً من



إلى مشارف معسكر كوبولاني مكثوا يومية لإعداد خطة للهجوم، بناء على المعلومات التي تحصلوا عليها من سيدي أحمد بن بويط الذي كان سجيناً في المعسكر الفرنسي، وفي الثاني عشر ماي 1905م مع حلول الظلام هاجمت جماعة سيدي ولد مولاي الزين المعسكر، وتمكنوا من قتل كوبولاني وعدد من أفراد بعثته، واستشهد في هذه المعركة أيضاً القائد الشريف سيدي ولد مولاي الزين، وأحمد بن هنون والكوري بن شويخ، وأحمد بن ميلح<sup>1</sup>.

كانت ردود أفعال البعثة الفرنسية أن قام النقيب أفيرجان باستدعاء محمد المختار رفقة مترجم البعثة ابن مقداد للتعرف على جثث القتلى الذين كان أغلبهم من الشباب باستثناء القائد الشريف سيدي ولد مولاي الزين<sup>2</sup>، كما جرت حملة اعتقالات واسعة طالقت قرابة أربعين فرداً من إدو علي بتهمة المساهمة في مقتل مُنظر الحملة الفرنسية إكزافييه كوبولاني، ولم يتم الإفراج عنهم إلا بعد أن أُلقت السلطات الفرنسية القبض على أحمد بن أباه الذي صرح في إفادته بأن لا علاقة لأهل تحكجة بالهجوم، عندها قامت محاكمة صورية بقيادة أفيرجان لأحمد بن أباه الذي كان قد جرح أثناء الاشتباك، وحُكم عليه بالإعدام شنقاً<sup>3</sup>.

وكتقييم لعمل كوبولاني في تراب البيضان، يمكن القول أن هذا الأخير نجح بشكل كبير في تنفيذ مشروع احتلال موريتانيا، هذا البرنامج الذي كان قد عرضه على وزارة المستعمرات الفرنسية سنة (1316هـ / 1899م)، لم يكن ليتحقق لولا حنكة كوبولاني السياسية وأسلوبه في التعامل مع القبائل البيضانية المعروفة بمكرها حسب بول مارتى، فبعد أن كان النفوذ الفرنسي منحصراً في الضفة اليسرى لنهر السنغال وصل بفضل كوبولاني إلى مشارف أدرار في ظرف ثلاث سنوات (1902-1905م)، وبإمكانيات محدودة أيضاً تمكن من إقناع القبائل الخاضعة بدفع الضرائب لسلطات بلاده في دكار، وبناء على ما أورد جليليه ودوفو ومعظم الكتاب الفرنسيين، فإن وفاة كوبولاني حدثٌ عظيمٌ سيؤثر بلا شك في سير الأحداث بالمنطقة.

ايدشلي يوم 12 ماي 1905م. ينظر: صالح حسن الفضالة: الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.س)، ص 981. ينظر أيضاً: الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص 153.

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص 158.

<sup>2</sup> Vuillemin: op. cit, p 329.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص 158.

من خلال ما سبق نستنتج أن البعثة الفرنسية واجهت مقاومة عنيفة من القبائل الصحراوية، وقد كبدت القوات الفرنسية خسائر نسبية في بعض المناطق، مما جعلها توقف عملية التوغل مؤقتاً، بل والإستعانة بقوات إضافية من سان لوي لحماية الثغور التي تمت السيطرة عليها، إلا أن تفرق قوة القبائل إلى جانب الخلافات التي كانت بينها، حال دون تنظيم وتنسيق حركة المقاومة ضد الإحتلال الفرنسي بالمنطقة.

الفصل السادس: المواجهات المباشرة بين الشيخ ماء  
العينين والإستعمارين الفرنسي والإسباني

- المبحث الأول: مؤتمر السمارة الأول (1321هـ / 1904م)
- المبحث الثاني: مؤتمر السمارة الثاني (1325هـ / 1907م)
- المبحث الثالث: احتلال أدرار وباقي الأقاليم الصحراوية

## الفصل السادس: المواجهات المباشرة بين الشيخ ماء العينين والإستعماريين الفرنسي والإسباني

### المبحث الأول: مؤتمر السمارة الأول (1321هـ / 1904م)

بعد أن تمكن الطرفين الفرنسي والإسباني من تحديد مناطق نفوذهما في الصحراء الغربية وموريتانيا، فشلت إسبانيا في التوغل بالأراضي الصحراوية، ولعل السبب في ذلك هو فشلها في إقناع الشيخ ماء العينين (صاحب النفوذ الأكبر) بإقامة علاقات اقتصادية وتجارية مع القبائل الصحراوية، ويأتي رفض الشيخ ماء العينين للمقترحات الإسبانية لمعرفته المسبقة بنوايا الإسبان في المنطقة، خصوصا وأن الشيخ كان على علم بالمفاوضات الإسبانية الفرنسية حول المنطقة كما أشرنا سابقا، أما فرنسا فقد نجحت في التوغل في موريتانيا انطلاقا من السنغال، حيث ذكر الراحل جليليه أن علاقة كوبولاني بأعيان وشيوخ المنطقة ساهمت بشكل كبير في تسهيل عملية احتلال التراب الموريتاني<sup>1</sup>، إلا أن مشروع كوبولاني بدأ يواجه العديد من المصاعب كلما اتجه شمالا نتيجة تراجع نفوذ الشيخ سعد بوه والشيخ سيديا بابا، لصالح نفوذ الشيخ ماء العينين المناهض للتواجد الأجنبي في المنطقة، لذلك نجد معظم الكتابات الفرنسية تتهم شيخ السمارة بالتحريض المباشر على قتل كوبولاني منظر مشروع موريتانيا الغربية سنة (1322هـ / 1905م).

#### أولا: التحضيرات الأولى لعقد المؤتمر

مع تطور الأحداث سنة (1321هـ / 1904م) قامت محادثات بين الشيخ ماء العينين والسلطان المغربي مولاي عبد العزيز، كان الهدف منها محاولة تنسيق الجهود بين الطرفين لمواجهة الاحتلال الأوربي الذي بدأ يتوسع من جميع النواحي، انتهت المحادثات بين الطرفين بقيادة الشيخ ماء العينين المقاومة في الصحراء الغربية ومنطقة شنقيط، ويتم ذلك بالتنسيق المتبادل بين الطرفين إلى جانب تقديم الدعم المادي والمعنوي للشيخ ماء العينين للقيام بذلك.

<sup>1</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 156.

## 1- استراتيجية الشيخ ماء العينين في المقاومة

### أ- توحيد القبائل الصحراوية

بعدها تمكن الشيخ ماء العينين من الحصول على الدعم المخزني بدأت جهوده تنصب في سبيل توحيد القبائل الصحراوية، واقتلاع شوكة الفوضى التي كانت منتشرة بين قبائل الصحراء<sup>1</sup>، وفي هذا الصدد أرسل السلطان المغربي مولاي عبد العزيز برسائل إلى مختلف القبائل، يحثها على الانضواء تحت مقاومة الشيخ ماء العينين في الصحراء الغربية، ومما جاء في رسالته المؤرخة سنة (1322هـ / 1905م) لقبائل المور (إن الشيخ قد أطلعنا على تخوف القبائل الصحراوية من التهديد الأجنبي لأراضيها، وبما أنكم مستعدون للذود عنها فقد أوكلنا مهمة قيادة المقاومة إلى الشيخ ماء العينين الذي يحظى بمكانة خاصة لدى جميع قبائل الصحراء)<sup>2</sup>.

وفي إطار الدعم المعنوي للشيخ أرسل السلطان مولاي عبدالعزيز إلى شيوخ قبيلة العروسيين رسالة يحثهم فيها على عدم التهاون في مقاومة العدو إلى جانب تنسيق جهودهم مع الشيخ ماء العينين الذي يتلقى دعما مخزنيا<sup>3</sup>. كما أقام الشيخ محطات أمنية ومراكز حضارية نواحي الساقية الحمراء، وبذلك تمكن من بعث حركية الطرق التجارية بها، وفي إطار جهوده الرامية إلى توحيد القبائل الصحراوية قام الشيخ بعقد علاقة مصاهرة بينه وبين مختلف القبائل الصحراوية، وقد أمر أتباعه بإقامة علاقات اجتماعية مع مختلف القبائل الصحراوية، وفي هذا الصدد تزوج الشيخ ماء العينين من العروسيين، وآل محمد سالم، وتجكانت، وأولاد أبي السباع، وآل عبد الحفي وغيرها<sup>4</sup>، إلى جانب حرصه الكبير على المساواة بين جميع القبائل كيفما كانت وظيفتها ومستواها الاجتماعي، حتى يتسنى له محاولة القضاء على الأعراف السلبية التي كانت تحكم القبائل الصحراوية آنذاك، وفي هذا الصدد أيضا أمر القبائل التابعة له بمقاطعة تلك القبائل الراضية والمعتدية خصوصا بعد إغارة قبيلة أبناء عيلان على الرقيبات سنة (1320هـ / 1903م)، ونهبت كل أملاك القبيلة الأمر الذي جعل الشيخ يصدر أمر يتجرىم سياسة النهب التي كانت من عوائد القبائل آنذاك

<sup>1</sup> حمداتي شبيها ماء العينين: مرجع سابق، ص 21.

<sup>2</sup> حمزة الرشيد: المرجع السابق، ص 05.

<sup>3</sup> نفسه: ص 06.

<sup>4</sup> أحمد الهبية: مصدر سابق، ص 21.

فكان ذلك سببا في إيجاد نوع من الاتزان والمساوات بين القبائل، وبالتالي أصبحت إغاراتهم للعدو الأجنبي بدلا من مواجهة بعضهم البعض<sup>1</sup>.

كما أرسل الشيخ ماء العينين رسائل إلى مختلف القبائل الصحراوية يطالبهم من خلالها الحضور إلى السمارة للتباحث مع المبعوث السلطاني بشأن المقاومة، وفي هذا الصدد أرسل الشيخ رسالة إلى إدوعيش وأعيانهم لحضور لقاء السمارة، وأرسل كتابا آخر عبر نجله الشيخ الطالب أختيار لقبيلة تنواجيو، ورئيسهم الشيخ أحمد بن الشيخ المهدي سنة (1323هـ / 1905م) يطالبهم من خلالها إرسال وفدا عنهم إلى السمارة، وفي نفس السياق كتب الشيخ رسالة بتاريخ 23 يوليو 1905م/1323هـ لجماعة الأغلال وأميرهم "ألب بن عبد الرحمان أخليف"، يدعو فيها الأخير وجماعته لحضور مؤتمر السمارة، وقد أرسل الشيخ ماء العينين رسالة عبر الفقيه سيدي محمد بن حبت الغلاوي، إلى الشيخ محمد المختار بن الحامد، دعاه فيها للانضمام إلى تحالف المقاومة بالسمارة<sup>2</sup>.

ولتسوية النزاع القائم بين القبائل الصحراوية، أرسل الشيخ ماء العينين ابنه الشيخ حسنا إلى قبائل إدوعيش لتسوية النزاع القائم بين فصيلتي أبكك واشراتيت، كما نجح أيضا في إقامة الصلح بين ولد عيدة والرقيبات، وأولاد أبي السباع وأولاد غيلان<sup>3</sup>، ويعود السبب في ذلك لحرص الشيخ ماء العينين على وضع أرضية المقاومة على أسس متينة، والتقليل ما أمكن من الخلافات التي كانت دائما تخدم الاستعمار.

#### ب- تنظيم القبائل

في أواخر سنة 1905م، كان المبعوث السلطاني، الأمير مولاي إدريس بن عبد الرحمان قد وصل السمارة يحمل حوالي خمسمائة (500) بندقية مع ذخيرتها ضمن باخرة إسبانية، وقد أرسل الشيخ ماء العينين عددا من طلبته لاستقباله، وفي نفس الإطار أرسل الشيخ ابنه أحمد الهيبة إلى الشمال، للحصول على المزيد من الأسلحة والذخيرة تمهيدا لتوزيعها على المجاهدين الذين بدأوا بالتحرك نواحي السمارة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد الظريف: مرجع سابق، ص 09

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص ص 164\_167.

<sup>3</sup> نفسه: ص 167.

<sup>4</sup> نفسه: ص 168.

وحسب رينيه لوكليير "René Leclerc" فان رُسل الشيخ ماء العينين، قد جابت مختلف مناطق الصحراء الغربية والإمارات الموريتانية، التي كانت قد خضعت لكوبولاني على غرار الترازة والبراكنة وتكانت، وتمكنوا من إقناع أغلب القبائل بالوقوف في وجه السياسة الإستعمارية في المنطقة<sup>1</sup>، وحسب الشيخ مربيه ربه فان الوفود العربية والزوايا وصلت السمارة رفقة الشيخ الطالب أخيار في 19 مارس 1906م/1324هـ، وقد بلغ عددها حوالي ألفاً وأربعمائة (1400) رجل يمثلون مختلف القبائل الصحراوية والشنقيطية، ولم تقتصر الوفود على قبائل الصحراء وموريتانيا، بل حضر أيضا وفدا من قبائل الطوارق برئاسة الغمارات بن الخليل<sup>2</sup> رفقة مائتي فارس قادمين من شمالي مالي، وقد كان المبعوث السلطاني الأمير مولاي إدريس قد وصل السمارة، رفقة محمد الحسن بن القائد إدريس بن يعيش، والطالب المدني الغري والدوبلاي إضافة إلى القائد أحمد الشيباني.

#### ثانيا: فعاليات المؤتمر

بعد وصول ممثلي القبائل الصحراوية إلى السمارة، استقبلهم الشيخ ماء العينين رفقة الأمير مولاي إدريس يوم الثلاثاء 21 مارس 1906م، وفي اليوم الموالي باشر الشيخ ماء العينين أشغال المؤتمر الذي دام شهرا كاملاً، وقد ركز الشيخ في كلمته للوفود على حث القبائل على تجاوز الخلافات التي كانت بينهم، وتوحيد القوى للوقوف في وجه التوسع الاستعماري الذي يهدد تواجدهم بالمنطقة، كما طالب الحضور بجباية زكاة أموالهم لصالح قادة الجهاد بدل السلطات الفرنسية، كما دعا إلى منع القبائل من دفع الضرائب للنصارى، كون ذلك تضليل نجح في فرضه كوبولاني بتأييد من الشيخ سيديا والشيخ سعد أبيه على قبائل المنطقة، وفي ختام هذا الاجتماع تم الإتفاق على مجموعة من القرارات من بينها ما يلي:

1- تعيين قيادات على مختلف القبائل الصحراوية مع الإجماع على القيادة الرئيسية للشيخ ماء العينين بالتنسيق مع السلطان المغربي.

<sup>1</sup>) René Leclerc: L'Action Française Au-Delà De L'extrême-sud Marocain, 1909, p02.

<sup>2</sup> الغمارات بن الخليل: هو زعيم قبيلة إراولن المنحدرة من قبيلة إماغن من قبائل الطوارق الحاربة، قدم السمارة تلبية لنداء الشيخ ماء العينين، حيث زوده ببعض الاسلحة والزخيرة لمواصلة الجهاد ضد الفرنسيين شمالي مالي، بعدها انضم إلى المجاهد عابدين بن الشيخ سيدي محمد الكنتي وشارك معه في عدة معارك د الفرنسيين شمالي مالي توفي حوالي 1922م. ينظر: الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص171.

2- يكون مركز القيادة بمدينة السمارة، التي يكون من خلالها التموين بمختلف الأسلحة التي ترد إليها من مختلف الجهات، على غرار الشركة الألمانية فيرمان "WOERMANN"، والشركة الإسبانية توريس "TORRES"، وفي هذا الصدد استغل الشيخ علاقاته مع الأوربيين للاتصال بالشركتين، واقتنى منها عدداً معتبراً من الأسلحة التي هربت إلى السمارة<sup>1</sup>.

3- إقرار مواجهة جماعية بقيادة زعماء القبائل كل من موقعه، ويكون التنسيق بواسطة الشيخ ماء العينين<sup>2</sup>.

في ضوء ذلك نستنتج أن الشيخ ماء العينين بواسطة اجتماعه هذا، نجح في تكوين تحالف يضم القبائل الصحراوية والمخزن من ناحية، كما نجح في تقوية مركزه من خلال ضمان دعم المخزن المغربي، الذي سيكون بواسطته أيضاً ولاء زعماء القبائل لمقاومته، إضافة إلى محاولة الاستفادة من خبرات هؤلاء (قادة القبائل)، لرسم خطته التي قامت على اللامركزية في قيادة حركة المقاومة، مع التنسيق بين جميع القبائل حتى يتسنى له مقارعة جيوش الغزو الأجنبي المتفوقة عدة وعتادا.

### ثالثاً: المواجهات العسكرية بعد مؤتمر السمارة الأول

بعد أن تمت أشغال المؤتمر انطلقت وفود المجاهدين يوم الخامس من أبريل 1906م/ 1324هـ، بقيادة المبعوث السلطاني مولاي إدريس، ويبدو أن تعيين مولاي إدريس قائد للجيش أراد من خلاله الشيخ ضمان المخزن ودعمه كما سبق وأشرنا، وحتى لا يفضل قائد قبيلة على أخرى، وقد بلغ عدد المجاهدين حوالي ألف وأربعمائة (1400) رجل، كما أوفد الشيخ ماء العينين مع الوفود ابنه الشيخ الولي، والشيخ الطالب أختيار، وبناءً على رسالة الشيخ إلى ابنه الشيخ حسنا المقيم عند ولد عيدة في ادرار، والمتضمنة أوامر بتهيئة ادرار لاستقبال وفود السمارة<sup>3</sup>، يتبين بأن ادرار كانت بمثابة مركز إمداد ثانٍ بعد السمارة، وذلك راجع إلى قربها من مركز السمارة والإمارات الموريتانية جنوباً، إلى جانب النفوذ الكبير الذي يحظى به الشيخ ماء العينين هناك.

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص205.

<sup>2</sup> حمزة الرشيد: مرجع سابق، ص 06.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ص 172.



## 1- واقعة النيملان

### أ- التحضير للمعركة

بعد أن وصل الشريف مولاي إدريس رفقة المجاهدين إلى ادرار، عقد اجتماعاً صغيراً لإعداد خطة الهجوم على مركز تجكجة، وقد حضر الاجتماع مولاي إدريس والشيخ حسنا، ومحمد المختار بن الحامد الكنتي، إلى جانب سيدي أحمد ولد عيدة وعثمان بن بكار، وبعد مشاورات بينهم تم الإتفاق على اللقاء في "النيملان"<sup>1</sup>، وبناء على ما جاء في التقرير العام للحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية (G.G.A.O.F) حول الأقاليم المدنية في موريتانيا، أن الوضع العام في الأراضي المدنية يسوده الهدوء، إلا أن عودة ممثلي القبائل من السمارة إلى أدرار رفقة مولاي إدريس يبعث بالقلق، نظرا للأسلحة والذخيرة التي جاء بها مبعوث السلطان إلى المنطقة<sup>2</sup>.

في منتصف أكتوبر 1906م/ 1324هـ، كان المجاهدون قد تركزوا نواحي النيملان، وقد تمكن مبعوثا الشيخ من إقناع العديد من المغامرين من قبائل أولاد أبي السباع والرقبيات ومختلف القبائل الصحراوية، للدفاع على أراضيهم تحت قيادة ممثل السلطان<sup>3</sup>، الذي كان قد أرسل مبعوثا يحمل إنذارا إلى تيسو "Tissot" الحاكم العسكري بتجكجة، يطلب منه مغادرتها وسائر بلاد المسلمين، فكان رد فعل حاكم تجكجة أن أهان المبعوث وجرده من سلاحه، كما أوعز إلى الضابطين دي فرانسو "De Franssu" وأندريو "Andrieu" إلى التنقل لمعسكر مولاي إدريس وجمع معلومات إستطلاعية دون التماس معه، وبعد عودة الضابطين تم تجهيز مفرزة فرنسية للإغارة على معسكر المجاهدين في النيملان<sup>4</sup>، حيث تألفت المفرزة الفرنسية من: 60 قناصا من الرماة الجزائريين والسنغاليين، و08 من القوم البيضان، إلى جانب فريق من قبائل كنته، وقد أسندت قيادة المفرزة للملازمين "دي فرانسو" و"أندريو"، هذا الأخير كانت خطته مبنية على مفاجئة المجاهدين داخل مخيماتهم<sup>5</sup>، غير أن عيون المجاهدين تمكنت من رصد تحرك القوات الفرنسية من مركز تجكجة باتجاه النيملان، ونجح كل من محمد الأمين بن أحمد غالي الغلاوي والشيخ بن

<sup>1</sup> النيملان: هو عبارة عن واد فيه واحات من النخيل يقع في الشمال من امارة تكانت.

<sup>2</sup> Rapport D'ensemble année 1906: Territoire civil de la Mauritanie, Sant Louis, 1908, p07.

<sup>3</sup> René Leclerc: op. cit, p02.

<sup>4</sup> غاستون دو فو: مصدر سابق، ص95.

<sup>5</sup> جيليه: مصدر سابق، ص164.

عبد الله بن محمد عاشور العلوي من الوصول قبلهم وأخبروا المجاهدين بخطة أندري<sup>1</sup>، وحسب الرائد جيلبيه فإن المفزة الفرنسية ضلّت طريقها لنقص خبرة الدليل الذي كان يرافقها، لذلك كان وصولهم إلى النيملان بعد بزوغ شمس يوم المعركة، وهو الأمر الذي فوت عليهم فرصة مفاجأة الجيش السمارة<sup>2</sup>.

### ب- مجريات المعركة

كان تعداد الجيش القادم من السمارة حوالي سبعمائة (700) رجل مزودين بستمائة (600) بندقية سريعة الطلقات، بالإضافة إلى عدد كبير من المتطوعين الذين انضموا إلى المجاهدين في أدرار على غرار عناصر من مشظوف، وأولاد أبي السباع وقبائل الشوكة، إضافة إلى أفراد من قبائل البراكنة وتكانت والحوض والرقيبة، وكان على رأس القيادة الشريف مولاي ادريس بن عبد الرحمان<sup>3</sup>، أما الخطة التي رسمها المجاهدون فقد كانت مبنية على أن ينقسم الجيش إلى ثلاث فرق:

- الفرقة الأولى تمركزت على حواف العدو الشرقية لوادي النيملان، وقد ضمت هذه الفرقة جماعة إدوعيش.

- الفرقة الثانية تمركزت على حواف العدو الغربية لوادي النيملان، وقد ضمت عناصر من الأغلال وإدولحاج، بالإضافة إلى عناصر من تجكانت.
- أما الفرقة الثالثة فقد تمركزت في قلب الوادي، وقد ضمت العناصر القادمة من السمارة وأدرار<sup>4</sup>.

في صباح يوم 17 رمضان 1324هـ الموافق لـ 05 نوفمبر 1906م، هاجمت قوات الملازم أندريوا ميمنة وقلب المجاهدين، ورغم أنهم وقعوا في كمين المجاهدين الذين حَوَطوهم من كل جهة، غير أن الأسلحة المتطورة والمدفع الرشاش الذي امتلكه الفرنسيين رجع كفتهم في البداية، إلا أن بسالة المجاهدين وقتالهم بضراوة جعل الفرنسيين يتراجعون إلى الخلف تحت ضربات البنادق السريعة، وقد كان لتلاميذ الشيخ ماء العينين دورٌ كبيرٌ في المعركة، حيث أورد جيلبيه أن سقوط الضابطين فيليب "Philippe" وفلوريت "Fleurette" كان تحت ضربات المريدن مما

<sup>1</sup> الطالب أحيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص178.

<sup>2</sup> جيلبيه: مصدر سابق، ص 164.

<sup>3</sup> الطالب أحيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص 177.

<sup>4</sup> نفسه: ص 178.

جعل موازين القوى تنقلب لصالح المسلمين<sup>1</sup>، حاولت باقي العناصر بقيادة الضابط فرانسوا الفرار إلى مركز تجكجة، إلا أنهم وقعوا في كمين المجاهد محمد المختار بن الحامد الكنتي الذي كان قد التحق بمؤخرة ركب المسلمين في النيملان، فقتلهم جميعاً<sup>2</sup>.

### ت- نتائج المعركة

حسب تقرير أرسل به قائد الحامية العسكرية في تجكجة إلى الحاكم العام بسان لوي، أورد فيه أن المعركة امتدت من الثامنة صباحاً إلى الحادية عشر صباحاً، وقد كان من نتائجها.

- اعتماداً على رواية الرائد جيليه والضابط الفرنسي غاستون دوفو، فإن الفرنسيين قد خسروا ضابطين(2)، وضابطي(02) صف و15 من الرماة، بالإضافة إلى 26 جريحاً، ومُنِي المجاهدون بخسارة حوالي 100 رجل<sup>3</sup>، أما رواية الطالب أخيار نقلا عن بغض الثقات<sup>4</sup> ممن حضروا المعركة، أن عدد شهداء المجاهدين حوالي 80 شهيد منهم 40 من الأغلال و15 من إدوعيش و24 من جماعة السمارة وامرأة من إدوعيش، إلى جانب عدد كبير من الجرحى، أما من الجانب الفرنسي فلم يسلم منهم إلا عدد قليل من الفرسان الذين تمكنوا من الفرار إلى مركز تجكجة<sup>5</sup>.

بناء على الروايتين الفرنسية والبيضانة يمكن أن نستنتج أن من أسباب نجاح المجاهدين في هذه المعركة، يعود إلى الخطة التي انتهجها المجاهدون في الدفاع، إلى جانب العقيدة العسكرية لجيش السمارة، والتي كان لها دور في تعبئة المجاهدين للقتال، بالرغم من تسجيل عدد كبير من الشهداء نتيجة التفوق العسكري للمفرزة الفرنسية على قلة تعدادها.

في الوقت الذي كانت الوفود تستعد لمواجهة النيملان، كان الشيخ ماء العينين يلتقي مع السلطان المغربي في فاس للحصول على المزيد من الأسلحة، وقد تلقى وعوداً من السلطان بإرسال المزيد من الأسلحة إلى السمارة، وبعد مدة من عودة الشيخ ماء العينين إلى الصحراء الغربية، وصلت الأسلحة والعتاد إلى ميناء الطرفاية أواخر أبريل 1907م /1325هـ<sup>6</sup>، وعن هذه الزيارة كتبت

<sup>1</sup> جيليه: مصدر سابق، ص 164.

<sup>2</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص 179.

<sup>3</sup> جيليه: مصدر سابق، ص 165. غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 96.

<sup>4</sup> يتعلق الأمر بـ الديه بن الزين العلوي.

<sup>5</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص 180.

<sup>6</sup> نفسه: ص 175.

التقارير الفرنسية التي كانت تراقب الشيخ ماء العينين عن كثب أن هذا الأخير يحاول استغلال نفوذه الديني في إثارة القبائل والسكان ضد التواجد الأجنبي لحماية مصالحه الخاصة في المنطقة<sup>1</sup>، وفي هذا الإطار كتب جريدة "السعادة"<sup>2</sup> الاستعمارية في وصفها للشيخ ماء العينين إنه رجل دجال ومشعوذ، كاذب ومحتال وتاجر أسلحة لا علاقة له بالصلاح والدين، كما اتهمته بالتآمر ضد المخزن المغربي واعتبرته سبب إفلاس الخزينة العزيرية<sup>3</sup>، وفي تقرير آخر للحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية (G.G.A.O.F)، أبدت فيه هذه الأخيرة بشكل واضح قلقها من الدعاية والرواج المتداول، حول المهمة الرسمية التي تبناها الشيخ ماء العينين بالتنسيق مع السلطان عبد العزيز، للدفاع عن الأقاليم الموريتانية وطرد الفرنسيين منها، وفي ذات السياق أوردت أن نشاط الشيخ حسنا والطالب أخيار في جلب الأسلحة والذخيرة يهدد بشكل مباشر مستقبلنا في التوسع التدريجي، في إشارة إلى دورهما في تسليح الفصائل المعارضة، التي بدأت تنضم شيئا فشيئا إلى معسكر مولاي إدريس المبعوث السلطاني، والمحاط أيضا بالهالة الدينية للشيخ ماء العينين<sup>4</sup>.

## 2- حصار تجكجة

بعد الانتصار الذي حققه جيش السمارة بقيادة مولاي إدريس في النيملان، حاول الجيش التقدم إلى تجكجة حيث المركز الفرنسي، وفي السادس من نوفمبر 1906م / 1324هـ، وصل مولاي إدريس إلى مشارف المركز الفرنسي بتجكجة، على رأس قوة تتألف من ثلاثة آلاف (3000) رجل بعد أن انضم المجاهدون إلى جيش السمارة من مختلف نواحي موريتانيا، وبناء على ما أورد غاستون دوفو فان القوات الفرنسية داخل المركز كان لا يتعدى عددها 80 قناصا بقيادة النقيب تيسو "Tissot" إضافة إلى ضابط صف وأمين شؤون السكان المحليين دايروكس

<sup>1</sup>) Rapport D'ensemble année 1906: op. cit, p06.

<sup>2</sup>) جريدة السعادة: هي جريدة اسبوعية عربية استهتها المفوضية الفرنسية بطنجة في اكتوبر 1904 وذلك للدفاع عن مصالح المفوضية الفرنسية بالمغرب ولسان حال الإقامة العامة، تخدم اغراض السياسة الفرنسية بالمغرب، بلغ عدد اعدادها 9864 عدد، وقد صدر اخر اعدادها في 27 ديسمبر 1956م. ينظر: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، مطابع سلا، المغرب، 1423هـ/2002م، المجلد 15، ص ص 4982 \_ 4983.

<sup>3</sup>) محمد نعائم: قراءة في كتاب: مقاومة شيوخ الزوايا للوجود الاستعماري الفرنسي بالمغرب من خلال جريدة السعادة (1907-1920)، قوت القلوب، العدد 8/7، نوفمبر 2017، ص 164.

<sup>4</sup>) Rapport D'ensemble année 1906: op. cit, p10.

"Daireaux" والطبيب المساعد كوميلوغان "Commeleran"<sup>1</sup>، وقبل بداية المواجهة بين الطرفين اقترح عثمان بن بكار على القائد مولاي إدريس، أن يرسل بعض الكتائب للاستيلاء على المسالك المؤدية إلى المركز، وبالتالي يكون المجاهدون قد قضوا على طرق الإمداد والمؤونة عن المفزة الفرنسية هناك، مما سيجعلهم في متناول جيش السمارة، إلا أن موقف مولاي إدريس كان رافضاً لمقترح عثمان، بل أكثر من ذلك فقد أورد الطالب أخيار بن الشيخ مامينا نقلاً عن علي بن عثمان بن بكار، أن مولاي إدريس أجاب عثمان بـ "لو قال هذا غيرك لعاقبته، لقد عصيت الله بكلامك"<sup>2</sup>، ويستشف من ذلك أن روح التعالي والديكتاتورية بدأت تظهر لدى مولاي إدريس بعد انتصار النيملان، والتفرد بالقرارات سيؤثر سلبي على وحدة وتماسك جيش السمارة في قادم الأيام.

حاولت بعض العناصر المؤيدة لخطة عثمان بن بكار ومن بينهم صهره محمد الخضر بن مايابي، حاولوا إقناع مولاي إدريس بتطبيق خطة الحصار قبل الهجوم، إلا أن تعنته أدى إلى انقسام الجيش إلى جبهتين كل منهما يريد رأيه، وكاد الأمر يتطور إلى خلاف بين الأطراف لولا تدخل محمد المختار بن الحامد، الذي دعا إلى طاعة القائد مولاي إدريس، وذكرهم بجهود الشيخ ماء العينين في جمع وتوحيد مختلف القبائل الصحراوية لمواجهة المستعمر العدو المشترك، كما أن تدخل الشيخ حسنا بن ماء العينين، كان له دور كبير في إقناع الشريف مولاي إدريس بخطة الحصار قبل الهجوم.<sup>3</sup>

بعد أن حاصرت قوات السمارة المركز قرابة العشرة أيام، جاءت أوامر مولاي إدريس يوم الرابع عشر نوفمبر بالهجوم على المركز من نواحيه الثلاث، حيث بدأ التقدم باتجاه محيط المبنى عند الساعة صباحاً، إلا أن بوادر ضعف التخطيط بدت ظاهرة، حيث وقع رتلان من جيش السمارة تحت نيران المدافع الرشاشة التي نصبت فوق قلاعها، وسقط حوالي 70 شهيداً حتى قبل أن يتمكنوا من إطلاق رصاصة واحدة، إلى جانب عدد كبير من الجرحى<sup>4</sup>، وعلى إثر الخسائر الكبيرة كان الانسحاب فوضوياً، وعلامات الغضب بادية سرعان ما انكشفت إلى الواجهة، وتطور الأمر

<sup>1</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 96.

<sup>2</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 2، ص 183.

<sup>3</sup> نفسه: ص 184.

<sup>4</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 97.

إلى خلاف بين قادة المجاهدين، الذين كانوا قد رفضوا فكرة الهجوم التي أرادها مولاي إدريس، وقد انعكس ذلك على وحدة جيش السمارة، حيث انسحب فريق من المجاهدين إلى أدرار دون انتظار مسيرة مولاي إدريس<sup>1</sup>.

بناء على المعطيات السابقة يمكن استنتاج مجموعة من النتائج حول هزيمة تجكجة، حيث كان غياب الشورى بين قادة المجاهدين في إعداد خطة الهجوم السبب الأول في الهزيمة، فبينما كان يؤيد السواد الأعظم من المجاهدين فكرة الحصار، إلى جانب تطويق المركز عن أي إمداد قد يأتي، وهو الحل الأمثل بالنظر إلى مجريات الأحداث، كان يرى مولاي إدريس أن فكرة الهجوم هي الحل للقضاء على الجنود الفرنسيين في المركز، متجاهلا بذلك الفوارق في العتاد بين الطرفين، حيث حسم المعركة المدافع الرشاشة التي نصبت فوق جدار مبنى المركز، وكانت الخسائر المسجلة في الأرواح سببا في انقسام جبهة المقاومة، بعد أن ضاقوا ذرعا من تصرفات مولاي إدريس.

وقد حاولت الكتابات الأجنبية تهويل الخلاف الذي وقع بين المبعوث السلطاني والقبائل الصحراوية حيث كتب الرائد جيليه أن مولاي إدريس سقط في عقول القبائل البيضانية نتيجة استبداده وتفردته بالرأي<sup>2</sup>، كما جاء في تقارير الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية (G.G.A.O.F) أن المبعوث السلطاني استأثر بنفسه للهدايا التي حصل عليها من القبائل في أدرار، رغم أن وجوده لم يكن محل إجماع من جميع الفصائل، ولم تنجح محاولاته في جمع القبائل تحت راية واحدة<sup>3</sup>، ورغم أن هذه التقارير جاءت للتقليل من قيمة مولاي إدريس كقائد لجيش السمارة، إلا أننا ومن خلالها نستشف حجم الخلافات التي كان يشهدها جيش مولاي إدريس، لدرجة تسريب تفاصيلها للسلطات الفرنسية، لذلك وكنتيجة لتصرفاته أرسلت بعض القبائل من تكانت رسالة احتجاج إلى السلطان مولاي عبد العزيز، وقد تضمنت الرسالة شكاوى ضد مولاي إدريس وتصرفاته المشينة تجاه القبائل، كما طالبوا من خلالها الشيخ ماء العينين والسلطان بالتدخل لحماية وحدة الصف ومواصلة الجهاد، وبعد أن عرض مولاي عبد العزيز الرسالة على الشيخ ماء العينين الذي كان في ضيافته، دافع هذا الأخير على مولاي إدريس وذكره بخصال الرجل<sup>4</sup>، وكان

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص185.

<sup>2</sup> جيليه: مصدر سابق، ص 140.

<sup>3</sup> Rapport D'ensemble année 1906: op. cit, p11.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص 186.

هدف الشيخ ماء العينين من ذلك هو حماية وحدة جيش السمارة من التشتت نتيجة عزل المبعوث السلطاني، الذي كانت ترى فيه بعض القبائل مصدر قوة في الجيش، وقد أرسل الشيخ رسالة إلى مولاي إدريس يخبره فيها بعودته إلى السمارة، وأطلععه من خلالها على ما دار بينه وبين السلطان، كما ذكره بوجوب اتباع الشورى والاستعانة بخبرات أعيان القبائل في أمور المقاومة والجهاد<sup>1</sup>.

في بداية جوان 1906م كان الشيخ ماء العينين قد وصل إلى فاس للقاء السلطان عبد العزيز، وقد كتبت التقارير الفرنسية الكثير عن هذه الزيارة كما أشرنا سابقا، وحسب رينييه لوكليز فإن هذه الرحلة كانت الأكثر رحلاته خطرا على علاقة المغرب الأقصى بفرنسا، وذلك راجع إلى الجهود التوعوية التي بذلها الشيخ في إقناع سكان السوس ومنطقة الشاوية لمقاومة التدخل الفرنسي، الأمر الذي سينعكس سلبا على التواجد الأجنبي في المغرب الأقصى بصفة عامة<sup>2</sup>.

مع مطلع سنة 1907م /1325هـ، وعلى إثر روح المقاومة التي بعثها الشيخ ماء العينين في السكان، إزدادت العمليات العدائية ضد التواجد الأجنبي في المغرب الأقصى، حيث تسببت حوادث شهدتها مراكش في قتل طبيب فرنسي بالمدينة، وفي ظل هذا الوضع تدخلت فرنسا بشكل مباشر في مدينة وجدة واحتلتها في مارس 1907م، وقد ساقى للسلطان عبد العزيز مجموعة من المطالب مقابل الجلاء عن وجدة، وكان من بين مطالبها:

- توقيف كل أنواع الدعم المادي والمعنوي عن الشيخ ماء العينين في مقاومته ضد الأجانب في الصحراء الغربية، إلى جانب سحب المبعوث السلطاني من الأقاليم الصحراوية والتخلي عن فكرة ترسيم الحدود بين المغرب الأقصى ومناطق نفوذهم<sup>3</sup>.

حاول الملك مولاي عبد العزيز رفض المطالب الفرنسية، خصوصا في ظل حماس المغاربة واستعدادهم للمقاومة، بعد أن بعث فيهم شيخ السمارة روح الجهاد، إلا أن السلطان كان يخشى إحتلال مناطق أخرى إنطلاقا من الحدود الجزائرية، وبسبب الضغوط الفرنسية أرسل مولاي عبد العزيز كتابا إلى الشيخ ماء العينين، يطلب منه حضور مولاي إدريس إلى فاس، كما أمر بحجز الأسلحة التي كانت موجهة إلى الشيخ ماء العينين، وقد أبلغ مولاي عبد العزيز قراره بقبوله

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص 186.

<sup>2</sup> René Leclerc: op. cit, p03.

<sup>3</sup> Ibid: p04.

المطالب الفرنسية في رسالة سلطانية مؤرخة في 14 أبريل 1907م الموافق لـ 02 ربيع الأول 1325هـ<sup>1</sup>.

بعد إنسحاب مولاي إدريس كان جيش السمارة متمركزاً في أدرار، تحت إشراف الشيخ حسنا ابن الشيخ ماء العينين، إلا أن خلافاً وقع بين الوافدين من الجنوب وقبائل أدرار، إلى جانب نقص المؤونة، جعل جزءاً كبيراً من المنشقين<sup>2</sup> حسب غاستون دوفو، يتسللون خفية إلى داخل القبائل الواقعة تحت سلطة فرنسا، أو يطلبون الأمان للدخول إلى مناطق ظعنهم التي كانت تحت سيطرة القوات الفرنسية<sup>3</sup>، وبالتالي يكون الجيش قد خسر العديد من الفصائل من كنته وإدوعيش، ومختلف قبائل الجنوب التي تمتلك خبرة واسعة في مناطق تكانت والبراكنة، غير أن هذه الخسائر لم تُثن من عزيمة بعض المجاهدين في مواصلة عمليات الإغارة على المراكز الفرنسية.

في مطلع جوان 1907م / 1325هـ، هاجم رتلٌ من 36 رجلاً أغلبهم من تلاميذ الشيخ ماء العينين، الحامية الفرنسية في منطقة خروفة جنوب أدرار، وكان الشيخ حسنا قد زودهم بأسلحة حديثة كانت قد وصلته من السمارة، وقد خلف الهجوم المفاجئ ثلاثة قتلى من الجانب الفرنسي، وصادروا سلاحين ومجموعة من الذخيرة إلى جانب حوالي 100 جمل من إبل الحامية<sup>4</sup>، إلا أن فرحة المجاهدين بالنصر لم تدم طويلاً، حيث أرسل الإداري تيفينيو "Theveniaut" مفرزة من الرماة الجمالة وكتيبة من المشاة تحت قيادة الملازم شميت "Shmet" الذي أدرك المجاهدين عند موقع "أعقيلة النعجة" أين وقع قتال بين الطرفين سقط خلاله عدد من المجاهدين وجرح آخرون، كما استولى أفراد المفرزة الفرنسية على جميع الغنائم التي كان المجاهدون قد غنموها من غارتهم على مركز أخروفة<sup>5</sup>.

يمكن أن نعزو أسباب هزيمة المجاهدين في "أعقيلة النعجة"، إلى البطء في عملية الانسحاب لكثرة أعداد الإبل التي تم الاستيلاء عليها بعد إغارتهم على مركز أخروفة، كما أن غياب عامل الخبرة لدى أفراد البعثة الذين كان أغلبهم قادمًا من السمارة، كان له دور في الهزيمة نتيجة عدم

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص 186.

<sup>2</sup> المنشقين: إسم أطلقته الكتابات الفرنسية على القبائل التي أعلنت ولائها لفرنسا قبل أن تشق عصا الطاعة.

<sup>3</sup> غاستون دو فو: مصدر سابق، ص 99.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص 194.

<sup>5</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 152.



معرفتهم بالمنطقة، بعد أن انشقت قبائل الجنوب عن معسكر المجاهدين نتيجة الخلافات التي ذكرناها سابقا، إلى جانب الفارق في العتاد العسكري بين الطرفين، ونقص الذخيرة لدى المجاهدين كان سببا من أسباب هزيمة كتبية المجاهدين.

في ختام هذا المبحث نستنتج أن نجاح الشيخ ماء العينين في عقد مؤتمر السمارة، يعود إلى المكانة الدينية للشيخ ماء العينين بين قبائل الصحراء وموريتانيا، كون السمارة كانت مقصد العلماء والمريدين من مختلف مناطق صحراء الملثمين، منذ تأسيسها أواخر القرن التاسع عشر، وبفضل تلاميذه الذين ينتمون إلى مختلف القبائل، تمكن من إقناع مختلف رؤساء القبائل بضرورة توحيد قوى الجهاد ضد الاستعمار، وتجاوز الخلافات التي كثيرا ما استغلها العدو لصالحه في البلاد، إلا أن قيادة مولاي إدريس لهذا الجيش سرعان ما عصفت بوحدته، لعدم معرفته بعقليات البيضان من جهة، ومن جهة أخرى فإن تصرفاته المهينة أحيانا عجلت بانسحاب العديد من قادة القبائل، دون أن ننسى الحمية القبلية التي تحكم القبائل وسعي كل فرد إلى دعم نفوذ قبيلته لقيادة الجيش.

## المبحث الثاني: مؤتمر السمارة الثاني (1325هـ/ 1907م)

### 1- قدوم الوفود إلى السمارة والسفر إلى مراکش

بعد احتلال وجدة إزدادت الضغوطات على السلطان مولاي عبد العزيز، حيث أرغمته السلطات الفرنسية على إيقاف دعم مقاومة الشيخ ماء العينين في الجنوب، وقد كتب غاستون دوفو بأن هذا الأمر جعل المنشقين بقيادة ولد عيدة يرسلون إلى الشيخ ماء العينين للتدخل لدى السلطان المغربي لتمويل دعم المقاومة في الجنوب<sup>1</sup>، غير أن الطالب أختيار نقلا عن مربيه ربه أورد بأن الشيخ ماء العينين هو من راسل شيوخ وأعيان للتباحث في مسالة تمويل السلطان لمقاومتهم بالمنطقة<sup>2</sup>، ومما لا شك فيه أن غاستون دوفو يحاول من خلال ادعائه تقزيم جهود الشيخ في قيادة المقاومة.

وعن قدوم الوفود إلى السمارة قال الشيخ مربيه ربه، إن الشيخ أرسل إلى الوفود في العاشر من ربيع الأول 1325هـ/1907م، وقد وصلت الوفود إلى السمارة رفقة الشيخ الطالب أختيار إين الشيخ ماء العينين، يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى 1325هـ، وقد استقبلهم الشيخ ماء العينين يوم الأحد بزأوته بالسمارة، وفي حديثه للوفود أخبرهم الشيخ ماء العينين بالوضع، وطلب من أعيان كل القبائل الحاضرة السفر معه إلى لقاء السلطان المغربي لطلب المدد منه<sup>3</sup>، على اعتباره أقرب سلطة سياسية قائمة، وعضواً سابقاً في حلف المقاومة، وأمر باقي أفراد القبائل بالعودة إلى أراضيهم للدفاع عليها.

وفي ذات السياق أرسل الشيخ ماء العينين كتابا، إلى مريده وشيخ زاويته في فاس أحمد بن الشمس الشنقيطي، يخبره من خلاله عزمه على السفر إلى فاس رفقة أعيان القبائل الشنقيطية، من البراكنة والترارزة وآل سيدي محمود، وأبناء يحي بن عثمان، وإدوعيش، وتندغة، وأديسات، وتجكانت، والسماميد، وأبناء ديمان، وكنته، ومشظوف، وإدوعلي، وإجيجب، ولتون، ومسموم وغيرهم...<sup>4</sup>، وبعد أن عد العدة انطلقت قافلة الوفود بقيادة الشيخ ماء العينين من السمارة

<sup>1</sup> غاستون دو فو: مصدر سابق، ص 99.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص 195.

<sup>3</sup> نفسه: ص 195.

<sup>4</sup> نفسه: ص 197.

قاصدين فاس، يوم الخميس الثاني والعشرين جمادى الأولى 1325هـ الموافق للثالث جوان 1907م، وحسب ما أورده ابن العتيق في سحر البيان أن الشيخ كان يقصد مولاي عبد العزيز السلطان المغربي في فاس، إلا أن الظروف التي كانت يشهدها المغرب الأقصى عقب إحتلال وجدة والدار البيضاء، جعلت مولاي عبد الحفيظ في مراكش ينصب نفسه ملكا على المغرب الأقصى، وقد إستغل هذا الأخير فرصة مجيء الشيخ ماء العينين إلى الشمال، لدعم مركزه في صراعه على العرش ضد غريمه مولاي عبد العزيز، لذلك أرسل مبعوثيه للشيخ ماء العينين والوفد المرافق له من أعيان القبائل البيطانية.

كان الشيخ ماء العينين في موضع يسمى "الشيظمة" فأتته رسل مولاي عبد الحفيظ، إلا أن علاقته بمولاي عبد العزيز جعلته يترث قليلا وتابع مسيرته نحو فاس، إلى أن بلغ بلدة "عبدة" أين وصلته رسلا من مولاي عبد العزيز<sup>1</sup>، يدعو من خلالها هذا الأخير الشيخ ماء العينين للقدوم إلى فاس، وإقناع مولاي عبد الحفيظ بالعدول عن قراره وله الأمان<sup>2</sup>، إلا أن الشيخ قرر تأييد مولاي عبد الحفيظ، بعدما علم من خلال رسائل هذا الأخير بالوضعية التي آل إليها البلاط، وقد كان هذا القرار من الشيخ ماء العينين انتصار مهما لمولاي عبد الحفيظ، حيث كان توجه الشيخ رفقة وفود القبائل المصاحبة له إلى مراكش، يعد اعترافا ضمينا بشرعية ملك عبد الحفيظ، إضافة إلى أن قرار الشيخ، جعل مختلف سكان تلك النواحي يعترفون بمولاي عبد الحفيظ سلطانا عليهم<sup>3</sup>، رغم أن الرائد جليليه أورد بأن المغاربة استأؤوا وسخروا من همجية الوفود التي قدمت من الجنوب، رفقة الشيخ ماء العينين للقاء السلطان المغربي<sup>4</sup>.

وعقب تولية مولاي عبد الحفيظ السلطة، بدأ يفكر في تفعيل التحالف الذي سيساهم بشكل كبير في حماية ظهر المغرب الأقصى من الإستعمار الفرنسي، الذي بدأ يتوسع شيئا فشيئا باتجاه الشمال، وفي هذا الصدد عقد مولاي عبد الحفيظ اجتماعا مصغرا مع الشيخ ماء العينين، أطلعته من خلاله هذا الأخير بالوضع في الصحراء الغربية وموريتانيا، والخطط التي ترسمها القبائل لمواجهة التوسع الفرنسي، وقد أعقب هذا الاجتماع المصغر اجتماع موسع ضم السلطان مولاي عبد

<sup>1</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص 87.

<sup>2</sup> المختار السوسي: المعسول، مصدر سابق، ج 4، ص 94.

<sup>3</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، ص 87.

<sup>4</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 172.

الحفيظ، إلى جانب الشيخ ماء العينين وأعيان القبائل الصحراوية<sup>1</sup>، وقد أراد الشيخ ماء العينين من هذا اللقاء، أن يضع السلطان في صورة ما يحدث في الصحراء من خلال أعيانها مباشرة، بدل الحديث بالوساطة عنهم، وبذلك يكون مولاي عبد الحفيظ على يقين تام بضرورة البقاء في التحالف، ولو بصورة غير مباشرة لضمان حماية الثغور الجنوبية من مملكته، لأن دخول الإستعمار الفرنسي للصحراء الغربية يجعل المغرب الأقصى حتما في متناوله، لذلك وبعد هذا اللقاء الموسع، قام مولاي عبد الحفيظ بتزويد الوفود بما تيسر له من العتاد والأسلحة قبل عودتهم إلى السمارة<sup>2</sup>.

يستشف من هذا أن الشيخ ماء العينين أراد من خلال هذا اللقاء، أن يبعث روح الثقة بين القبائل الصحراوية والمخزن المغربي، بعدما أثرت فيها تصرفات مولاي إدريس المبعوث السلطاني سنة (1324هـ / 1906م)، ومن باب آخر يكون أعيان القبائل على اطلاع مباشر، بكمية المعدات والأسلحة التي مُنحت لهم من قبل السلطان، وهذا الأمر سيجنب الشيخ من التهم التي نسبت إليه من قبل بعدم توزيع الأسلحة والمعدات بعدل بين القبائل.

وقبل عودة الشيخ ماء العينين إلى السمارة، راسلته قبائل الشاوية القاطنة على القرب من الدار البيضاء التي كانت في هذه الفترة تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، وقد كان سبب اتصال قبائل الشاوية بالشيخ لإقناع سلطان الجهاد مولاي عبد الحفيظ، بقيادة عملية المقاومة التي أشعلت فتيلها قبائل الشاوية عقب احتلال الدار البيضاء شهر أوت 1907م / 1325هـ، وقد حاولت قبائل أخرى على غرار تادلة وزمور وزعير...، حاولوا إقناع الشيخ ماء العينين تزعم المقاومة رفقة مولاي عبد الحفيظ، إلا أن الظروف لم تسمح لمولاي عبد الحفيظ للقيام بذلك على اعتباره نُصب جديداً، أما الشيخ ماء العينين كان رفقة أعيان الوفود، وقيادته للمقاومة بالجنوب حال دون ذلك، وبناء على ما أورد الطالب أختيار فإن مولاي عبد الحفيظ لم يستطع الخروج لعدم ثقته في قبائل الشاوية، التي كانت قبل هذه الفترة مناصرة لمولاي عبد العزيز، لكن ذلك لم يمنعه من تقديم بعض الأسلحة للمقاومين في الشاوية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، ص 87.

<sup>2</sup> نفسه: ص 87.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج 2، ص 201.

## 2- عودة الشيخ ماء العينين إلى السمارة وبعث حركة المقاومة

في الثالث والعشرين من ديسمبر 1907م / 1325هـ، حل الشيخ ماء العينين بزوايته بالسمارة، بعد رحلة دامت قرابة الستة أشهر، مكث منها الشيخ رفقة الوفد شهرين في ضيافة السلطان مولاي عبد الحفيظ، وقد ظفر الشيخ رفقة الوفد بعدد معتبر من الأسلحة، قدرتها بعض المصادر البيضاوية بحوالي 700 بندقية من مختلف أنواع الأسلحة الحديثة (بوذن، بوقبر، لسرح...)<sup>1</sup>، أما المصادر الفرنسية فقد قدرت أعدادها بحوالي 600 بندقية على الأكثر، كما أشارت وثيقة أخرى إلى أن أعيان الوفد الذين قدموا مراكش، لم يحظو بذلك الدعم الذي كانوا يطمحون إليه<sup>2</sup>، ورغم ما أوردته هذه المصادر حول هذه الزيارة، إلا أن القوات الفرنسية في موريتانيا كانت ترى أن تسليح القبائل بالبنادق السريعة، سيؤثر على عملية الهدوء التي شهدتها الساحة الجهادية بعد حصار تحكجة<sup>3</sup>.

قبل عود الوفد من مراكش عملت القوات الفرنسية على تعزيز مراكزها في الصحراء، حيث تم تعزيز القوات النظامية في موريتانيا إلى ثلاث سرايا وفصيل خيلة إضافة إلى قطعة هاون "80 جبلي"، ونصف سرية من الرماة وفصيلتين من الرشاشات، وفي أواخر ديسمبر 1907م تم إنشاء كتيبة موريتانيا بدمج سريتي تكانت، كما أُضيفت لها خمس سرايا وفصيلة مدفعية سنة (1326هـ / 1908م)، وألحقت بفصيلة الترارزة ثلاث فصائل من الجمالة<sup>4</sup>.

وفي نفس الإطار عملت الحكومة العامة في ديسمبر 1907م على إنشاء مركزين جديدين، خلفا لمركز سهوة الماء وآميت، ويتعلق الأمر بمركز "المذرذرة" الواقعة في الناحية الغربية من الترارزة، ومركز "أكجوجت" بإينشيري الواقعة على بعد 160 كلم جنوب أطار، وقد تم اختيار الموقع بناء على مجموعة من المؤهلات حاولت القوات الفرنسية استغلالها، على غرار وفرة المياه لاحتواء الموقع على ثلاثة آبار لا تنضب<sup>5</sup>، إلى جانب وقوعه في منطقة تعد طريقا للقوافل، وبالتالي

<sup>1</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص 202.

<sup>2</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 100.

<sup>3</sup> جيليه: مصدر سابق، ص 182.

<sup>4</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 101.

<sup>5</sup> جيليه: مصدر سابق، ص 175.

يمكن للقوات من المركز مراقبة حركة القبائل والقوافل بين أدرار والترارزة. كما يمكن للمركز أن يكون مركز إمداد وقاعدة خلفية لتنظيم العمليات نحو الشمال<sup>1</sup>.

ومن جهتها عملت إسبانيا على استغلال فترة توقف المقاومة سنة 1907م، حيث قام الكولونيل بنس "Benz" بعدة حملات استطلاعية لمنطقة "العركوب" داخل الأقاليم الصحراوية، وذلك لربط علاقات تجارية مع قبائل المنطقة، إلا أن فشل مهمته جعلته يطالب الحكومة الإسبانية بإنشاء فرق عسكرية لتسهيل عملية إحتلال المنطقة، وقد حاولت حكومة مدريد منع تصدير الأسلحة إلى الصحراء عبر جزر الكناريس، طبقا لمرسوم 11 صفر 1325هـ / 25 مارس 1907م، القاضي بمنع سكان جزر الكناريس من تصدير السلاح لقبائل الصحراء، وبالتنسيق مع فرنسا عملت على إرسال بعض سفنها الحربية إلى السواحل الصحراوية لمنع وصول الأسلحة للشيخ ماء العينين<sup>2</sup>.

بعد عودة الشيخ رفقة أعيان الوفود إلى زاويته بالسمارة، عقد اجتماعا مصغرا ضم أعيان الوفود الذين رافقوه إلى مراکش، كما ضم الإجتماع بعض تلاميذه، وقد تقرر فيه ما يلي:

- تعيين الشيخ حسنا على رأس قيادة جيش السمارة.
- مواصلة حركة الجهاد ضد التوسع الفرنسي في الصحراء، مع تنويع مصادر التزويد بالأسلحة، وفي هذا الصدد أرسل الشيخ ماء العينين رسالة إلى ابنه الشيخ محمد الأعظف بتاريخ 23 ذو الحجة 1325هـ / 26 يناير 1908م، يطالب من خلالها الشيخ ابنه الأعظف بتخصيص عشر ماله وأملاكه لتجهيز الجيش بالمؤنة، وذلك حرصا منه على صيرورة المقاومة<sup>3</sup>، ويبدو أن تعيين الشيخ حسنا على رأس الجيش كان بسبب الإجماع الذي يحظى به هذا الأخير بين القبائل الصحراوية، فقد سبق له وأن أقنع العديد من القبائل للسفر عند والده في القدوم الأول للوفود إلى السمارة، كما أن الشيخ ماء العينين بتعين الشيخ حسنا يكون قد جنب جيش الوفود الفرقة التي سبق وأن عصفت بوحدته فترة قيادة مولاي إدريس العلوي.

<sup>1</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 102.

<sup>2</sup> الشيخ ماء العينين فكر و جهاد: تق اليزيد الراضي، النجاح الجديدة، المغرب، 2001، ص 82.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج 2، ص 210.

### 3- أهم المعارك

في مطلع فبراير 1908م/ 1326هـ، بدأت الوفود تتحرك من السمارة باتجاه "أنشيري"، أين كان في انتظارهم الشيخ حسنا، وقد كانت خطط هذا الأخير تقوم على تقسيم الجيش إلى ثلاث قواعد تكون بمثابة نقاط انطلاق المقاومة، حيث يتعلق الأمر بمركز "قصير الطرشان" و"زوق" و"شار"<sup>1</sup>، وقد كان يهدف من ذلك تجنب الصراعات بين القبائل البيطانية، وحتى لا تكون أهداف سهلة للمفارز الفرنسية، وبعد وصول الوفود إلى "أنشيري" عقد الشيخ حسنا اجتماعا ضم مختلف قيادات القبائل، وقد تقرر في هذا الاجتماع تقسيم الجيش إلى خمس ألوية بخمس قيادات، على أن يكون الجميع تحت قيادته.

#### 1) معركة "أعكيت الرفكة"

بعدما أسست القوات الفرنسية مركز اكجوجت أوكلت قيادته إلى النقيب ريبو (Repoux)، هذا الأخير حاول تأمين حدود المركز عبر شن مجموعة من الهجمات على القبائل المناوئة، حيث هاجم في التاسع والعاشر فبراير "أهل الحاج" و"أهل أعمر أدبيجة"، عند موضع "اللبه" و"البيرات" قرب آدرار، وقد تمكن من الاستيلاء على عدد كبير من أغنام وجمال القبيلة بعد أن قتلوا رجلين من "أهل أعمر أدبيجة"<sup>2</sup>.

بعد عودة ريبو إلى المركز علم أن ولد عيدة يستعد للهجوم على اكجوجت، فقرر في الثاني عشر سبتمبر معاينة إدیشلي بتهمة التخابر لصالح ولد عيدة، وقد كانت المفزة تتكون من الملازم شميت (Chmet) والعريفين أرنو (Arno) وكفاجولي (Gaflojoli) إلى جانب 28 من الرماة 12 من الجمالة البيطان ودليل<sup>3</sup>، وفي طريقهم إلى "يغرف" أين يقيم إدیشلي، اصطدمت المفرز بعدد من منشقي الترازرة في موضع "بئر تابرنكوت"، واستطاع ريبو أن يظفر بأربعة جمال بعد صراع بين الطرفين، وقد وصلت المفزة إلى "كلات سيت" صباح يوم السادس عشر مارس 1908م/ 1325هـ، حيث انقسمت المفزة إلى قسمين الأول بقيادة ريبو، والثاني بقيادة شميت، هذا الأخير اتجه شمالا باتجاه "جول" بعدما علم أن هناك معسكراً من إدیشلي، إلا أنه سرعان ما

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص ص 210\_212.

<sup>2</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 108.

<sup>3</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 184.

عاد إلى أعكيت الرفكة بعدما جاءته أخبار باقتراب ولد عيدة إلى اكجوجت، ومع وصول النقيب شميت إلى أعكيلة الرفكة، فاجأته قوات البيضان المتكونة من حوالي 200 مقاتل من التراززة وإدوعيش وأدرار، إلى جانب سريتين من جيش السمارة، الأولى بقيادة عبد الله بن باريك وتتكون من 60 مقاتلاً، والثانية بقيادة محمد بن السيد الدلبي بتعداد قوامه 50 مقاتلاً، وقد استمر القتال من الثانية بعد الزوال، إلى ما بعد صلاة العصر، وكان من نتائجها ما يلي:

- وفاة قائد المفزة الفرنسية النقيب ريبو إلى جانب قناصين، وجرح الملازم شميت وعدد آخر من جنود المفزة<sup>1</sup>، أما من جانب المجاهدين فقد استشهد حوالي 10 شهداء إلى جانب أكثر من 30 جريح حسب رواية الطالب أختيار<sup>2</sup>، و12 شهيدا حسب ما أور جيليه، وقد استولى أفراد المفزة على 10 بنادق و80 ثور، وعدد من النعاج والحمير و30 جملاً حملوها إلى مركز اكجوجت بعد يومين من المعركة<sup>3</sup>.

من خلال ما سبق نستنتج أن الانتكاسة الفرنسية في هذه المعركة كانت بسبب مفاجأة الجيش البيطاني، الذي نجح في إفشال جهود المفزة الفرنسية في تطويق قبائل إديشلي، فرغم خسارة القبائل لـ10 مجاهدين في المعركة، إلا أن خسائر المفزة كانت أثقل بفقدان قائدها ريبو، كما أن البنية التضاريسية للمنطقة المحيطة باكجوجت، ساهمت بشكل كبير في عملية التجسس على المركز الفرنسي بأنشيري، وبالتالي كان هذا الأمر نقطة قوة للمجاهدين، حتى أن الرائد جيليه شهد بذلك<sup>4</sup>.

## (2) معركة آبار دامان

في السابع من أبريل 1908م / 1326هـ، فاجأت مجموعة من رجال الشيخ حسنا قافلة فرنسية كانت متجهة من مركز اكجوجت إلى السنغال، وقد كانت القافلة مكونة من ضابطي صف و20 قناصا بقيادة المساعد "جرير" (Gerber)، أما عدد المجاهدين فكان 28 رجلاً بقيادة المقدم الشيخ سيدي محمد بن حامي، وبعد أن توقفت القافلة عند آبار دامان للراحة والتزود

<sup>1</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص109.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص212.

<sup>3</sup> جيليه: مصدر سابق، ص188.

<sup>4</sup> نفسه: ص188.



بالمياه، هاجم المجاهدون أعضاء القافلة<sup>1</sup> وتمكنوا من قتل 03 رقيب أوربي، مع عدد من القناصة بقيادة "ماوريس" (Mauris)، أما من جانب البيضان فقد سقط مجاهدٌ واحد وأصيب ثلاث حسب إرسال تيليغرافي لوزارة المستعمرات<sup>2</sup>، أما الطالب أخيار فقد أورد نقلا عن الشيخ محمد بن حامني قائد المعركة، أن القافلة الفرنسية لم يسلم منها إلا رجلان تمكنا من الفرار، فيما استشهد أربعة مجاهدون من جيش السمارة، وقد تمكنوا من الإستيلاء على كل أملاك القافلة<sup>3</sup>.

### 3) معركة إكينت التيكويت

بعد الانتصار الذي حققه جيش السمارة في معركتي أعكيلة الرفكة وآبار دامان، حاولت مفرزة أخرى من المجاهدين ضرب حصار على مركز اكجوجت، وذلك عن طريق التحندق في الجبال المحيطة بالمركز، وكرد فعل على ذلك في الثاني من ماي 1908م/ 1326هـ، خرجت فصيلة عسكرية لطرد فصائل المجاهدين المتحذقين في الجبال المحيطة بالمركز، إلا أن الفصيلة الفرنسية سرعان ما انسحبت إلى داخل المركز متأثرة بضربات المجاهدين، وقد خلف الهجوم 04 قتلى و15 جريحا، إلى جانب الاستيلاء على كل جمال المركز<sup>4</sup>. وفي ظل هذا الوضع أوكلت الحكومة العامة قيادة مركز اكجوجت إلى النقيب "بابلون" (Babion)<sup>5</sup>، وقد تم تدعيم المركز بـ150 رجلا مع مختلف العتاد والذخيرة، إلى جانب إتمام أعمال الدفاع عن المركز<sup>6</sup>.

في الحادي والعشرين من ماي 1908م/ 1326هـ، خرجت المفرزة التي رافقت النقيب "بابلون" من اكجوجت متجهة إلى نواكل، وقد كان على رأس المفرزة الملازم "أوبير" (Aubert) رفقة الملازمين الأولين "سولير" (Solaire) و"كوتانس" (Cutance)، إلى جانب 05 ضباط صف و40 جمالا من البيضان من فصيلتي الخدمة المحلية، و18 سنغاليا<sup>7</sup>، وبعد وصول المفرزة إلى موضع "أخيترات تمادي"، علم الملازم "أوبير" قائد المفرزة من عبد الجليل ومحمد بن

<sup>1</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص214.

<sup>2</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour conséquence attaque Damane, Dakar, 20 Avril 1908.

<sup>3</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص213.

<sup>4</sup> جليليه: مصدر سابق، 189.

<sup>5</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص110.

<sup>6</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur la situation en Mauritanie, Dakar, 18 Mai 1908.

<sup>7</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص110.

أعلي بونا الفاغي، أن حوالي 80 من البيضان تتحرك باتجاه مفرزته، وكان الجيش البيظاني يتألف من 50 رجلا من جيش السمارة بقيادة مريد الشيخ ماء العينين عبد الله بن باريك الجكني، و30 رجلا من قبائل الصحراء<sup>1</sup>، وبعد بداية المواجهة بين الطرفين مالت الكفة لصالح مفرزة "أوبير" التي كانت قد استعدت للمعركة، وقد أدى استشهاد القائد عبد الله بن باريك، إلى انسحاب المجاهدين بعد أقل من ساعة حسب غاستون دوفو<sup>2</sup>، ومن نتائج المعركة ما يلي:

- إستشهاد قائد الجيش البيظاني عبد الله بن باريك، إلى جانب 15 من المجاهدين، كما استولى أفراد المفرزة على 10 بنادق سريعة وبعض الذخيرة وسجين، فيما خسرت المفرزة الفرنسية 03 رماة سنغاليين وورقيب<sup>3</sup>، وحسب رواية الطالب أخيار فقد خسرت القوات الفرنسية 10 قتلى من بينهم ضابط صف، كما سقط حوالي 20 من جمال المفرزة<sup>4</sup>.

رغم الخسائر التي خلفها الهجوم في صفوف البيضان، إلا أن ذلك لم يُثنِ من عزيمة جيش السمارة، حيث بدأت قوات الشيخ حسنا في ضرب الحصار على مركز اكجوجت، وقد نجح المجاهدون في منع قوافل التموين عن المركز، ففي الرابع من جوان 1908م/ 1326هـ، قامت كتيبة من المجاهدين بقيادة "أحمد ولد الديد" بالهجوم على قافلة إمداد من 12 رجلا بقيادة الماريشال "لوغيس" (Logis)، حيث كان الهجوم في موضع "العزلات" بين "الأك" و"بوغ"، وأسفر على مقتل سائقين وجرح آخرين<sup>5</sup>، وحسب ما أورد الطالب أخيار نقلا عن الشيخ محمد الأعظف، فإن الخسائر الفرنسية بلغت 13 قتيلاً، و20 بندقية، إضافة إلى إسقاط 20 بغلة<sup>6</sup>.

لقد أدى نقص المياه الصالحة للشرب ورداءة الغذاء لدى أفراد الحامية بمركز اكجوجت، إلى انتشار مرض "السكوربيت" و"البيري بيري"، ففي الخامس عشر جوان 1908م أصيب حوالي 125 رجلاً بالمرض من أصل 150 رجلا من جنود المركز<sup>7</sup>، فكان لزاما على قيادة موريتانيا القيام

<sup>1</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص217.

<sup>2</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص110.

<sup>3</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur la situation en Mauritanie, Dakar, 06 juin 1908.

<sup>4</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص218.

<sup>5</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour conséquence attaque Aslatt, Dakar, 09 juin 1908.

<sup>6</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص231.

<sup>7</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص111.

بعمل مستعجل لفك الحصار على المركز، لذلك تنقل النقيب "بيرجي" (Berger) من نواكشوط على رأس مفرزة من الملازمين: "سموند" (Simond) و"مغنيي" (Maugnier) و"أندري" (André) و"بولي" (Pollet)، إلى جانب أربعة ضباط صف و160 من الحرس والقناصة، و22 من القوم المناصرين، مزودين بحوالي 2500 لتر من المياه، وقد كان على أفراد المفرزة التوقف عند بئر "أنورماش" للراحة والتزود بالمياه، إلا أن 80 من قوات الشيخ حسنا هاجمت المفرزة قبيل وصولها إلى البئر، وقد خلف الهجوم المفاجئ 06 شهداء و06 بنادق سريعة إلى جانب عدد من الجرحى<sup>1</sup>، أما من الجانب الفرنسي فقد سقط حسب الطالب أختيار حوالي 24 جنديا، واستولى المجاهدون على 40 جملا و07 بنادق<sup>2</sup>.

#### 4) معركة المينان

في أبريل 1908م/ 1326هـ أنشأ النقيب "مانجان"<sup>3</sup> (ManGan) كتيبة الجمالة في تكانت، حيث تشكلت الكتيبة من رشاشين(02) و30 بيضانيا، و114 من الرماة السنغاليين، وحسب ما أورد غاستون دوفو فإن هذه الكتيبة في حالة بقائها متحدة، ستكون القوة الضاربة للتلاميذ في المنطقة<sup>4</sup>، وبناء على تقرير العقيد "غورو" (Gouraud) لوزير المستعمرات، فإن النقيب مانجان كان ينوي مسح المنطقة الواقعة شمال تجكجة، لاكتشاف نقاط السقي الواقعة بين تكانت وأدرار<sup>5</sup>، غير أن هذه المنطقة كانت منتجعا لقبائل أولاد الساسي وهم بطن من إديشلي، وقد كان قدوم الكتيبة سببا في انتقالهم إلى الشمال شهر جمادى الأولى 1326هـ/ ماي 1908م، وحسب غاستون دوفو فإن أفراد الكتيبة كانوا على علم من مراقبتهم من أولاد الساسي، وقد تيقنوا من الأمر بعدما وصلت النقيب "مانجان" رسالة تحذٍ وتهديد من التلاميذ، غير

<sup>1</sup> جليليه: مصدر سابق، ص191.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص227.

<sup>3</sup> مانجان: ضابط برتبة نقيب في الجيش الفرنسي، تقلد عدة مهام في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا، حيث شارك في الحرب ضد الساموري في السودان أواخر القرن التاسع عشر، كما شارك في حرب تشاد والكونغو سنة 1903م، وفي سنة 1908م كلف بتشكيل فرقة الجمالة بموريتانيا، وقد لقبه البيضان بـ"أبو ضرس" توفي في معركة المينان 14 جوان 1908م. ينظر:

جيليه: مصدر سابق، ص193.

<sup>4</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص117.

<sup>5</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour la bataille de El-Moinan, Dakar, 24 juin 1908. 1908.

أن غطرسة "أبو ضرس" قائد الكتيبة، جعلته يرسل الملازم "كوسبي" (Couspy) على رأس فصيلة من رقيب و30 من الرماة و04 جمالة، إلى نواحي "أعيون لبقر" للاستطلاع، بينما توجه قائد الكتيبة رفقة باقي الفصيل نواحي تالمست<sup>1</sup>.

في التاسع جوان 1908م/1326هـ، اتجه مانجان رفقة الرقيب "ميغنين" (Megnin) و28رام ورشاشاً واثنين من الجمالة وثلاثة رعاة وخداماً نواحي المينان، لحفر آبار جديدة بعدما أفسد التلاميذ معظم آبار المنطقة، وقد ترك جزءاً من حاميته في تالمست حوالي 30 كلم من مقره<sup>2</sup>.

وفي مطلع جوان 1908 كانت كتيبة من المجاهدين قد غادرت شمال أدرار، وقد عهد الشيخ ماء العينين قيادة هذه الكتيبة إلى مريده الشيخ سيدي محمد بن حامني الغلاوي، وقبل وصول الكتيبة إلى المينان، مرت بموضع "الشعرانية" وآبار "المالحة" وتوقفت عند "أدندون العلووشية" للتزود بالماء من آبار المنطقة<sup>3</sup>، وبعد خروج دورية من المجاهدين تقصد البئر المجاورة علمت من رجل يدعى سويلك بن وكال الإيديشلي، أن فصيلة من الجيش الفرنسي تقصد البئر المحيطة بـ "أدندون العلووشية"، وعلى إثر ذلك أعد المجاهدون كميناً أوقعوا من خلاله فصيلة الجيش الفرنسي، حيث سقط 06 من أفرادها قتلى، وتم القبض على الدليل البيطاني المرافق للفصيلة، وبعد عودة الدورية إلى معسكر المجاهدين بـ "أدندون العلووشية" قرروا مباغته المفرزة الفرنسية قبل أن تتفطن لقوات البيضان<sup>4</sup>.

إنطلق المجاهدون من معسكرهم صباح يوم الثالث عشر جوان بتعداد 150 مجاهداً، وكانوا يراهنون على مفاجأة المعسكر الفرنسي المتفوق في العتاد، ومع اقتراب وقت الزوال بدأ الهجوم على المعسكر، وقد كانت خطة جيش السمارة تقوم على إرباك العدو وتطويق عناصره، إلا أن الرقيب "مانجان" (ManGan) تفطن للهجوم حيث توجه مباشرة إلى المدفع الرشاش الذي صوبه تجاه المجاهدين، لكنه سرعان ما سقط قتيلاً تحت ضربات المجاهدين إلى جانب العديد من

<sup>1</sup> (غاستون دوفو: مصدر سابق، ص118).

<sup>2</sup> ANOM, V1-5, Dépeche Télégraphique, pour la bataille de El-Moinan, Dakar, 24 juin 1908.

<sup>3</sup> الطالب أحيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص222.

<sup>4</sup> نفسه: ص220.

أفراد الحامية<sup>1</sup>. وقد تحدث الشيخ محمد الأعظف بن الشيخ ماء العينين عن نتائج هذه المعركة في رسالة لوالده (الملحق 11) وكان من نتائجها ما يلي:

- سقوط النقيب "مانجان" و 67 من أفراد حاميته، إلى جانب العديد من الجرحى، أما من جانب البيضان فقد استشهد 25 مجاهداً وعدد من الجرحى، وقد استولى المجاهدون على 80 مدفعا رشاشا، وخمسة (500) من الإبل، إلى جانب خيمة وخمسة قباب.

وفي تالمست كان الطبيب البيطري "آميت" (Amiet) يستعد للخروج إلى المينان، إلا أنه توقف بعدما سمع الرماة المناوبون صوت دوي إطلاق النيران بالقرب منهم، وقد تفتن الطبيب إلى آثار أقدام بيظانية كانت تراقب الكتيبة عن كثب، مما جعله يتراجع عن الخروج للمينان والتمركز في هضبة قريبة من تالمست استعدادا لأي هجوم محتمل من البيضان، إلا أن 200 من المجاهدين فاجأوا قوات "آميت" المكونة من رقبين أوريين و 45 قناصا، يوم الرابع عشر جوان 1908م/ 1326هـ، في الوقت الذي كانوا منشغلين بتزليل الحمولة، ورغم التسيير الجيد للمعركة من قبل الرقبين "لاروك" (Laroc) و"يفرار" (Evrar) إلى جانب مشاركة النساء المرافقات للكتيبة في القتال<sup>2</sup>، إلا أن هزيمة المينان كادت تتكرر، لولا وصول دورية الرقيب "الو" الذي نجح في قلب الموازين لصالح الكتيبة الفرنسية، وقد إنتهت المعركة بالنتائج التالية:

- سقوط 10 رماة وجمالا إلى جانب امرأة، وقد جرح 09 رماة اثنين من الجمالة وامرأتان<sup>3</sup>، وقد خسرت الكتيبة 197 جملا ما بين قتيل، وأخرى استولى عليها المجاهدون، أما البيضان فقد سقط منهم 30 شهيداً، وعدد من الجرحى إلى جانب خسارة خمس بنادق<sup>4</sup>.

وقد نجح الملازم "كوسي" في العودة إلى مركز الكجوجت بكامل مفرزته دون حوادث<sup>5</sup>، فيما قرر البيطري "آميت" العودة إلى قلعة كوبولاني، التي وصلها في 19 جمادى الأولى

<sup>1</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 112.

<sup>2</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour conséquence attaque El-Moinan, Dakar, 22 juin 1908.

<sup>3</sup> جيليه: مصدر سابق، ص 200.

<sup>4</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 120.

<sup>5</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour la bataille de El-Moinan, Dakar, 24 juin 1908.

1326هـ / 18 جوان 1908م، وقد لحقه الملازم "كوسبي" في اليوم الموالي، إلى جانب مفرزة بقيادة "بونته" (Bontemps) ليلقي تحية الشرف على قتلى معركة تالمست<sup>1</sup>.

وفي أم العويتكات قامت فصيلة من مجاهدي السمارة بقيادة "اجاه بن المعيوف"، بالاشتباك مع وحدة من الجمالة الفرنسية، وبعد ساعة من المعركة تمكن القائد "اجاه بن المعيوف" من الوصول إلى مركز قيادة الوحدة، إلا أنه سقط قتيلًا أمام ضربات أفراد الجمالة، الذين سقط منهم إثنان بالإضافة إلى إصابة قائدهم بجروح<sup>2</sup>.

وبناء على التطورات التي شهدتها الساحة الجهادية في موريتانيا قرر القائد العام الأعلى لقوات غرب إفريقيا، بالتنسيق مع العقيد غورو اتخاذ مجموعة من الإجراءات لضمان أمن موريتانيا، وذلك بدمج 200 قناص سابق في الكتيبة الموريتانية، إضافة إلى تعزيز الحرس الأصلي المكون من 50 قناصًا قديمًا، علاوة على فصيلة سباهية من 100 رجل قد غادرت "سان لوي" (Louis-Saint)، ووضعت تحت تصرف نصف الشركة الموريتانية<sup>3</sup>، لتحل محل الجمالة في تكانت، إضافة إلى توفير جميع المناصب اللازمة للعقيد غورو لاستكمال نقل الحيوانات والإبل من اكجوجت<sup>4</sup>.

#### 5) إخلاء مركز اكجوجت

في ظل الظروف الصعبة التي كان تعيشها الحامية في اكجوجت، واستحالة نقل المؤونة إلى المركز بعد أن قطع المجاهدون طرق الإمداد إليه، أصدرت القيادة العامة لقوات غرب إفريقيا أمرًا بإخلاء المركز وإجلاء الجنود والعتاد إلى أنشيري في الجنوب<sup>5</sup>، تم اختيار الرائد "أفيريجان" لقيادة السرية المكلفة بإخلاء المركز، وكانت السرية مكونة من 190 رجلاً، ولديها حوالي 300 جمل لحمل الأسلحة والعتاد، حيث غادرت السرية سان لوي في السابع عشر من أوت 1908م/ 1326هـ باتجاه نواكشوط، ومنها إلى اكجوجت مركز إقامة الحامية الفرنسية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> جليليه: مصدر سابق، ص 199.

<sup>2</sup> الطالب أحيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج 2، ص 227.

<sup>3</sup> تم إنشاء هذه الشركة بغرض تأمين تكانت والإقليم المجاورة لها.

<sup>4</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour la bataille de El-Moinan, Dakar, 24 juin 1908.

<sup>5</sup> Vuillemin G: Un pionnier de Mauritanie, le Commandant Frèrejean, In: Revue d'histoire des colonies, tome 36, n°125, premier trimestre 1949, p16.

<sup>6</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur le centre Akjoucht, Dakar, 17 Aout 1908.

في العاشر من سبتمبر وصل الرائد "أفريرجان" إلى اكجوجت، وقد كان معظم أفراد الحامية بالمركز مصابين بمرض "السكوريبت" نتيجة تلوث المياه ونقص المؤونة كما سبق وأشرنا، كما أن أفراد الشرطة بالمركز كانوا يرغبون بمغادرة المركز بأسرع وقت ممكن، بعد أن راجت أخبار مفادها أن هجوما من البيضان على وشك أن يحدث، ورغم العدد الكبير من الجمال الذي كان بحوزة السرية لنقل المعدات، إلا أن "أفريرجان" اضطر قصرا لخرق وتدمير جميع المعدات التي لم يتمكن من نقلها، قبل العودة إلى أنشيري في "برجيمات"<sup>1</sup>. وحول إخلاء مركز اكجوجت حاولت الكتابات الفرنسية أن تعزوه إلى الحالة الصحية لأفراد الحامية على حد قول الرائد جيلبيه<sup>2</sup>، غير أن مواطنه أفريرجان الذي وقف على حجم معاناة أفراد الحامية، اعترف بمدى خطورة إخلاء مركز اكجوجت، والذي اعتبره إنذارا بإخلاء موريتانيا في وقت قصير<sup>3</sup>. وقد لجأت القيادة العليا لإفريقيا الغربية لهذا القرار في ضوء الحاجة إلى توفير القوات الموريتانية المتاحة في تكانت للمشاركة في العمليات المستقبلية<sup>4</sup>، وهذا بعد الحالة المزرية التي وصل إليها أفراد الحامية المقيمين بالمركز، وسط استحالة تزويد المركز بالمؤونة والأسلحة، في ظل الحصار الذي ضربه المجاهدين على المركز، والذي تم عزله بشكل تام على المشاركة في العمليات العسكرية في الترازرة.

## 6) معركة "الرشيد"

كان الشيخ محمد المختار بن الحامد شيخ كنته، ضمن قادة الوفود الذين رافقوا الشيخ ماء العينين إلى مراکش، وبعد عودته من السمارة اختار موضع "الرشيد" موطناً لإقامته رفقة ما يقارب 150 رجلاً من كنته المنشقين، وأولاد التناكي، وبعضاً من إديشلي وأهل أحجوري، ومن موضعه هذا نظم حركة المقاومة ضد الفرنسيين وأعوانهم في المنطقة<sup>5</sup>، ولأن قصر الرشيد أصبح ملجأً للناهبين في المنطقة، قررت القوات الفرنسية في تكانت تدمير الموقع، والقضاء على الشيخ

<sup>1</sup>) Vuillemin G: op. cit, p16.

<sup>2</sup>) جيلبيه: مصدر سابق، ص192.

<sup>3</sup>) Vuillemin G: op. cit, p16.

<sup>4</sup>) ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur l'évacuation d'Akjoucht, Dakar, 25 Aout 1908.

<sup>5</sup>) غاستون دوفو: مصدر سابق، ص120.

المسن محمد المختار الذي كان قد خان الفرنسيين في النيملان، غير أن القوات الفرنسية في تحكجة لم تكن تكفي لشن هجوم على حصن "الرشيد"<sup>1</sup>.

ما بين العشر والرابع عشر من أوت 1908م / 1326هـ، وصلت إلى تحكجة سرية بقيادة النقيب "مالافوس" (Malafosse) والملازم أول "ترانشانت" (Tranchant)، و85 رجلا من سرية المجرية بقيادة لنقيب "كامي" (Camy) والملازمان أولان "ماركني" (Marquenet) و"سيشي" (Sechet)، بالإضافة إلى فصيلة مدفعية بقيادة الملازم أول "روبيرت" (Robert)، وفصيل فرسان أكيرت تحت امرة الملازم أول "دي لابرير" (De La Brière)<sup>2</sup>.

في العاشر من أوت قام 40 رجلا من البيضان، بتنظيم هجوماً ليلي على بستان نخيل قلعة كوبولاني، وغنموا 50 بقرة و29 جملاً، إضافة إلى حوالي 250 نعجة<sup>3</sup>، في الصباح قام النقيب "بوتان" (Baudens) والملازم "ماركني" (Marquenet) إضافة إلى كتيبة من السباهية و20 قناصاً بمطاردة البيضان، وبعد مدة من السير أدركت الكتيبة المنشقين الفارين، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة سقط خلالها خمس شهداء في عين المكان وجرح خمس آخرين، وتمكنوا من استعادة جميع الحيوانات المنهوبة، كما جرح ضابط وضابط صف أوروبي في المواجهة<sup>4</sup>.

وفور عودة المفزة إلى تحكجة، تهيأ الرائد "شامبر" (Chambert) قائد كتيبة موريتانيا للخروج إلى "الرشيد"، على رأس رتل عسكري ضم المفارز التي كانت قد وصلت بين العاشر والرابع عشر أوت، بالإضافة إلى خمس وثمانين من رماة السرية الأولى برئاسة النقيب "بوتان" والملازم أول "دوفور"، ومع مطلع صباح يوم السادس عشر أوت، بدأت قوات "شامبر" في القصف بسلاح المدفعية سور المبنى الذي تماوى سريعا تحت ضربات العدو، وبعد خمس ساعات من القتال بين الطرفين، تمكن محمد المختار من الفرار من قبضة العدو الذي تفوق في هذه المعركة<sup>5</sup>، والتي سقط فيها من الجانب الفرنسي أحد الرماة وجرح 06 آخرين، كما جرح ضابطا

<sup>1</sup> جليليه: مصدر سابق، ص200.

<sup>2</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص121.

<sup>3</sup> جليليه: مصدر سابق، ص201.

<sup>4</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur les batailles de la région de Tidjikdja, Dakar, 19 Aout 1908.

<sup>5</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص122.



ضابطا صف أوروبيان<sup>1</sup>، أما من جانب البيضان فقد استشهد 06 رجال وجرح آخريين بجروح طفيفة<sup>2</sup>.

## 7) مواجهات "لنفتار"

بعد القضاء على كتيبة الجمالة في تكانت وإخلاء مركز اكجوجت في التراززة يكون المجاهدون قد حققوا انتصارا كبيرا على القوات الفرنسية في موريتانيا، وذلك ما شجعهم على تكثيف الهجمات على المفارز الفرنسية والمخيمات الخاضعة لهم، ففي منتصف رمضان 1326هـ، الخامس عشر من أكتوبر 1908م، قام حوالي 100 من رجال الشيخ حسنا بقيادة الشيخ محمد بن حامي، بالهجوم على قافلة فرنسية كانت عائدة من مركز المجرية، وكانت القافلة تحتوي على 550 ثور ومؤنا غذائية للرتل، يجرسها القائد الرقيب "الارد" (Allard) إلى جانب 10 أعوان، و40 رجلا من السرية المحمولة<sup>3</sup>.

بعد حوالي أربع ساعات من القتال انسحب المجاهدين من المعركة، مخلفين وراءهم 09 بنادق سريعة، و05 قتلى أوروبيين من بينهم الرقيب "الارد" قائد المفرزة، و04 من القناصة، كما جرح 04 آخرون، وقد استشهد من الجانب البيضاني، 13 رجلا من بينهم "أحمد بن عبد العزيز بن حامي" شقيق قائد كتيبة المجاهدين<sup>4</sup>، كما غنموا من المعركة كل الثيران تقريبا حسب الرواية الفرنسية<sup>5</sup>.

وفي السادس عشر أكتوبر 1908م/ 1326هـ، خرجت مفرزة ضمت جمالة الملازم "دي سولير" (De Solère) والمساعد "بيرار" (Bérard) والماريشال الجزائري "جيلالي" (Djilali)، إلى جانب 28 من سائقي الجمال السنغاليين و12 جمالا بيضانيا، وقد كانت المفرزة

<sup>1</sup> جيلبييه: مصدر سابق، ص202.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا، مرجع سابق، ج2، ص232.

<sup>3</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص123.

<sup>4</sup> ANOM, V1-5, Dépeche Télégraphique, pour conséquence attaque Litaftar, Dakar, 19 Octobr 1908.

<sup>5</sup> أورد الطالب أختيار في هذه المسألة نقلا عن قائد المعركة الشيخ سيدي محمد بن حامي، أن البيضان غنموا من القافلة حوالي 300 ثور، وهو عدد ضئيل مقارنة مع رواية غاستون دوفو والرائد جيلبييه، الذين أوردوا بأن البيضان أخذوا معهم كل الثيران. ينظر: الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مصدر سابق، ج2، ص235. غاستون دوفو: مصدر سابق، ص123. جيلبييه: مصدر سابق، ص202.

في مهمة مطاردة غارة قد أُبلغ عنها بين "بودور" و"بوتلميت"، غير أن أفراد المفرزة ضلوا طريقهم وسط الصحراء، وبعد نفاد الماء الصالح للشرب ماتوا عطشا، ولم يسلم منهم سوى الملازم "سولير" والماريشال "جيلالي"، وثلاثة قناصة وأربعة من البيضان وخمسة جمالة قد وصلوا "الأك" في العشرين من أكتوبر 1980م<sup>1</sup>.

وفي 26 نوفمبر قامت جماعة من التلاميذ بقيادة أحمد بن الشيخ، بالهجوم على فرقة من مراقبين إثنين (02) و12 عاملا، كانوا يعملون على خط التلغراف نواحي لتفتار، وقد خلف الهجوم 07 قتلى من الجانب الفرنسي وجرح المراقبين، كما استولى المجاهدون على 09 بنادق خفيفة<sup>2</sup>.

#### 8) مواجهات "لكويشيش" و"تنشيه" و"كيفة"

في أواخر نوفمبر 1908م/ 1326هـ، قامت جماعة يرأسها "ولد الديد" بالإغارة على ممتلكات فرنسية في "تندغة"، وقد خرج في ملاحقتهم الملازم "ربول" (Roboul) على رأس فرقة من فرسانه، وعقب توغله في الشمال نواحي أفطوط، أدرك جماعة ولد الديد عند آبار "لكويشيش"<sup>3</sup>، وحسب تقرير العقيد غورو للقيادة العامة، فإن مفرزة البيضان كان يبلغ عددها 130 رجلا، وبعد معركة عنيفة انسحبت الفصيلة الفرنسية التي توفي قائدها "ربول" إلى جانب 10 فرسان ومساعد بيضاني<sup>4</sup>، أما من جانب المجاهدين فقد استشهد 04 أشخاص من بينهم "حميدة بن عبيد الله السكراني" مريد الشيخ ماء العينين<sup>5</sup>.

وفي صباح الفاتح ديسمبر 1908م/ 1326هـ، قام جماعة من التلاميذ سبق لهم وأن هجموا على حامية فرنسية في الجرية في السادس والعشرين من نوفمبر، بتنظيم هجوم آخر على مفرزة من الجيش الفرنسي في موضع "تنشيه" جنوبي تكانت، وقد خلف هذا الهجوم 09 شهداء من

<sup>1</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, sur les événements de Boutlimit, Dakar, 28 Octobr 1908.

<sup>2</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص123.

<sup>3</sup> جيليه: مصدر سابق، ص205.

<sup>4</sup> ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, sur la bataille de Tandigha, Dakar, 02 Décembre 1908.

<sup>5</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص238.

التلاميذ وجرح آخرين، فيما تكبدت المفزة خسائر متعددة، 20 قتيلا في عين المكان، وسقوط 50 من إبل المفزة وفرسين، إلى جانب مدفع وجملين استولى عليها التلاميذ<sup>1</sup>. وفي "كيفة" نواحي "الرقيبة" قامت مجموعة من التلاميذ بقيادة "أحمد بن البشير الغلاوي"، بالإغارة على وحدة من الجيش الفرنسي، وذلك يوم العشرين من ديسمبر 1908م/ شهر ذو القعدة 1326هـ، حيث شارك في هذا الهجوم إلى جانب التلاميذ، جماعة من الأغلال أهل "كيفة"، وقد خلف هذا الهجوم 25 قتيلا من الجانب الفرنسي، وغنم المجاهدون أسلحتهم، أما من جانب البيضان فقد استشهد 10 أشخاص من الأغلال<sup>2</sup>. في ختام هذا المبحث نستنتج أن سنة 1908م كانت من أصعب فترات الإستعمار للمنطقة، وذلك بالنظر للقيادة الرصينة للشيخ حسنا بن الشيخ ماء العينين الذي نجح في إعطاء المقاومة بعداً احترافياً، بحيث أصبحت تعتمد أكثر من قبل على حرب العصابات ومفاجأة العدو في نقاط ضعفه، مع اختيار الوقت والمكان المناسبين، فحسب إحصائيات فرنسية<sup>3</sup>، فإن الوحدات الفرنسية في المجال الصحراوي كان عليها مواجهة 135 غارة من مارس إلى نوفمبر 1908م، بمعدل 15 هجوماً في كل شهر، خسروا خلالها 03 ضباط، و05 ضباط صف، إضافة إلى 134 قنصاً و40 عوناً محلياً، فيما حرج 07 أوروبيين (من مختلف الرتب) إصابات بالغة، وقطعت خطوط التلغراف أزيد من 20 مرة، كما استولى المجاهدون في هذه الفترة على أعداد هائلة من إبل ومواشي الوحدات الفرنسية.

<sup>1</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص239.

<sup>2</sup> نفسه: ص243.

<sup>3</sup> ينظر: غاستون دوفو: مصدر سابق، ص123. جليليه: مصدر سابق، ص206.

## المبحث الثالث: إحتلال أدرار وباقي الأقاليم الصحراوية

### 1- بداية التحضيرات الفرنسية للزحف على أدرار

في ظل الخسائر الكبيرة التي تلقتها الوحدات الفرنسية سنة (1326هـ / 1908م)، بدأ العقيد غورو قائد العمليات في موريتانيا بالتحضير لحملة عسكرية كبيرة لإخضاع باقي الأقاليم الصحراوية، والتي استعصت على وحدات الجيش الفرنسي منذ وفاة الداوية "كوبولاني" سنة (1322هـ / 1905م)، وقد حصل العقيد غورو على مبالغ هائلة لتنفيذ مشروع الحملة التي خطط لها منذ سبتمبر 1908م / 1326هـ، وقد قدرت تكلفتها بـ: مليون وخمسمئة ألف (1.500.000) ف.ف، منها ثلاثمئة ألف (300.000) ف.ف، خصصت للحملة من ميزانية المستعمرة، وباقي المبلغ كدعم من الدولة الفرنسية للحملة<sup>1</sup>.

كانت خطة غورو تقوم على جمع وشراء العدد الكافي من الإبل لحمل المعدات والجنود، وفي نفس الوقت تحضير القوات المكلفة بالمهمة بهدوء تام، حتى لا تثير انتباه المنشقين الذين كانوا يرون في هدوء المفارز الفرنسية تمهيداً لإخلاء تكانت بعد الخسائر التي تكبدتها المفارز في الفترة الأخيرة، وقد تم تجميع هذه القوات في مركزين أساسيين: الأول في الجرية بتكانت والآخر بالترارزة<sup>2</sup>، وقد كان تعداد الحملة كما يلي:

أولاً: القيادة العامة للعقيد غورو.

- 1- بالنسبة لمجموعة الجرية "تكانت" بقيادة العقيد غورو، إضافة إلى الرائد "أكلوديل" (Caudel) قائد مساعد، ورئيساً لكتيبة موريتانيا.
- النقيب "جيرهارد" مساعد للعقيد وقائم بمهمة قائد أركانه.
- الملازم الأول "ليتانج" (Letang) مكلفاً بمصلحة الآبار والخراط.
- بلمقداد مترجم رئيس من الدرجة الأولى.
- إضافة إلى ثلاث ضباط صف وعريفان<sup>3</sup>.
- كتيبة موريتانيا تتكون من: أربعة سرايا تضم 550 قناصاً بقيادة الرائد "أكلوديل"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص242.

<sup>2</sup> جليليه: مصدر سابق، ص211.

<sup>3</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص125.

- مفرزة الجمالة بقيادة النقيب "بلوميه" (Plomion) وتضم 114 قنصاً و270 جملاً برواحلها.
  - كتيبة فرسان من 31 حصاناً، بقيادة الملازم "دي لابرير" (De La Brière).
  - قسم المدفعية بقيادة الملازم "روبير" (Robert)، 22 قطعة، و2 قطعة 80 جليبي.
  - مجموعة من المناصرين البيضان (22 من أولاد بيري، 19 من إدوعيش، 19 من إدوعلي، 4 من أولاد أحمد)، بقيادة نقيب "دير تويس" (Dupertuis)، والملازم أول "فيوليت" (Violet)، والماريشال "جيلالي بن سرحان"<sup>2</sup>.
  - قافلة بارود احتياطية من 300 شحنة، وأزيد من 500 عيار مدفع ثقيل، وتمويل شهرين من المؤونة والمعدات الصحية الضرورية، وطاقم مكلف بنقل الماء.
  - ب- بالنسبة لمجموعة الترابزة بقيادة الرائد "أفريجان" وتتكون من:
    - قنصة السرية الرابعة من الكتيبة الرابعة السنغالية، تحت قيادة النقيب "ديورال" (Dureuil) بمساعدة الملازم أول "جيرار" (Girard)، و"بيلود" (Pelud)، و"ديونيس" (Dionnys).
    - فصيلة رشاشات، إلى جانب 40 من المساعدين البيضان على الجمال.
    - الطبيب المساعد "كازينوف" (Cazeneuve)<sup>3</sup>.
- 2- مؤتمر أدرار**
- في الوقت الذي كانت القوات الفرنسية تستعد لغزو أدرار، عقد أعيان وزعماء أدرار مؤتمر كبيراً للتنسيق بين أعيان القبائل في شأن مواصلة الجهاد، وقد ترأس هذا الإجتماع الشيخ حسنا بن الشيخ ماء العينين، وحضرته قبائل من الترابزة وأدرار والبراكنة والرقبية وتكانت، وقد تمخض عن هذا الإجتماع مجموعة قرارات من بينها:
- يتوجب على كل فرد له القدرة على حمل السلاح الانضمام إلى جبهة المقاومة لمواصلة مسيرة الجهاد ضد القوات الفرنسية.

<sup>1</sup> جليليه: مصدر سابق، ص212.

<sup>2</sup> Gouraud Henri: La pacification de la Mauritanie: journal des marches et opérations de la colonne de l'Adrar, Comité de l'Afrique Française, Paris, 1978, p25.

<sup>3</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص131.

- يتوجب على كل ملاك الإبل التوجه إلى نواحي "زمور" و"تيرين" و"وادان"، وذلك خشية وقوعها في أيدي القوات الفرنسية.
- كل مالك إبل ومواشي ليست له القدرة على تنفيذ قرار الرحيل إلى الشمال، عليه إعلان خضوعه للسلطات الفرنسية، وبذلك تصبح هذه الأخيرة مجبرة لشرائها من ملاكها<sup>1</sup>.
- من خلال القرارات التي خرج بها المجتمعون في أدرار، نستشف أن مجاهدي السمارة بقيادة الشيخ حسنا كانوا على علم بحملة العقيد غورو، غير أن تحضيراتهم هذه غير كافية لإيقاف حملة منظمة يفوق تعدادها الألف (1000) جندي، مسلحين بمختلف الأسلحة الاستراتيجية آنذاك، في هذا الصدد أورد الطالب أختيار بناءً على شهادة المختار بن محمد فال المعروف بـ"المختار بن أبيض"، وهو شاهد عيان على الإحتلال الفرنسي لأدرار، أن "سيدي حرمة بن أخضيرة الغلاني" التقى أفيرجان عند "أعكيت النعجة" وأخبر أحمد ولد عيدة وجمع من الأعيان عن قوات أفيرجان قائلاً: "رأيت ما هالني مما عندهم من السلاح والعتاد الذي لا قبل لكم به"<sup>2</sup>، رغم أن ما رآه "سيدي حرمة" ما هو إلا جزء صغير من تعداد الحملة، التي كان أغلبها في الجرية تحت قيادة العقيد غورو.

### 3- المواجهات الأولية وإخطاع "أطار"

في الجرية عمل العقيد غورو على تدريب الرتل، جميع الخطط المتبعة في العمليات، بما في ذلك المبادئ العامة التي يجب مراعاتها في حالة الهجوم ليلاً أو نهاراً، إضافة إلى ترتيب التشكيلات الذي يجب أن يكون على رأسه سلاح المدفعية، مع التأهب لصد أي هجوم محتمل مع التقيد التام بمسار الخطة<sup>3</sup> (الملحق 12)، ووفق هذه التعليمات يكون العقيد غورو قد استفاد من الأخطاء ونقاط الضعف التي وقعت فيها الكتائب الفرنسية، وكبدتها خسائر فادحة طيلة (1326هـ/ 1908م).

في السادس من ديسمبر 1908م إنطلق الجيش الفرنسي من الجرية باتجاه أدرار، وقد سلكت الكتائب طريق نقاط المياه الممتد من "دكل" - "تمر" - "العين الخضره" - "تالغره" - "أعوينات

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص243.

<sup>2</sup> نفسه: ص244.

<sup>3</sup> Gouraud Henri: op. cit, p\_p 25\_26.

ازبل" - "حاسي معطل" - "ظاية الطفلة" - "تيمنيت" وصولاً إلى قرية "أحفت" يوم الثاني والعشرين من ديسمبر، ولم يواجه الرتل في هذه الفترة أي هجوم من قبل البيضان، نظراً للسرية التامة التي تم بها جمع الرتل، وقد علم التلاميذ بخبر الحملة بعد أن شاهد أحد أتباع محمد المختار ولد حامد، قوات غورو في موضع "حاسي معطل" في السابع عشر من ديسمبر، أي بعد أكثر من عشرة أيام من مغادرتها المجرية<sup>1</sup>.

في الخامس والعشرين من ديسمبر خرجت مفرزة استطلاعية مكونة من 17 مناصراً بيضانيا، بقيادة رقيب الدرك الجزائري "الجيلالي بن سرحان"<sup>2</sup>، وقد تم اختيارهم لهذه المهمة كونهم أبناء المنطقة إلى جانب قدرتهم على التخفي بين السكان، غير أن أفرادها كانوا مراقبين من التلاميذ منذ مغادرتهم الرتل في "أحفت"، وبعد عودة المفرزة من نواحي "أماطيل" على بعد كيلومترات قليلة من الرتل، تعرضت لهجوم قوي ومنظم من قبل التلاميذ بقيادة كل من "أحمد بن الشيخ"، و"محمد سالم بن عبد الله بن أحمد المجلسي"، وقد كان الهجوم وقت الظهر في اللحظة التي كانت المفرز على وشك وصولها الرتل<sup>3</sup>، وفي هذا الهجوم تمكن المجاهدون من القضاء على كل أفراد المفرز باستثناء ثلاثة أفراد جرحى بقوا أحياء بعد وصول فرقة دعم بقيادة النقيب "دوير توي"<sup>4</sup>.

في صباح السادس والعشرين من ديسمبر 1908م/1326هـ، استأنف الرتل مساره باتجاه الشمال، وبعد مدة من خروج الرتل أيدت فرقة استطلاع بكاملها نواحي "وادي أماطيل" من قبل التلاميذ، الذين نجحوا في التخطيط الجيد للإطاحة بالطليعة، وفي ظل هذا الخسائر الفادحة التي تعرضت لها الكتائب الفرنسية في بداية الحملة على أدرار، جعلت العقيد غورو يعتمد خطة السير بكتلة واحدة، حتى يتمكن من صد هجمات البيضان المفاجئة والقوية. ورغم أن هذه الاستراتيجية

<sup>1</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص129.

<sup>2</sup> نفسه: ص130.

<sup>3</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص246.

<sup>4</sup> هناك اختلاف في عدد القتلى الفرنسيين بهذه المعركة، بين الرائد جيلبيه الذي يرى أن عددهم خمسة عشر قتيلاً، وغاستون دوفو الذي يرى أن عددهم ثلاثة عشر، والطالب أخيار الذي أورد بناءً على رواية محمد الأعظف بأن عددهم ثمانية عشر.

ينظر: جيلبيه: مصدر سابق، ص214. غاستون دوفو: مصدر سابق، ص130. الطالب أخيار بن الشيخ مامينا، مرجع

سابق، ج2، ص247.

تجعل الرتل يسير ببطء مما يزيد في عمر الطريق، إلا أنهم استطاعوا بتطبيقها صد عدة هجمات من البيضان في ظرف يومين<sup>1</sup>.

### 1) مواجهات "أكرارت الفرس" و"أزويكة"

في الثاني عشر من ديسمبر 1908م/ 1326هـ، غادر الرائد أفيريجان على رأس كتيبته مركز "أكلال فاي" بالترارزة، وفي الثالث والعشرين ديسمبر وصل إلى موضع "أكرارت الفرس" أين تعرض لهجوم منظم من قبل التلاميذ<sup>2</sup>، وقد استطاع المخضرم أفيريجان صد هذا الهجوم الذي سقط فيه عدد من مريدي الشيخ ماء العينين، على رأسهم "حسنا بن الشيخ المامي بن البخاري" أحد القادة البارزين في جيش الشيخ حسنا، ولما بلغ الشيخ ماء العينين خبر وفاة هذا الأخير، وبعض قادة الألوية في ساحة القتال، أرسل لابنه الشيخ حسنا رسالة يأمره من خلالها منع القادة العسكريين من المشاركة ميدانيا في المعارك، والاكتفاء بتوجيه التعليمات عن بعد (ملحق 13)<sup>3</sup>، وبالتالي في هذه الحالة يكون القائد قادرا على مراقبة نقاط الضعف والنقائص لإدراكها.

في السابع والعشرين من ديسمبر تمركز رتل المجرية بقيادة العقيد غورو في "أماطيل" الواقعة على بعد كليو مترات جنوب "ممرات حمدون"<sup>4</sup>، وقد كان العقيد على علم بالأهمية الاستراتيجية لممرات حمدون بالنسبة للمجاهدين، لذلك كان عليه إعداد خطة مسبقة لاقتحام الموضع، وفي "أماطيل" علم "غورو" من مصادره المختلفة أن أفيريجان في مواجهات مع البيضان في "أكرارت الفرس"، كما أن أخبارا غير مؤكدة تشير إلى أن ولد عيدة ينوي مهاجمة أفيريجان<sup>5</sup>، الأمر الذي أخلط خطط العقيد الذي كان ينتظر رتل الترارزة لدخول "أطار" كتلة واحدة.

<sup>1</sup> Gouraud Henri: op. cit, p49.

<sup>2</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص248.

<sup>3</sup> نفسه: ص249.

<sup>4</sup> ممرات حمدون: واقعة في الناحية الجنوبية من أطار وتشكل الممرات خط الدفاع الرئيسي الذي يحمي أطار من ناحية الجنوب.

<sup>5</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص130.



وفي السابع والعشرين ديسمبر هاجم أمير أدرار أحمد ولد عيدة كتائب الرائد أفيريجان المتمركزة في مرتفعات "إبي" بمنطقة "أزويكة"، وبعد قتال عنيف بين الطرفين انسحبت قوات ولد عيدة مخلفة أربعة قتلى في صفوف الجنود الفرنسيين وعدد من الجرحى من الجانبين<sup>1</sup>. رغم أن الأخبار الواردة إلى "أماطيل" بشأن خروج ولد عيدة للمواجهة أفيريجان، ما هي إلا خطة من المجاهدين لتقسيم الرتل، مع ذلك فان غورو لم ينتبه للأمر وقرر الخروج لنجدة أفيريجان، مع ثلاث سرايا من كتيبة موريتانيا، إلى جانب فصيل من قسم الجمالة بقيادة النقيب "بلوميون" والملازم "ماركوينت"، قسم من المدفعية ومجموعة من الأنصار البيضان وما يكفي لعشرة أيام من المؤنة، وقد ترك على رأس الرتل في "أماطيل" النقيب "بابلون"<sup>2</sup>، وفي التاسع والعشرين من ديسمبر غادر غورو الرتل المرابط في "أماطيل"، ليحتمع مع الرائد أفيريجان في شهر ذو الحجة سنة 1326هـ/ مطلع يناير 1909م<sup>3</sup>.

## (2) مواجهات "أماطيل"

بعد أن غادر العقيد غورو أماطيل لدعم أفيريجان في التاسع والعشرين من ديسمبر، بدت الفرصة سانحة للمجاهدين للإغارة على القسم المتبقي من الرتل في "أماطيل"، ولهذا الغرض خرجت فرقة من المجاهدين يقودها "الشيخ حسنا" شخصيا، وقد كانت خطة هذا الأخير مهاجمة الرتل من جهتين لإرباك الكتائب الفرنسية المناوبة<sup>4</sup>.

بدأ التلاميذ في صباح الثلاثين من ديسمبر الهجوم على مراعي الرتل، غير أن كتيبة الملازم "كوسبي" استطاعت صد الهجوم، وفي نفس اللحظة هاجم القسم الثاني من التلاميذ معسكر الرتل، وذلك بعد أن أطاحوا بفصيلا الملازم "كوتانس" (Cutance) التي كانت في مهمة استطلاعية إلى الشمال، وقد استطاع المجاهدون التقدم على بعد أمتار قليلة من المنشأة، بعد أن تمكنوا من قتل "فيكس" (Fix) قائد الفصيل المكلف بحراسة المنشأة، إلى جانب الرقيب "موكار" (Moucard) وعشرة من عناصر، وفي هذه المواجهة أثبت السلاح الفرنسي فاعليته، ففي الوقت الذي ظن

<sup>1</sup> Vuillemin G: op. cit, p17.

<sup>2</sup> Gouraud Henri: op. cit, p49.

<sup>3</sup> Vuillemin G: op. cit, p18.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص250.

المجاهدون أنهم استولوا على المنشأة، تمكن الرقيب "كهين" (Kahin) من دحرهم إلى الخلف بواسطة المدفع الرشاش الذي استطاع الوصول إليه بصعوبة<sup>1</sup>.

وفي اليوم الأخير من سنة 1908م/ 1326هـ، نظم التلاميذ هجوماً آخر على المنشأة التي كانت تحت حراسة "فيكس"، واستطاعوا التوغل إلى مسافات متقدمة من التحصينات التي شيدها الجنود طيلة الليل، غير أنهم تراجعوا تحت ضربات المدافع الرشاشة التي صنعت الفارق مرة أخرى<sup>2</sup>، وقد خلفت هجومات "أماطيل" خسائر معتبرة من الجانبين، فمن جانب التلاميذ سقط حوالي 50 شهيد وجرح عدد آخر منهم، أما من الجانب الفرنسي فقد سقط منهم 12 قتيلًا<sup>3</sup>، وجرح أربعة عشر آخرين أبرزهم قائد الرتل النقيب "بابلون" والملازم "كوسي"<sup>4</sup>.

### 3) معركة "حمدون" ودخول أطار

في السادس من يناير 1909م/ 1326هـ، غادر العقيد غورو والرائد أفيرجان منطقة "أزويكة" باتجاه "أماطيل" التي دخلوها في يوم السابع من يناير، ومع ظهر ذات اليوم غادر الرتل "أماطيل" ليعسكر في المساء عند "مضائق حمدون"، وقبل أن يواصل الرتل تقدمه نحو أطار كان عليه اجتياز "مضائق حمدون"، حيث قرر العقيد التقدم بقسم من الرتل لفسح الطريق لباقي القوات الفرنسية التي تحرس المؤونة والمعدات، وفي صباح يوم الثامن خرجت الكتيبة الفرنسية باتجاه "ممرات حمدون" وقد كان على رأس الكتيبة الرائد أكلوديل (قائد كتيبة موريتانيا) إلى جانب السرية الأولى والثانية والرابعة من ذات الكتيبة، الرائد أفيرجان مكلف بفصائل الجمال، وفصيلا رشاشات والمدفعية ومجموعة من الأنصار البيضان<sup>5</sup> (الملحق 14).

كانت خطط الشيخ حسنا لهذه المعركة تقوم على الهجوم من عدة نواحي لتشتيت شمل الرتل، مع بداية تقدم القوات الفرنسية نحو الممرات، اندلعت المواجهات بين الطرفين حوالي الساعة الثامنة صباحا بإطلاق النيران على فصيلة المناصرين البيضان التي كانت في المقدمة، وقد نجحت

<sup>1</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 132.

<sup>2</sup> جيلبييه: مصدر سابق، ص 216.

<sup>3</sup> أشار العقيد غورو إلى أن معلومات لاحقة تشير إلى أن هناك ثلاثون قتيلًا من الجانب الفرنسي. ينظر:

Gouraud Henri: op. cit, p61.

<sup>4</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص 133.

<sup>5</sup> Gouraud Henri: op. cit, p64.

قوات الشيخ حسنا في تشتيت الرتل، خصوصا الساعات الأولى من التقدم<sup>1</sup>، لكن التلاميذ سرعان ما تراجعوا إلى الخلف تحت ضربات المدافع الرشاشة التي استخدمتها قوات أكلوديل لتنظيف المنحدرات المحيطة بالقافلة، وفسح الطريق للسرية الأولى التي كان عليها إبعاد المجاهدين إلى أبعد نقطة خلف الوادي، ومع الواحدة والنصف زوالا أعلن النقيب "ديبرتيوس" (Debre Teos) قائد المناصرين أن الممر أصبح حرا<sup>2</sup>.

بعد أن اجتازت "ممرات حمدون"، واصلت القوات الفرنسية تقدمها نحو أطار التي دخلها غورو في التاسع من يناير 1909م/1326هـ، خلفت المعركة خسائر كبيرة في صفوف المجاهدين، حيث سقط فيها العديد من خيرة الجنود من بينهم: إبراهيم بن يعقوب، وسيدي أحمد بن أمديش الدليمي، وسيدي أحمد بن أسويد أحمد<sup>3</sup>، ومن الجانب الفرنسي قتل أحد الرماة وجرح الملازم "لاتنكي" (Letang)<sup>4</sup>، أما الشيخ حسنا فقد انسحب رفقة جيشه إلى الشمال، معلنا عودته قريبا بعد طلب المدد من والده بالسامرة، أو من سلطان المغرب بفاس إن لزم الأمر، وقبل خروجهم قام التلاميذ بتخريب كل ما يمكن أن يستفيد منه جيش غورو من عتاد ومؤونة<sup>5</sup>.

عند وصول العقيد غورو مشارف أطار، قام السكان برفع الرايات البيضاء فوق الأعمدة تعبيرا على خضوعهم لسلطته، وتقدم "محمد سيديا بن برو" (من أعيان أطار) لمكاتبة الفرنسيين، وتطوع للمكاتبة عن جميع أهل أطار، وقد أقدم غورو على أسر جميع المعارضين للتواجد الفرنسي في المنطقة، على غرار "أحمد بن محمد السالك بن برو"، و"أحمد بن محمد المختار بن سيدي بابا"، و"محمد سالم بن المزطف" و"إبراهيم بن عبد الله"، ولم يفرج عليهم حتى قضيت غراماتهم، كما فرض على أهالي أدرار غرامات على التمر والحبوب والأغنام، كضرائب عليهم بعد أن شاركوا في مواجهة الحملة الفرنسية على أطار، كما قام أيضا بالاستيلاء على جميع أملاك الشيخ ماء العينين نواحي أدرار، إلى جانب مصادرة أملاك من هاجر المنطقة رفقة المجاهدين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص253.

<sup>2</sup> جليليه: مصدر سابق، ص218.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص254.

<sup>4</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص133.

<sup>5</sup> Gouraud Henri: op. cit, p69.

<sup>6</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، صص 254\_255.

وفي العشر من يناير 1909م/ 1326هـ، ألقى العقيد غورو خطابا لسكان أدرار، حاول من خلاله تشويه صورة الشيخ حسنا "الذي قدم وعوداً كاذبة لسكان أدرار ثم هرب"<sup>1</sup> في المقابل يريد أن يظهر نفسه رجلاً مسلماً جاء لخدمة البلاد، كما أثبت في حديثه على "الشيخ سيديا" الذي اعتبره صديق فرنسا الذي يجب أن يقتدي به البيضان، وقد لمح باستعمال قوة السلاح لإخضاع باقي القبائل إن لزم الأمر لذلك<sup>2</sup> ومن خلال حديث "غورو" للقبائل الصحراوية، نستشف أن هذا الأخير ظل مرفوضاً من القبائل التي لم تعلن ولائها، فإلى غاية اليوم الثاني من دخولهم أدرار لم يتلق العقيد أي إعلان بالولاء<sup>3</sup>، على عكس موطنه "كوبولاني" الذي كانت تأتيه وفود أغلب القبائل معلنة ولائها كلما دخل منطقة صحراوية، ولعل هذا الأمر مرده إلى أن سكان أدرار كانوا دائماً رافضين للتواجد الأجنبي بالمنطقة، لذلك فإن أغلبهم هاجروا المنطقة بعد إخضاع "أطار".

#### 4) مواجهات "أغسرت" و"أقصير الطرشان"

بعد دخول القوات الفرنسية "أطار" انسحب المجاهدون إلى الشمال لتنظيم صفوفهم وتلقي الدعم من السمارة كما سبق وأشرنا، وقد توزعوا على قسمين: القسم الأول تمركز في "تورين"<sup>4</sup> حيث ضم هذا المركز التلاميذ برئاسة الشيخ حسنا، إلى جانب الرقيبات وفروع من تكنة وأولاد الدليم، أما القسم الثاني فقد تمركز نواحي "وادان" وقد ضم أولاد غيلان وبعض الفروع من الرقيبات تحت رئاسة أحمد ولد عيده<sup>5</sup>.

في العشرين من أبريل 1909م/ 1327هـ وصل "الشيخ الولي" بن الشيخ ماء العينين من السمارة، على رأس مفرزة متكونة من 120 تلميذا لتدعيم المجاهدين شمالي أدرار، وقد تمركز جزء من هذا الجيش في "تورين"<sup>6</sup>، بينما ذهب سرية منه لدعم قوات الأمير ولد عيد المتمركزة في

<sup>1</sup> Gouraud Henri: op. cit, p71.

<sup>2</sup> Ibid: p72.

<sup>3</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص134.

<sup>4</sup> تورين: قرية واقعة على بعد حوالي 250 كلم شمالي شرق أطار. ينظر:

Gouraud Henri: op. cit, p119.

<sup>5</sup> الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص258.

<sup>6</sup> Gouraud Henri: op. cit, p119.

نواحي "وادان"<sup>1</sup>، بعد وصول المدد للأمير استغل فرصة قدوم النقيب "بابلون" للسقي من آبار "أغرمست" القريبة من مركز إقامة ولد عيدة.

كان جيش "بابلون" يضم السرية الثالثة من جيش موريتانيا، بالإضافة إلى 60 مناصرا بيضانيا، وبعض القطعان من ماشية الرتل، اختار ولد عيدة منتصف ليل يوم الثامن والعشرين من أبريل لمغادرة مكان إقامته<sup>2</sup>، وفي حدود الثالثة والنصف صباحا وصلوا معسكر "بابلون" مشيا على الأقدام حتى لا تثير جماهم أصواتاً قد تفيق حراس المعسكر الذين لم ينتبهوا للهجوم حتى تسلل التلاميذ للمعسكر، وبعد لحظات من القتال بين الطرفين انسحب "ولد عيدة" رفقة جيشه إلى مركزهم نواحي "وادان"<sup>3</sup>.

خلف الهجوم من جانب المجاهدين 12 شهيداً، أما من الجانب الفرنسي فهناك اختلاف بين الروايات الفرنسية التي ذكرت بأن الفرنسيين قتل منهم 03 النقيب "بابلون" قائد الفصيل و"موسى كوليبالي" (Moussa Coulibaly) و"بكارى ديالو" (Bakary Diallo)<sup>4</sup>، وهو رقم ضئيل جدا بالمقارنة مع ما أورده الطالب أختيار نقلا عن "الشيخ النعمة" بن الشيخ ماء العينين الذي قال بأن عدد القتلى 100 شخص، وهو رقم أقرب للواقع من الأول لسبيين، أولهما أن المجاهدين هجموا بشكل مفاجئ خلال الليل، وقد قتلوا بعض الجنود دون مقاومة، أما السبب الثاني فيتمثل في قتل المجاهدين للنقيب "بابلون" قائد الفصيل، وكما هو معلوم أن وفاة القائد في أي معركة يكون له تأثير سلبي على نفسية جنوده مما يفقدهم التركيز في القتال.

بعد "أغرمست" قامت فصيلة مجاهدين 80 من التلاميذ و20 منشقا من "أهل تناكي"، بالهجوم على جمالة النقيب "ابلوميون" (Applumion)، قرب المجرية وذلك يوم الثالث من ماي، كان الهجوم على ثلاث نقاط مختلفة، وقد استدعى الملازم "كوسي" قوات الاحتياط لمساعدة الحراس في صد الهجوم الذي خلف 03 قتلى من الجانب الفرنسي إضافة إلى جرح 04

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص258.

<sup>2</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص138.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص259.

<sup>4</sup> Gouraud Henri: op. cit, p118.

من الرماة، واستشهد 10 أفراد من التلاميذ الذين استولوا بدورهم على 38 جملا من إبل الحامية<sup>1</sup>.

وفي مطلع ماي موسم جني التمور في الواحات الصحراوية، بدأت القوات الفرنسية في التقدم لإخضاع واحات أدرار المعروفة بكثافة أشجار النخيل، لذلك تم إخلاء معسكر "تيزكي" يوم الثامن من جوان، وقد تم تكليف الرائد "اكلوديل" بإقامة مركز مؤقت في "أوجفت" بغرض التصدي للمجاهدين في منطقتي "شنقيط" و"وادان"، بينما تراقب كتيبة أطار "واحات الباطن"<sup>2</sup> بدعم من العقيد غورو شخصيا<sup>3</sup>.

وفي السابع والعشرين من جويلية، علمت القوات الفرنسية من ابن شقيق رئيس "أقصير الطرشان" أن 200 رجلا من المجاهدين برئاسة الشيخ الولي بن ماء العينين وصلوا إلى "الطرشان"<sup>4</sup>، وقد تدعموا بقوات الأمير ولد عيدة الذي قدم من نواحي ودان منتصف شهر جويلية<sup>5</sup>.

بوصول التلاميذ والمنشقين إلى "أقصير الطرشان" اعتبرها العقيد غورو فرصة لا تعوض للقضاء على قوات الولي وولد عيدة بضربة واحدة، لذلك وضع الترتيبات التالية:

1- تكليف النقيب "ديبر تيوس" مع القوات المركبة 320 بندقية ومدفعان رشاشان، بعد مغادرة مخيم "عين الخيري" في الساعة الخامسة صباحا، بعبور ممر "تراك" الجبلي في سرية تامة والتمركز شمالي قصر الطرشان لمفاجئة العدو عند الفجر.

2- في الوقت نفسه تنتقل مفرزة مؤلفة من جميع القوات المتوفرة في أطار، مع قسم من المدافع الرشاشة وسلاح المدفعية<sup>6</sup>.

3- يتم دعم الفصائل بـ:

(1) أربعة ضباط بمساعدة ثمانية ضباط صف و230 من الأهالي البيضان.

<sup>1</sup> Gouraud Henri: op. cit, p141.

<sup>2</sup> واحات الباطن: اسم يطلق على واحات منطقة أطار، تميزها لها عن واحات اظهر التي تضم أوجفت، شنقيط ووادان. ينظر: غاستون دوفو: مصدر سابق، ص139.

<sup>3</sup> نفسه: ص139.

<sup>4</sup> Gouraud Henri: op. cit, p172.

<sup>5</sup> الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص261.

<sup>6</sup> Gouraud Henri: op. cit, p173.

- 2) سلاح المدفعية: ضابط واحد وخمس أوربيين و12 بيضانيا.
- 3) قسم المدافع الرشاشة: أوربيان و25 بيضانيا.
- 4) الطبيب "ماي" (May) وما يكفي لأربعة أيام من الطعام، بالإضافة إلى الكثير من الذخيرة<sup>1</sup>.

أما البيضان فقد بلغ عددهم حوالي 340 مقاتلا وقد انقسموا إلى قسمين، القسم الأول تمركز وسط النخيل المحيطة بالقصر، أما القسم الثاني فقد عسكر في الممر المؤدي إلى طريق أطار، ومع مطلع فجر يوم الثامن والعشرين جويلية هاجمت القوات الفرنسية بقيادة الملازم "فيولي" (Violet)، غير أن هذا الأخير سرعان ما سقط تحت ضربات التلاميذ إلى جانب سبعة من جنوده<sup>2</sup>، إلا أن وصول مفرزة من البيضان (الترارزة) وبعض الجمالة، إضافة إلى فصيلة من السنغاليين بقيادة النقيب "ديبرتويس"<sup>3</sup>، قلبت الموازين لصالح الفرنسيين الذين نجحوا في التوغل بصفوف المجاهدين وسط واحات النخيل، مما أدى إلى إنسحاب قسم من المجاهدين، بينما صمد القسم الآخر من التلاميذ رفقة الشيخ الولي الذي جرح في ساقه اليمنى<sup>4</sup>.

مع ازدياد الهجمات الفرنسية اضطر القسم الآخر من التلاميذ إلى الانسحاب من المواجهة في حدود الساعة السادسة مساء، تاركين خلفهم 05 بنادق سريعة، وعدد من الخراطيش، بالإضافة إلى أمتعة شخصية و20 جملا، انتهت المعركة بين الطرفين بهزيمة المجاهدين الذين فقدوا 10 أشخاص<sup>5</sup>، إلى جانب عدد كبير من الجرحى أبرزهم الشيخ الولي كما سبق وذكرنا، أما الجانب الفرنسي فقد خسر 08 قتلى على الأقل<sup>6</sup>، ولم يستطع العقيد غورو اللحاق بمعركة "أفصير الطرشان" التي اعتبرها فرصة جيدة للقضاء على كبرياء التلاميذ<sup>7</sup>.

<sup>1</sup>) Gouraud Henri: op. cit, p174.

<sup>2</sup>) الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص261.

<sup>3</sup>) جليليه: مصدر سابق: ص223.

<sup>4</sup>) الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص261.

<sup>5</sup>) Gouraud Henri: op. cit, p177.

<sup>6</sup>) الطالب أخيار بن الشيخ مامين: مرجع سابق، ج2، ص261.

<sup>7</sup>) غاستون دوفو: مصدر سابق، ص141.

## 5 إخضاع باقي قبائل أدرار

مع دخول القوات الفرنسية "أطار" واجه العقيد غورو صعوبة في إقناع السكان لقبول سلطته عليهم كما أشرنا سابقا، لكن مع تقدم القوات الفرنسية في واحات أدرار، جعلت بعض الأعيان يعلنون خضوعهم، خشية نهب القوات الفرنسية لممتلكاتهم، وفي منتصف ماي 1909م/ 1327هـ وصل "الشيخ سيديا بابا"<sup>1</sup> إلى "أطار"، وكان له الفضل الكبير في خضوع قبائل أدرار لسلطة غورو، ففي الرابع عشر جويلية أعلن "الشيخ محمد تقي الله"<sup>2</sup> خضوعه للمستعمر وطلب الأمان، كما أعلن الشيخ الفقيه سيدي محمد بن حبت الغلاوي خضوعه في الثامن عشر من جويلية، وهذا الأخير يعد من رموز المقاومة في أدرار.<sup>3</sup>

بعد "أقصير الطرشان" تمركز ولد عيدة رفقة فصائل من الرقيبات في "تورين"، وقد علم الرائد أكلوديل المتواجد نواحي "وادان" بخطر ولد عيدة، لذلك أوعز إلى النقيب "ديبر تويس" بمطاردة الأمير قبل أن يستفيق من صدمة "أقصير الطرشان"، ففي صباح الخامس عشر من أوت فاجأت قوات "ديبر تويس" تجمعاً من الرقيبات عند آبار تورين، وقد فقد الرقيبات خلال هذا الهجوم المفاجئ حوالي 40 مجاهداً، كما استولى الفرنسيون على 28 بندقية و2000 من الإبل<sup>4</sup>، أما الأمير سيدي أحمد ولد عيدة فقد انسحب رفقة باقي المجاهدين إلى نواحي "ولاعة" و"تيشيت"<sup>5</sup>.

في الخامس والعشرين من أوت 1909م/ 1327هـ، علم العقيد غورو من مصادر مختلفة أن التلاميذ والمنشقين من الترازرة والرقيبات يتمركزون في "العرقية"، كما أفادت نفس المصادر بأن أبناء الشيخ ماء العينين يرغبون في العودة إلى السمارة رفقة التلاميذ، فيما يفكر الرقيبات في طلب الأمان<sup>6</sup>، وفي أواخر أوت 1909م أعلن "الشيخ الجيه" بن الشيخ محمد فاضل بن محمد

<sup>1</sup> الشيخ سيديا بابا: سبق وأن أشرنا إليه في الفصل الخامس من الدراسة، والشيخ عرف بعلاقته الجيدة مع المستعمر الفرنسي منذ بداية الاحتلال.

<sup>2</sup> الشيخ محمد تقي الدين: هو محمد تقي الدين بن الشيخ محمد فاضل بن محمد، وهو ابن عم الشيخ ماء العينين. ينظر: الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص256.

<sup>3</sup> نفسه: ص257.

<sup>4</sup> غاستون دوفو: مصدر سابق، ص143.

<sup>5</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص263.

<sup>6</sup> Gouraud Henri: op. cit, p198.



خضوعه، وهو ابن عم الشيخ ماء العينين وشقيق الشيخ تقي الدين<sup>1</sup>، كما أبلغت بعض المصادر البيضاوية سلطات غورو في أواخر أوت بأن قبائل: أولاد الطالب، وأولاد الشيخ، وأولاد اللاب، وأولاد دليم، مستعدون لطلب الأمان<sup>2</sup>، وقد توالى البشائر على محيم أكلوديل بأطار أواخر سنة 1909م/1327هـ، فقد خضع في أكتوبر "أهميمد" شيخ أولاد أحمد، و"محمد بن الخليل" شيخ الرقيبات وأولاد موسى في أوائل ديسمبر، كما أعلن أيضا الشيخ المجاهد "أحمد ولد الديد" خضوعه في منتصف ديسمبر 1909<sup>3</sup>.

بهذا الأمر يكون الفرنسيون وعلى رأسهم العقيد غورو قد حققوا انتصارا كبيرا في مسيرة إخضاع موريتانيا الغربية، حيث بسطوا سيطرتهم على أدرار التي كانت بمثابة قاعة خلفية ومركز إمداد بالنسبة للمجاهدين خلال السنتين الأخيرتين، كما أن نجاح رتل العقيد في دخول أطار أدى إلى ضرب وحدة المقاومة التي أضحت دون مأوى، ودون قائد بعد سفر الشيخ حسنا إلى السمارة، لذلك كان من الطبيعي خضوع رموز المقاومة للقوات الفرنسية التي أصبحت تحاصرهم في كل مكان.

## 6) هجرة الشيخ ماء العينين إلى تيزنيت

بعد دخول الإستعمار الفرنسي إلى أدرار، أرسل الشيخ ماء العينين ابنه "الشيخ أحمد الهيبة" إلى السلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ من أجل طلب الدعم بالسلاح، للوقوف في وجه التوسع الإستعماري، وقد علمت حكومة الإحتلال بقدم أحمد الهيبة إلى فاس، لذلك شددت على السلطان وطالبته بالعدول عن قرار تزويد الشيخ ماء العينين بالأسلحة والمؤونة<sup>4</sup>، وفي ظل الأوضاع الأوضاع التي يعيشها المغرب الأقصى لم يكن بيد السلطان سوى الرضوخ للمطالب الفرنسية التي تحتل مناطق الشاوية والدار البيضاء منذ 1907.

وحتى لا يخسر السلطان صداقة الشيخ ماء العينين صاحب المقام العالي في كل أنحاء المغرب الأقصى، طلب منه الانتقال إلى مدينة "تيزنيت" في الجنوب المغربي، حتى يسهل على الطرفين اللقاء

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص257.

<sup>2</sup> Gouraud Henri: op. cit, p206.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص266.

<sup>4</sup> نفسه: ص266.

والتباحث في أمر الجهاد<sup>1</sup>، وحسب ماء العينين ابن العتيق أن الشيخ ماء العينين صمم على الهجرة من السمارة، بعد ما رضح جل رموز المقاومة في أدرار للاحتلال الفرنسي، ولم تبقى أي عمارة بين العدو والسمارة، مما جعل هذه الأخيرة مكشوفة أمام الهجمات الفرنسية التي قد تفاجئها في أي وقت، وقد اختار الشيخ مدينة تيزنيت لبعدها من العدو، كما أن للشيخ ماء العينين فيها منازل وبساتين منذ فترة حكم مولاي عبد العزيز<sup>2</sup>.

بعدهما قرر الشيخ الرحيل إلى تيزنيت عقد اجتماعاً كبيراً في زاويته بالسمارة، وقد حضر اللقاء أبناءه وكبار مريديه، كما راسل جميع القائمين على شؤون المقاومة من مريديه وابنائهم للحضور إلى مجلسه، وبعد قدوم الجميع إلى السمارة خرج منها يوم الخميس الثاني عشر من ذي القعدة 1327هـ/ السادس والعشرين من نوفمبر 1909م<sup>3</sup>، وقد اصطحب معه كل من كان رفقته في السمارة من مريديه وضعاف المسلمين الذين كانوا تحت رعايته، فيما ترك عليها مقداً من كبار مريديه وعدداً من تلاميذه لحفظ ما بقي من الكتب والمعدات وغيرها<sup>4</sup>.

وفي طريقه إلى تيزنيت اختار الشيخ ماء العينين طريق الساحل الأطلسي، التي تعد أكثر أماناً من عبور الواحات، وقد أفادت تقارير فرنسية أن الشيخ ماء العينين وصل إلى موضع "خنسل" الواقع بين "أغلو" و"ماسة". بمنطقة السوس يوم الفاتح من ربيع الأول 1328هـ/ الثاني عشر مارس 1910م، وأشارت نفس المصادر إلى أن الشيخ استدعى وجهاء المنطقة للانضمام إلى معسكره الذي يضم 20 خيمة وحوالي 700 رجل من تلاميذه، غير أن غورو كان على علم مسبق أن الشيخ ماء العينين يسعى إلى الاستقرار في إقليم السوس أقصى الجنوب المغربي<sup>5</sup>، كما أن حكومة بلاده كانت تواصل ضغوطاتها على ملك المغرب مولاي عبد الحفيظ لوقف دعم الشيخ ماء العينين بالسلاح والمال، وفي هذا الصدد عقدت الحكومة الفرنسية مع مولاي عبد الحفيظ اتفاقاً في الخامس من مارس 1910م/ 1328هـ، تعهد من خلاله هذا الأخير بقطع العلاقات الودية مع

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص267.

<sup>2</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص87.

<sup>3</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص268.

<sup>4</sup> ماء العينين بن العتيق: مصدر سابق، ص87.

<sup>5</sup> ANOM, V1-5, le (M. A. E) A Monsieur le (M.C) Au sujet Ma El Ainin, Paris, 22 avril 1910.

أعداء فرنسا في موريتانيا وأدرار وتافيلالت وغيرها من المناطق التي ترعى المقاومة، كما أعطى تعليمات لقواده في "موكادور" (القنيطرة) بعدم توفير الذخيرة والمال والأسلحة لماء العينين، إلى جانب منع أي تهريب للأسلحة عن طريق الجنوب<sup>1</sup>.

وبجلول الشيخ ماء العينين بتيزنيت في النصف الثاني من مارس 1910م، قدم عليه من وجهائها وطلاب العلم من كل الأنحاء السوسية، كما التقى في زاويته بتيزنيت كبار العلماء أمثال الشيخ علي الدرقاوي والطاهر الإفرائي وعلي بن عبد الله الإليغي وغيرهم، وبعد فترة من وصول الشيخ ماء العينين إلى تيزنيت، وصلت المدينة بعض من رموز المقاومة الشنقيطية على غرار المختار بن أحمد والأمير أحمد بن سيدي اعلي، وسيدي أحمد بن هيبه البركانيان وسيدي بن محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب التروزي... الخ<sup>2</sup>.

وفي مدينة تيزنيت مكث الشيخ ماء العينين ثلاثة أشهر، رتب بيته وزاويته واستقبل بها من أتى لزيارته من أهل السوس والمغرب الأقصى<sup>3</sup>، وفي شهر جوان 1910م خرج الشيخ ماء العينين قاصداً مدينة فاس للقاء السلطان المغربي، غير أن السلطات الفرنسية التي كانت تراقب نشاطات الشيخ عن كثب، حاولت منع هذا اللقاء الذي اعتبرته حرقاً للتعهد الموقع بين الطرفين في مارس الفارط، وقد أمرت الصحف العربية في طنجة وكامل المغرب الأقصى بنشر الوثائق المتعلقة بالمعاهدة، التي بموجبها تنصل مولاي عبد الحفيظ من كل أنواع التضامن مع الشيخ ماء العينين في حربه ضد فرنسا<sup>4</sup>، ومما لاشك فيه أن السلطات الفرنسية كانت تهدف من وراء نشر وثائق المعاهدة، إلى ضرب سلطان المغرب من جهة، وإحداث تفرقة بينه وبين الشيخ ماء العينين بعد قراءة بنود الإتفاق في الصحف.

وفي طريقه إلى فاس عندما بلغ موضع "تادلة" تقدمت له بعثة كان على رأسها مريده الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي، الذي سلمه كتاباً من السلطان مولاي عبد الحفيظ، يلتمس من خلاله

<sup>1</sup>) ANOM, V1-5, (D. S. M) – (D. A. P.A) – (S. D. A) Transmission d'un lettre d'Ahmed El Haiba Fils de Ma El Ainin, Dakar, 26 Mai 1910.

<sup>2</sup> الطالب أحيار بن الشيخ مامينا: مرجع سابق، ج2، ص269.

<sup>3</sup> نفسه: ص271.

<sup>4</sup>) ANOM, V1-5, le (M. A. E) A Monsieur le (M.C) Au sujet Ma El Ainin, Paris, 28 juin 1910.

هذا الأخير تأجيل زيارته إليه إلى حين توفر الظروف<sup>1</sup>، وفي "تادلة" حاولت القوات الفرنسية المتواجدة في منطقة الشاوية الإيقاع بالشيخ ماء العينين، وذلك عن طريق محاصرته بالمنطقة، لكن القوات الفرنسية بقيادة الجنرال "موانيه" (Moinier) فشلت في هجومها هذا، بعدما تصدى لها سكان المنطقة الذين هبوا لمساندة الشيخ وكبدوا الجيش الفرنسي خسائر فادحة<sup>2</sup>، وقد فسرت دوائر صنع القرار في باريس هجومها على الشيخ في "تادلة"، بأنه كان بغرض الدفاع عن عرش السلطان من الشيخ ماء العينين الذي أفرغ خزانة المخزن، وينوي خلع مولاي عبد الحفيظ وتنصيب نفسه سلطاناً، وذلك بعدما جمع جيشاً من القبائل الصحراوية والبربرية وقبائل السوس<sup>3</sup>، ومما لاشك فيه أن الدوائر الفرنسية روجت لمثل هكذا أخبار لتغليب الرأي لعام المغربي، ومحاولة إحداث شرخ بين المخزن والشيخ ماء العينين في تيزنيت، وإذا كان الشيخ يملك القوة التي تطيح بسطان فاس، لم يسافر من السمارة لطلب العون منه، وحتى يضع حداً لما روجت له فرنسا وعملاؤها، أرسل الشيخ بكتاب إلى سلطان فاس فند من خلاله كل ما نُسب إليه من شائعات حول طموحه اعتلاء عرش المملكة<sup>4</sup>.

## 7 وفاة الشيخ ماء العينين

مع مطلع شهر رمضان 1328هـ، وصل الشيخ ماء العينين إلى زاويته بتزنيت، بعد ما قضى قرابة الشهر نواحي "تادلة"، وفي حدود الساعة السابعة مساءً من يوم الثلاثاء، إحدى وعشرين من شوال سنة 1328هـ/ السادس والعشرين أكتوبر من سنة 1910م، توفي الشيخ ماء العينين عن عمر يناهز 82 سنة على حد قول ابن العتيق، ودفن في الناحية الغربية من مسجد زاويته بمدينة تيزنيت<sup>5</sup>.

خلف وفاة الشيخ ماء العينين ردود أفعال مختلفة على جميع الأصعدة، فبالنسبة للبيضان المقاومين، فقد كانت وفاته خسارة كبيرة للمقاومة التي فقدت قائداً عظيماً، كان له الفضل في قيادة وتنظيم المقاومة، منذ بداية التواجد الأوروبي في السواحل الصحراوية أواخر القرن التاسع

<sup>1</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص271.

<sup>2</sup> نفسه: ص272.

<sup>3</sup> ماء العينين: جريدة السعادة، مرجع سابق، العدد393، 28 جوان1910، ص01.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص274.

<sup>5</sup> ماء العينين ابن العتيق: سحر البيان، مصدر سابق، ص88.

عشر، فكان القائد الملهم والأب الروحي والفقير المجاهد قرابة الثلاثين سنة، الأمر الذي جعل الطاهر الإفرائي السوسي يرثيه في هذه الابيات<sup>1</sup>، أما السلطات الفرنسية فقد استبشرت خيرا بوفاء الشيخ ماء العينين عدو فرنسا اللدود، واعتبرت وفاته خسارة كبيرة للمنشقين والتلاميذ الذين كانوا يتلقون منه الدعم بالأسلحة والذخيرة، وبرحيله يكون جناح المقاومين البيضان قد انكسر ولا يمكنهم الصمود في وجه القوات الفرنسية المتفوقة في العتاد<sup>2</sup>.

قبل وفاة الشيخ ماء العينين كتب لأبنائه وتلامذته وصية أوصاهم من خلالها بمواصلة الجهاد ضد القوات الإستعمارية وصددهم عن تراب المسلمين، وبناء على ذلك تم تنصيب الشيخ أحمد الهيبة بن ماء العينين خليفة لوالده في قيادة المقاومة ضد الإستعمار الفرنسي والإسباني في المنطقة<sup>3</sup>، ومن جهته قام الأمير سيدي أحمد ولد عيدة مريد الشيخ ماء العينين باتخاذ "تيشيت" قاعدة له في حربه ضد التوسع الاستعماري في المنطقة<sup>4</sup>.

مما سبق إجمالاً نستنتج أن التوسع الفرنسي في تراب البيضان اصطدم بمقاومة عنيفة قادها الشيخ ماء العينين، هذا الأخير انتهج إستراتيجية تقوم على:

- 1- جمع المنشقين من القبائل والرافضين للتواجد الفرنسي بالمنطقة.
- 2- عقد الصلح بين القبائل المتخاصمة وشد انتباههم لمواجهة العدو المشترك.
- 3- التنسيق مع المخزن المغربي للحصول على أسلحة جيدة من شأنها مقارعة السلاح الفرنسي الأكثر فعالية.
- 4- تنوع مصادر التموين بالأسلحة عن طريق الإتصال بالشركات المصنعة للأسلحة، على غرار الشركة الألمانية "فيرمان" والشركة الإسبانية "توريس"، وإيصالها إلى السواحل الأطلسية عن طريق المهريين الكناريين.

<sup>1</sup> يقول الإفرائي: المجد يعول والسيادة تندب\* والعلم ما عينيه حزنا يسكب.

قال العواذل ما له فأجبتهم\* والحزن يخرس والمسداع تعرب.

لما توى شيخ الشيوخ وعالم الإ\* سلام ماء العينين ناح المغرب.

ينظر الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص278.

<sup>2</sup> جليليه: مصدر سابق، ص241.

<sup>3</sup> نفسه: ص241.

<sup>4</sup> الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص280.

5- تنصيب أحد ابنائه بالقيادة الميدانية المقاومة، ويتعلق الأمر بالشيخ حسنا الذي يعد بيضانيا وصاحب مكانة بين القبائل.

6- توظيف تلاميذه من مختلف القبائل الصحراوية، لتنظيم حركة الجهاد وقيادة المعارك في مختلف الجبهات، وبذلك نجح الشيخ ماء العينين في عرقلة التقدم الفرنسي بالمنطقة طيلة ثمان سنوات، ورغم قلة الإمكانيات المادية فقد كبد قوات الإستعمار خسائر معتبرة في الأرواح والعتاد.

# خاتمة

## خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي عاجلنا من خلالها موضوع، الشيخ ماء العينين ودوره العلمي والجهادي في الصحراء الغربية (1831/1910م)، خلصنا إلى النتائج التالية:

- لقد كانت الرحلة الحجازية بالنسبة للشيخ ماء العينين، نقطة تحول هامة في حياته، لأن هذه الرحلة أتاحت له كسب صداقة المخزن المغربي من جهة، والاطلاع على الحالة الاجتماعية والدينية للقبائل الصحراوية من جهة أخرى، ولعل علاقاته الجيدة مع هذه القبائل، كانت السبب الرئيسي في إقامته بالمنطقة، وتشيد صرح معماري فريد من نوعه في قلب الصحراء الغربية.

- تعد الزاوية المعينية بالصحراء الغربية منارة علمية وروحية، جعلت من مدينة السمارة، حاضرة علمية وجاهدية، استقطبت إليها طلبة ومريدين من مختلف الجهات، وقد ساهموا بشكل أو بآخر، في نشر الورد المعيني الفاضلي في مناطقهم بالمغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا، وقد برز منهم الكثير من العلماء والفقهاء، الذين تأثروا بالمنهج العلمي للشيخ ماء العينين وطريقته الصوفية، على غرار الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي، والشيخ أبي عبد الله محمد القادري الصوفي وغيرهم.

- لقد كان للنفوذ الذي تمتع به الشيخ ماء العينين في الصحراء الغربية، دورٌ كبيرٌ في جعل القوى الأوروبية تحاول التقرب منه منذ بداية أطماعها بالمنطقة، على غرار الجاسوس البريطاني التاجر دونالد ماكيتزي، الذي حاول إقامة علاقات تجارية معه، منذ بداية مشروعه التجاري بطرفاية سنة (1296هـ، 1879م)، ولعل الهدف الرئيسي من هذا الأمر، هو ضمان حمايتهم من إغارة القبائل الصحراوية من جهة، ومن ناحية أخرى الحصول على امتيازات تجارية بالمنطقة.

- لقد تنوعت موضوعات مؤلفات الشيخ ماء العينين، بين الفقه والتصوف واللغة العربية وآدابها، وغيرها من العلوم التي برزت حينئذ، إلا أن الشيخ ركز في تأليفه على الفقه والتصوف، فمن بين المؤلفات الأربعة والثمانون التي ذكرنا عناوينها، كان نصيب الفقه والتصوف منها حوالي 56.3%، وهذا يدل على تمكن الشيخ في الفقه وأصوله والتصوف وعلم السلوك، كما أن تركيزه على الفقه والتصوف يبين مدى أهمية هذه العلوم في المجتمع البيضاوي.



- بعد الاطلاع على تواريخ مؤلفات الشيخ ماء العينين، نستشف أن هذا العالم بدأ مسيرته في التأليف، بالكتابة في مواضيع متعددة مع تبسيط الأسلوب، وهذا يظهر جليا في كتابه هداية المبتدئين الذي ألفه في النحو سنة 1275هـ، وكتاب ياقوتة الولدان في علم البيان الذي فرغ من تأليفه في نفس السنة، هذا الأمر يجعلنا نستنتج أن الشيخ أراد من خلال هذا النهج، إتاحة فرصة التعلم لكل فئات المجتمع الصحراوي.

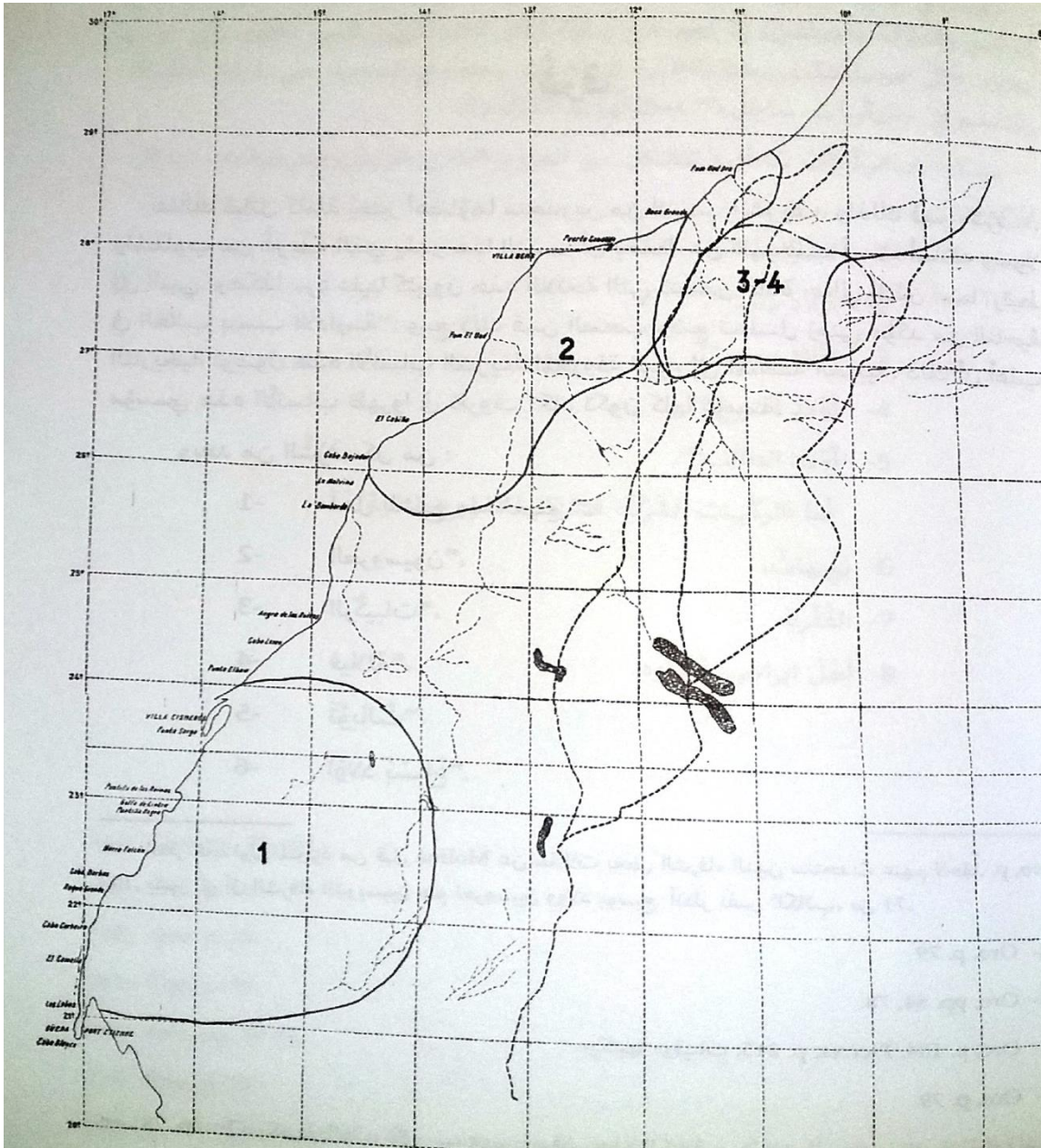
- لقد نجح الإستعمار الفرنسي في تقويض مقاومة الشيخ ماء العينين، بواسطة القضاء على المغذي الرئيسي لها، والمتمثل في القبائل البيضانية، حيث استطاعت قيادة الاستعمار، استمالة بعض أعيان القبائل وتجنيد بعضهم في صفوفها، وقد كان لهم دور كبير في عملية التوسع الفرنسي بالمنطقة، كما عملت السلطات الفرنسية من ناحية أخرى على قطع التموين على الشيخ، من خلال منع تهريب الأسلحة إلى الصحراء الغربية بالتنسيق مع السلطات الإسبانية، إضافة إلى تشديد ضغوطها على المخزن الذي رضخ للمطالب الفرنسية، وقطع كل صلاته بمقاومة الشيخ ماء العينين بالصحراء الأطلسية.

- لقد اعتمد الشيخ ماء العينين في عملية المقاومة أسلوباً قائماً على مواجهة قوات الإحتلال في المناطق التي سيطرت عليها هذا الأخير، وقد تمكن بهذه الاستراتيجية، من عرقلة تقدم القوات الفرنسية نحو الصحراء الغربية مدة خمس سنوات، كما استطاع الإبقاء على الحماية الإسبانية منحصرة في السواحل الأطلسية، وبالتالي يكون الشيخ قد أمن مدينته الفتية ضد أي عدوان خارجي، وأمن الحدود الجنوبية للمخزن كذلك. وبوفاة الشيخ ماء العينين، واحتلال الصحراء الغربية، أصبح المغرب الأقصى مفتوحاً أمام حملات التوسع الإستعماري، حيث تمكن الإستعمار الفرنسي بعد سنتين من وفاته، فرض الحماية على المغرب الأقصى.

- نجح الشيخ ماء العينين عن طريق فتاويه ومؤلفاته، من ترسيخ فكرة الجهاد في نفوس طلبته ومريديه من مختلف القبائل والجهات، وقد تمكن عن طريق هؤلاء التلاميذ من نشر فكرة الجهاد والمقاومة، لدى أغلب القبائل البيطانية من جهة، ومن ناحية أخرى كان للتلاميذ دوراً بارزاً في قيادة المعارك المسلحة في الجبهات. وبعد وفاته واصل الأمير سيدي أحمد ولد عيدة، زعامة مقاومة التلاميذ شمال أدرار، فيما قاد الشيخ أحمد الهية وباقي الطلبة، حركة الجهاد في الشمال الصحراوي والمغرب الأقصى.

ملاحق

## الملحق 01

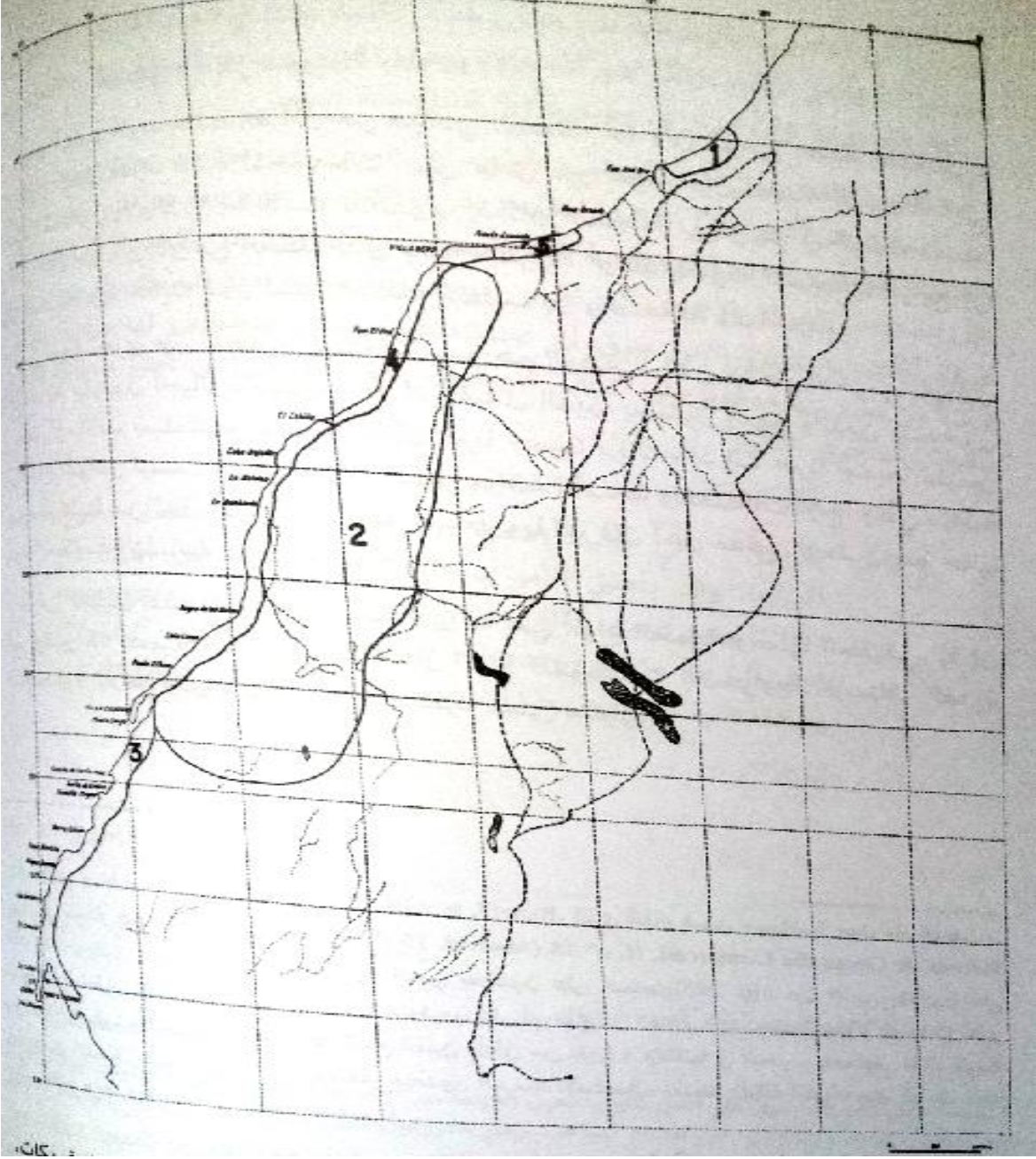


خريطة تبين مجال تموقع قبائل 1 أولاد دليم، 2 إزركين، 3-4 آيت لحس ويكوت.

المرجع: خوليو باروخا: مرجع سابق، ص 57.



## الملحق 03



خريطة تبين تموقع قبائل المحميون: 1 أولاد بوعيطة، 2 أولاد تيدرارين، 3 لميار، 4 لفويكات، 5 إمراكن.

المرجع: خوليو باروخا: مرجع سابق، ص 68.

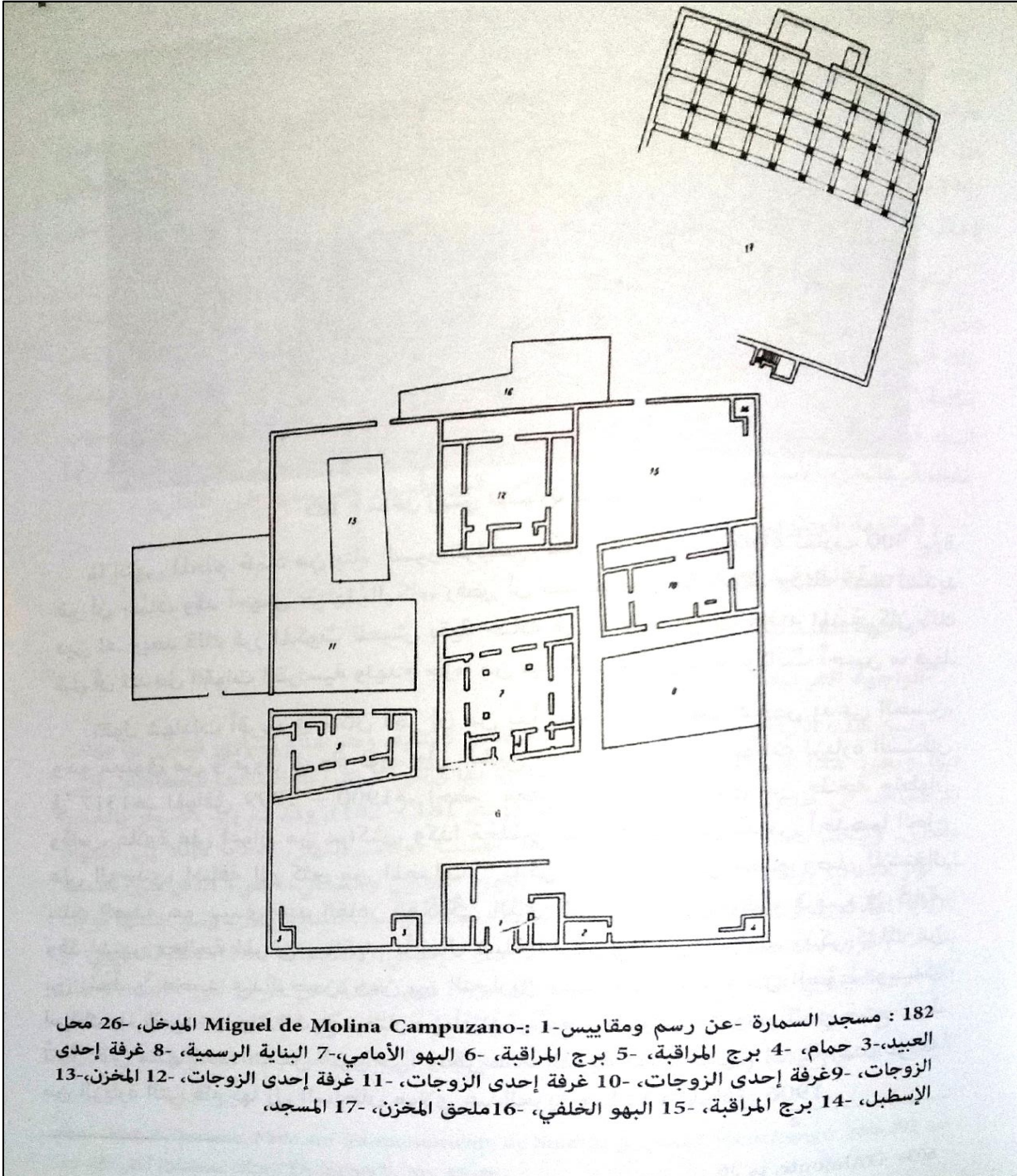


الجهر له وحده  
 وحسب الله على ولا تسمى  
 ويعرفه الشهرة ثم جند الشيخ ماء العينين شيخه الشيخ محمد وياض  
 ارض الصمارة التي احياها بعد ما كانت مواتا منذ الموات ارض كان عمر شيخ  
 منها من بلاد اوغرس وعينه له بعد رتة على وجه الاعراب وليست ما كاله يتصرف  
 كونهما وجميع ما انبغى في عمارته لها باخرة مغلقتها ودار الخ تسمى  
 شيخنا لها واحياها لها لاربع حلوق في صحراء عا 31 اكتوبر من شهر عليه  
 في الشهادة بتار يخه ويد شيخه الشيخ ماء العينين اعطاه الله قوة العينين  
 وعلم ما بالاعلى يشهد الكتاب في ما نحن في تاريخنا بتاريخ عبد الله بن باريد  
 الشيخ ماء العينين وفي الله الجميع والمسلمين والارباب  
 وعلى ما بالاعلى حره واحرف وتاريخنا بتاريخ يشهد الكاتب  
 الحضرة ابراهيم الشيخ احمد بن يد شيخه الشيخ ماء العينين  
 نصر الله المبين واعطاه فرنا العير والنبس والنبس  
 وانك كذا لك صر يد شيخه الشيخ ماء العينين مسند ابيد ابراهيم  
 يا يشهد على تسلم توقيع ولا تحرف وتاريخنا بتاريخ والسلم

وثيقة بخط الشيخ محمد بن عبد العزيز بن حامي، تثبت إعمار الشيخ ماء العينين لموضع السمارة.

المرجع: الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج 1، ص 592.

## الملحق 06.



مخطط عام لقصبة السمارة.

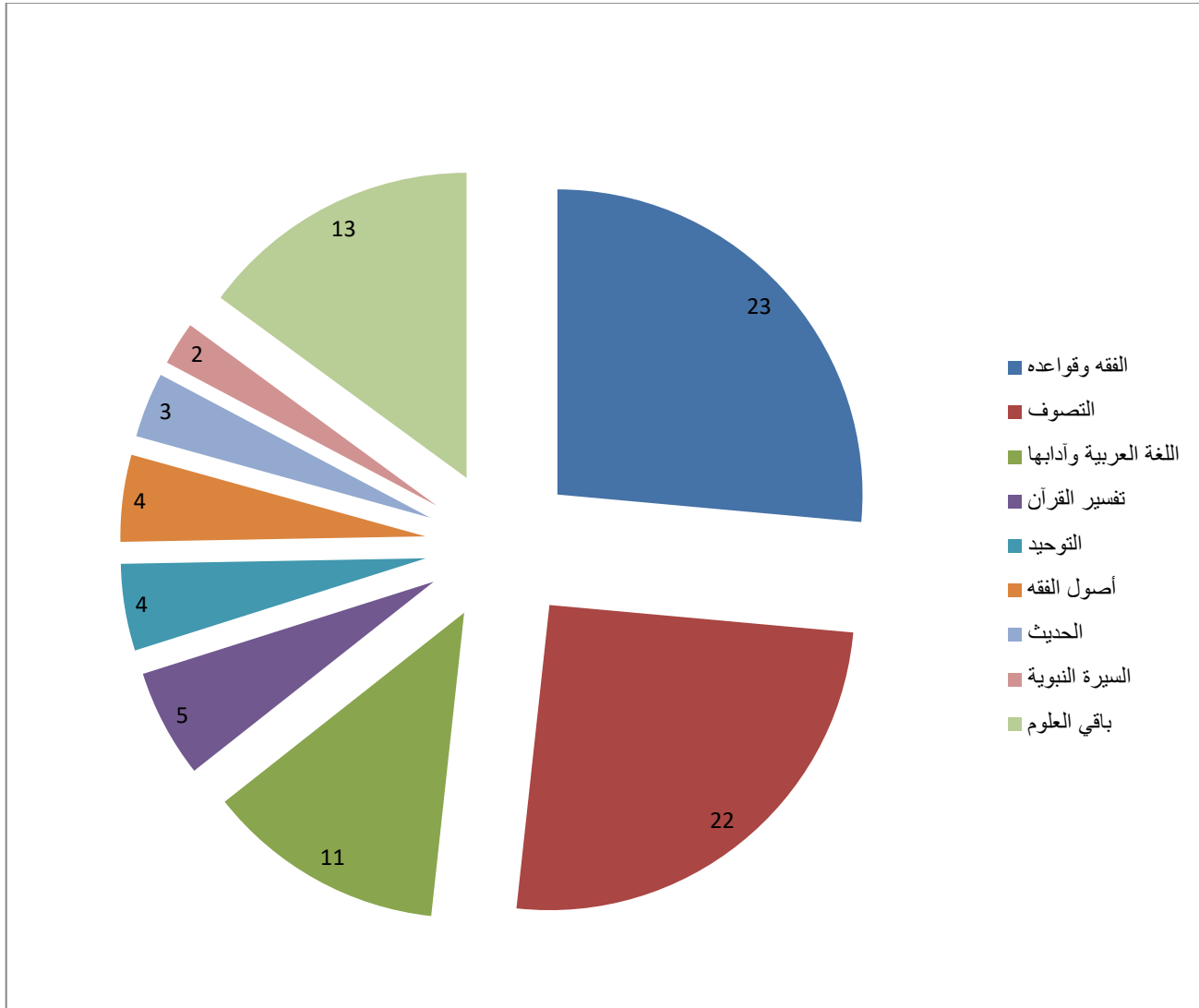
المرجع: خوليو باروخا: مرجع سابق، ص 427.







## الملحق 09.



دائرة نسبية تمثل أعداد مؤلفات الشيخ ماء العينين في كل علم من علوم عصره.

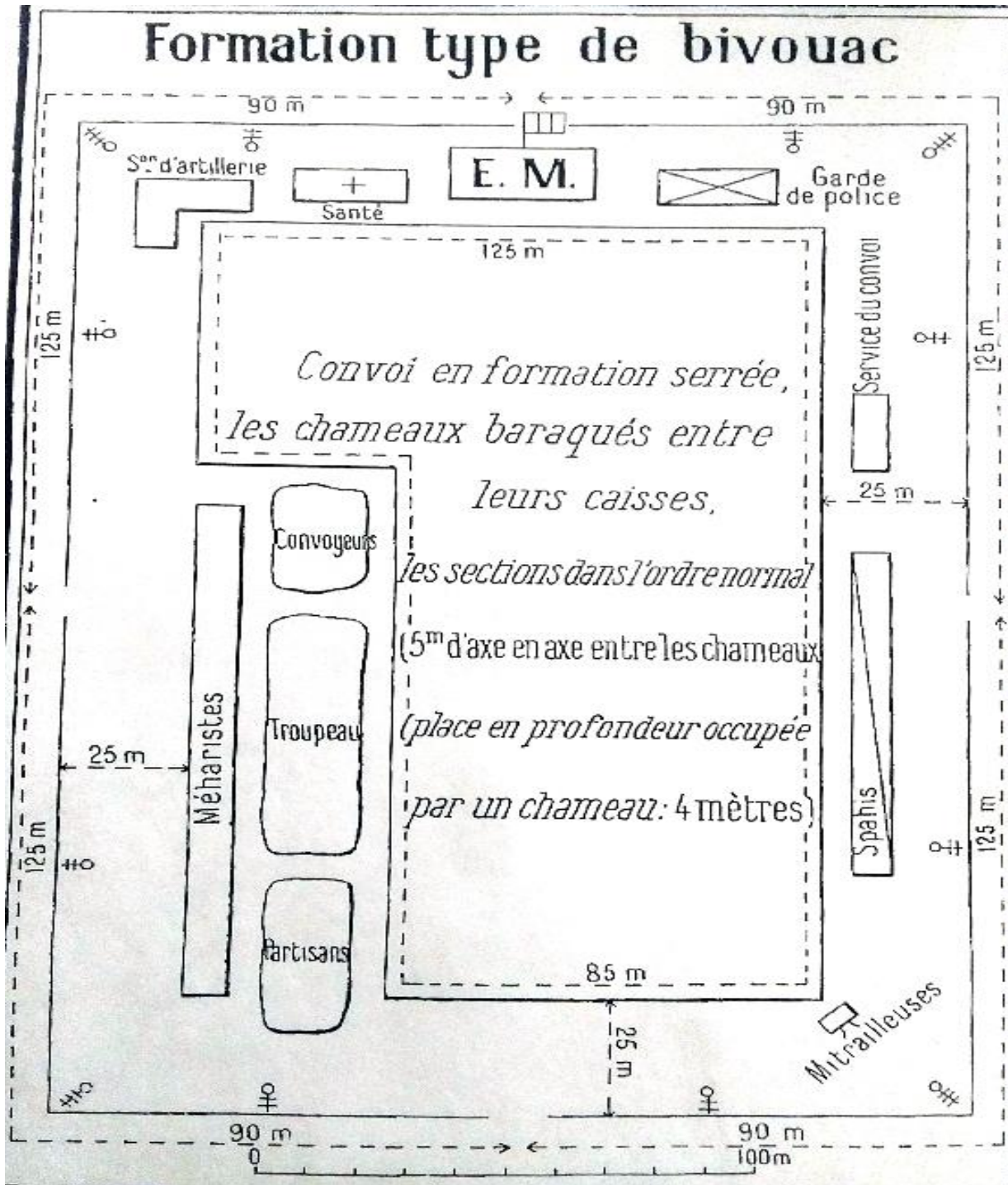


الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده  
 بعد ما بعد لهذا وانما بقصته غلبت على كل شيء وحودت في امره  
 وبه في السقالات خاضها وما في ذلك السواج من الاحوال مع انك  
 ادري بها ما وسع غير ما بعد حصر وعلم وعلمه ونسب وور  
 وكلمته مستلمة على من علمه وادراكه الله في علمه  
 وعزوه في سنده في عهد الغزير فنبعت مع السقاري  
 في المنهات واقبلوا قبالا عظيما واطلوا انه من القلبي  
 شعبة ونسب وف العزبة على الحفص وعبد المظفر  
 ما شيو اربعون كوكب مبلغ بجهد منظر الاعسر وها وعم  
 داروا هلكه العظيمة وغيره طداما بلعتا حشر شمس  
 واما المسلمون فلا سبهم منظر حليمه وعمس وون  
 واحد المسلمون غيبه منكم من السلاح فاصفوا  
 رماحه ونها ساربا ومعدا لكل حيمانه ونسبه  
 ر العدا وجبه وعبره الى لير واغنه خفيا  
 هذا ما في قصار حشر العزوة

واما في اثاره من  
 اربعون ولسه مع فقه من السقاري وقد صنف  
 ثلاثة عشر واحدا صنفه عشر من كتابه فيها  
 جميع عشر رماحه ولسه لهما عشر رماحه  
 واحدا عشر رماحه لهما لهما لهما لهما لهما

وثيقة مخطوطة تحتوي على رسالة كتبها الشيخ محمد الأعظف إلى والده الشيخ ماء العينين.

المرجع: الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص492.



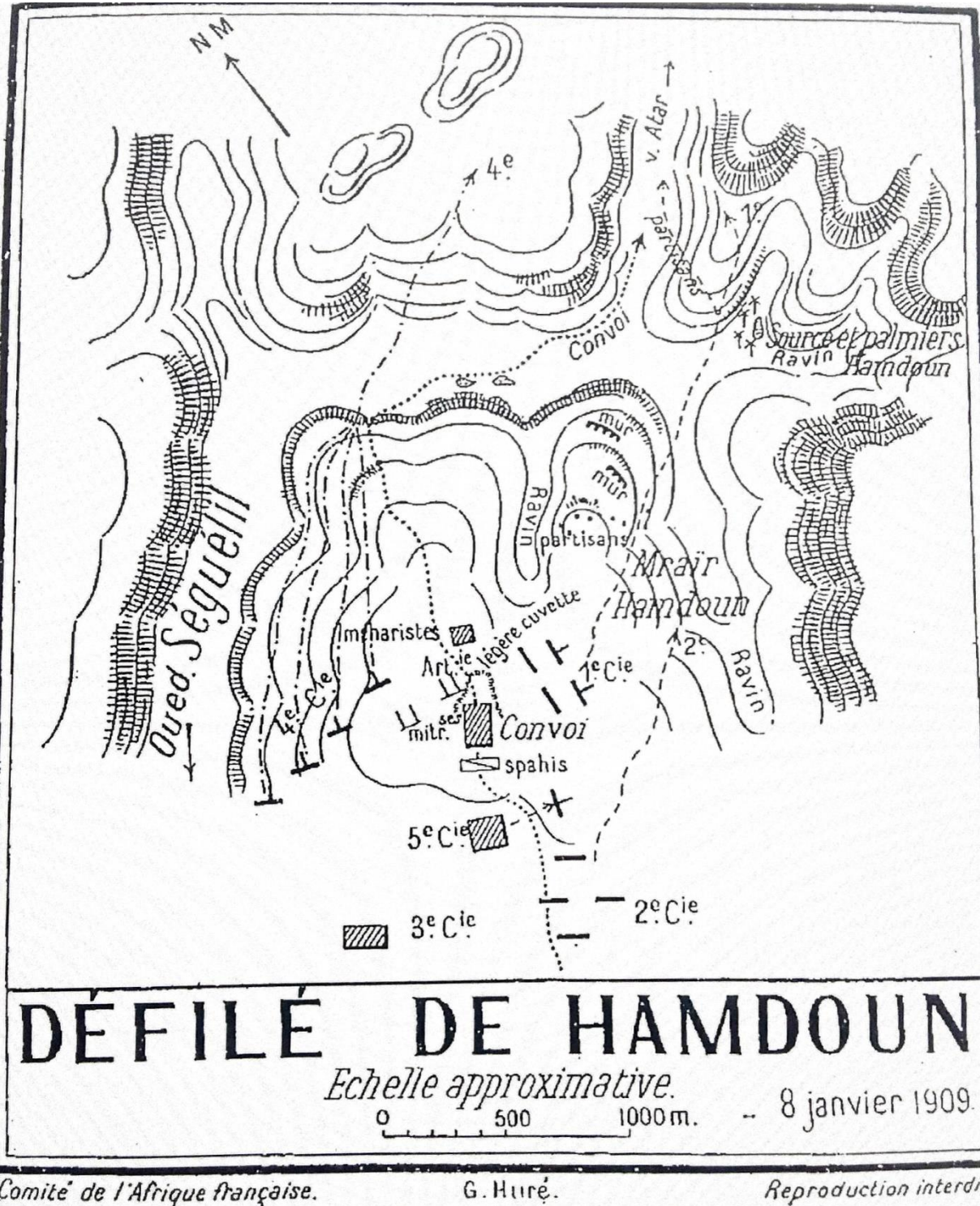
رسم مخطط لوضعية التشكيلات العسكرية الفرنسية، أثناء الزحف على ادرار.

المصدر: Gouraud Henri: op. cit, p28.

بسم الله الرحمن الرحيم  
 سرورنا معشر الاساقفة اننا ما اعتدنا رقتنا عن منة من  
 شرمك ابيد تقاضا فورا عبيدنا ابننا محمد بن محمد بن  
 ابي و...  
 مدد احد نحر من ريدار...  
 الرابع وما كتبت...  
 بطول العزوة العاجية والحكمة...  
 ولا بان...  
 الذب...  
 ان...  
 ان...  
 سلام...  
 طنا...  
 ونخرها...  
 ومن...  
 من...  
 ابتداء...  
 من...  
 ان...  
 عن...  
 محمد...  
 في...  
 عليه...

وثيقة مخطوطة تتضمن رسالة من الشيخ ماء العينين إلى نجله الشيخ حسا.

المرجع: الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: مرجع سابق، ج2، ص488.



رسم مخطط يوضح خطة الجيش الفرنسي لاحتراق مضائق حمدون.

المصدر: Gouraud Henri: op. cit, p71.







الملحق 17.



صورة للشيخ ماء العينين كما رسمها الرحالة الفرنسي كيمي دولس.

# البيليوغرافيا

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

### قائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

أولاً: المصادر.

أ- الأرشيف.

- الأرشيف الوطني ما وراء البحار بآكس-آن-بروفانس (فرنسا) (ANOM).

1. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour conséquence attaque Damane , Dakar, 20 Avril 1908.
2. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur la situation en Mauritanie, Dakar, 18 Mai 1908.
3. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur la situation en Mauritanie, Dakar, 06 juin 1908.
4. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour conséquence attaque Aslatt, Dakar, 09 juin 1908.
5. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour conséquence attaque El -Moinan, Dakar, 22 juin 1908.
6. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour la bataille de El -Moinan, Dakar, 24 juin 1908.
7. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur le centre Akjoucht, Dakar, 17 Aout 1908.
8. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur l'évacuation d' Akjoucht, Dakar, 25 Aout 1908.
9. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, Sur les batailles de la région de Tidjikdja, Dakar, 19 Aout 1908.
10. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, pour conséquence attaque Litaftar, Dakar, 19 Octobr 1908.

11. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, sur les événements de Boutilimit, Dakar, 28 Octobr 1908.
12. ANOM, V1-5, Dépêche Télégraphique, sur la bataille de Tandigha, Dakar, 02 Décembre 1908.
13. ANOM, V1-5, le (M. A. E) A Monsieur le (M.C) Au sujet Ma El Ainin, Paris, 22 avril 1910.
14. ANOM, V1-5, (D. S. M) – (D. A. P.A) – (S. D. A) Transmission d'un lettre d'Ahmed El Haiba Fils de Ma El Ainin, Dakar, 26 Mai 1910.
15. ANOM, V1-5, le (M. A. E) A Monsieur le (M.C) Au sujet Ma El Ainin, Paris, 28 juin 1910.

#### ب- المخطوطات.

16. بابا بن الشيخ سيديا: تاريخ أنساب صنهاجة في موريتانيا، مخطوط، نسخة مصورة بحوزتنا.
17. بوننا الفاضلي القلقي: تنوير الملويين في تاريخ شيخنا شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط، مكتبة محمد بوي، أطار، موريتانيا.
18. ابن العتيق ماء العينين: سحر البيان في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان، مخطوط، خزنة شبيها حمداتي ماء العينين، المغرب.
19. ابن مايا الجكني محمد العاقب: مجمع البحرين في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط، خزنة شبيها حمداتي ماء العينين، المغرب.
20. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: الإيضاح لبعض الاصطلاح، مخطوط، مكتبة مربيه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب.
21. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: المقاصد النورانية في ذكر من ذاته وصفاته متعالية، مخطوط، مكتبة مربيه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب.

22. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: سهل المرتقى في الحث على التقى، مخطوط، مكتبة مرييه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب.
23. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ناصرة الأصدقاء على الأعداء، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>.
24. ماء العينين بن محمد فاضل ابن مامين: فائدة في حديث ذو اليمين، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>.
25. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: الإخلاص في معنى سورة الإخلاص، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>.
26. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: المشرب الزلال في الصلاة على أفضل الرجال، مخطوط، مكتبة مرييه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب.
27. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: شفاء الأنفاس فيما ينفع الإنسان خصوصا الأضراس، مخطوط، خزانة الجيه ماء العينين، بيوكري المغرب.
28. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: قصيدة الشفاء، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>.
29. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: كفاية النبيه في فرض العين، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>.
30. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مفيد النساء والرجال في بيان بعض ما جاز من الإبدال، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>.
31. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: منور الأفهام في حكم الثلاثة أقسام، مخطوط، مكتبة مرييه بن سيدي محمد بن عبد العزيز حامي، واجان المغرب.
32. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: ياقوتة الولدان في علم البيان، مخطوط، خزانة ابي بكر بن تقي الله، المغرب.
33. مؤلف مجهول: ترجمة الشيخ ماء العينين، مخطوط، موقع الشيخ ماء العينين <http://www.cheikh-maelainin.com>.

34. مؤلف مجهول: وثيقة مخطوطة حول بناء السمارة، موقع الشيخ ماء العينين  
[./http://www.cheikh-maelainin.com](http://www.cheikh-maelainin.com)
35. النعمة محمد الغيث: الفواكه في كل حين من كلام شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط،  
 نسخة ميكرو فيلم، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، رقم د1434.
- ت- المصادر المطبوعة.  
 1) المصادر بالعربية.
36. ابي بكر بن محمد المصطفى: منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور، تح  
 محمد الأمين بن حمادي، Edition Ecole normale supérieure، Lyon، 2011.
37. أحمد الهبية: سراج الظلم فيما ينفع المعلم والمتعلم، تح محمد الظريف، دار ابي رقرق، الرباط،  
 2016.
38. الأمين الشنقيطي احمد: الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ط1، مطبعة محمد الخانجي  
 الكتبي وشركائه، مصر، 1339هـ.
39. البكري ابو عبيدالله: المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر،  
 1857.
40. بن حامد المختار: حياة موريتانيا حوادث السنين، تح سيدي أحمد بن أحمد سالم، (د. ن)،  
 (د.س).
41. بن محمد مخلوف محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها،  
 القاهرة، 1349هـ.
42. جليليه: التوغل في موريتانيا، تر محمدن ولد حمينا، دار الضياء، الكويت، (ب.س).
43. ابن خلدون عبد الرحمان: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من  
 ذوي الشأن الاكبر، 08 جزاء، دار الفكر، لبنان، 2000م.
44. ابن الشمس الشنقيطي احمد: النفحة الاحمدية، جزئين، المطبعة الجمالية، مصر، 1383هـ.
45. ابن العتيق ماء العينين: الرحلة المعينية، تح محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب،  
 1998.
46. ابن عذارى : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، الرباط، 1963، ج4.



47. غاستون دوفو: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق17-1920، تر. المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيه، مكتبة القرنين 21/15، انواكشوط، 2012.
48. الفاسي علال: التصوف الاسلامي في المغرب العربي، ط2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء المغرب، 2014.
49. ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل ابن مامين: المرافق على المواقف، دار ابن القيم، الرياض، (د.س).
50. ماء العينين ابن محمد فاضل ابن مامين: دليل الرفاق على شمس الاتفاق، تح البلعمشي احمد يكن، مطابع فضالة، المغرب، 1982، ج1.
51. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: السيف والموسى على قضية الخضر وموسى ، المطبعة الفاسية، المغرب، 1321هـ.
52. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ثمار المزهري، مطبعة حجرية، فاس، 1324هـ.
53. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ديوان الشيخ ماء العينين، المطبعة الحجرية، فاس، 1322هـ.
54. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: ضوء الدهور، المطبعة الفاسية، المغرب، (ب.س).
55. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: منظومة في العقائد الست والستين، المطبعة الفاسية، المغرب، (ب.س).
56. ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين: نظم الحكم العطائية، المطبعة الفاسية، المغرب، 1310هـ.
57. ماء العينين بن فاضل الشنقيطي: فاتق الرتق على راتق الفتق، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 2006.
58. ماء العينين بن محمد فاضل ابن مامين: الصلوات في فضل الصلوات، المطبعة الحجرية، فاس، 1321هـ.
59. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: إظهار الطريق المشتهر على اسمع ولا تغترر، المطبعة الفاسية، المغرب، 1321هـ.

60. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: المحققة في أخبار الخرقة، المطبعة الحجرية، فاس، 1321هـ.
61. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مبصر المشوف على منتخب التصوف، مطبعة حجرية، فاس، 1314هـ، ج2.
62. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مزيلة النكد عن لا يجب الحسد، إخراج وتعليق محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1998.
63. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مفيد الحاضر والبادية في شرح الأبيات الثمانية، مطبعة حجرية، فاس، 1316هـ.
64. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: مفيد السامع والمتكلم في أحكام التيمم والمتميم، المطبعة الحجرية، فاس، (ب.س).
65. ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: منتخب التصوف لكل ذي جهل وتعرف، مطبعة معوض أفندي فريد، مصر، 1298هـ.
66. ماء العينين محمد مصطفى: الاقدس على الانفس في اصول الفقه ويليّه تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، تح محمد بن احمد رفيق، دار ابن حزم، لبنان، 2015.
67. ماء العينين: نعت البدايات وتوصيف النهايات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د.س).
68. محمد سالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحي: جوامع المهمات في أمور الرقيبات، تح مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1992.
69. محمد مصطفى ماء العينين بن مامين: منيل المآرب للبشر شرح الكبريت الأحمر، تح أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ.
70. الناصري أحمد ابو العباس بن خالد: الاستقصاء لأخبار المغرب الاقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج3.
71. الوزان الحسن: وصف افريقيا، تر محمد حجي ومحمد الاخضر، الرباط-بيروت، 1983، ج2.

## 2) المصادر باللغة الأجنبية.

72. Camille Douls: Voyage dans le Sahara occidental et le sud Marocain, rouen imprimerie de espérance cagniard, 1888.
73. coppolani: analyse Regions occidentales et orientale des pays Trarza,(S.é),1899.
74. Fabert: Voyage dans le bayas des Trarza et dans Le Sahara occidental, BSGP, t.-XIII., 1892.
75. Gouraud Henri: La pacification de la Mauritanie: journal des marches et opérations de la colonne de l'Adrar, Comité de l'Afrique Française, Paris,1978.
76. Rapport D'ensemble année 1906: Territoire civil de la Mauritanie, Sant Louis, 1908.
77. René Leclerc: L'Action Française Au-Delà De L'extrême-sud Marocain, 1909.
78. Vuillemin G: Un pionnier de Mauritanie, le Commandant Frèrejean, In: Revue d'histoire des colonies, tome 36, n°125, premier trimestre 1949.
79. Vuillemin: Coppolani en Mauritanie, Revue d'histoire des colonies, tome 42, n°148-149, troisième et quatrième trimestres 1955.

ثانيا: المراجع.

أ- المراجع باللغة العربية.

80. احياء بن مسعود الطالبي: التراث الاصولي بالجنوب الغربي دراسة في المصادر والمناهج، مركز الدراسات والابحاث و احياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، 2012.

81. بلحداد نور الدين: التسرب الإسباني إلى شواطئ الصحراء، مطبعة المغارف الجديدة، الرباط، 2008.
82. بن حامد المختار: حياة موريتانيا "الجغرافيا"، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994، ج1.
83. بن منصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ج1.
84. بوبريك رحال: دراسات صحراوية، ط2، دار أبي رقرق، المغرب، 2008.
85. بول مارتى: القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني، تر محمد محمود ودادي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2001.
86. بول مارتى: دراسات حول الإسلام في موريتانيا، تر البكاي ولد عبد المالك، (د.ن)، طرابلس، 2009.
87. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، مطابع سلا، المغرب، 1423هـ/2002م، المجلد 15.
88. حسن احمد محمود: دور العرب في نشر الحضارة في غرب افريقيا، (ب.ن)، (ب.س).
89. دحمان محمد: سيدي إفني الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية 1934/1950، مطابع الرباط، المغرب، 2015.
90. زيبب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس، دار الامير، لبنان، 1995.
91. زيتون محمد: المسلمون في المغرب والاندلس، (ب.ن)، 1990.
92. سوس والصحراء تواصل ثقافي وحضاري: مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، تيزنيت، 1999.
93. السوسي محمد المختار: المعسول، 20 جزء، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء المغربية، 1961.
94. السوسي محمد المختار: سوسة العالمية، مطبعة فضالة، المحمدية(المغرب)، 1960.
95. الشيخ ماء العينين فكر وجهاد: تق اليزيد الراضي، النجاح الجديدة، المغرب، 2001.
96. صالح حسن الفضالة: الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.س).
97. الطالب أخيار بن الشيخ ماميننا: الشيخ ماء العينين علماء وامراء في مواجهة الاستعمار الاوروي، ط2، جزئين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011.

98. الفاسي عبد الله بن عبد السلام: ديوان عبد الله الفاسي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، المغرب، (ب.س)، ج1.
99. ماء العينين مربيه ربه: الشيخ ماء العينين ومعركة الداخلة 1885م، أعمال ندوة مدينة السمارة الحاضرة الروحية والجهادية في الصحراء، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، المغرب، 1999.
100. محمد بن سيدي محمد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الامام مالك، موريتانيا، 2008.
101. محمد حجي: فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، (ب.ن)، (ب.س).
102. محمّدو ولد محمّدن امين: المجتمع البيظاني في القرن ال19 قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الافريقية بجامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، 2001.
103. مقلد محمد يوسف: موريتانيا الحديثة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (ب.س).
104. من وثائق المنظمة الماركسية اللينينية المغربية "الى الامام" حول قضية الصحراء، طريقان لمعالجة مسألة الصحراء الغربية، (ب.ن)، 2006.
105. منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية اكادير: السمارة الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء، ط2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2002.
106. ناعمي مصطفى: الصحراء من خلال بلاد تكتة، منشورات عكاظ، الرباط، 1988.
107. النحوي الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، 1987.
108. ولد الحسين الناني: صحراء المثلثين وعلاقتها بشمال وغرب افريقيا من منتصف القرن 8/هـ الى نهاية القرن 11/هـم، تق محمد حجي، (ب.ن)، (ب.س).
109. ولد السالم حمّاه الله: دور موريتانيا في التواصل الفكري المشرقي -المغربي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2002.
110. ولد بيه محمد المحجوب: موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 15 / 21، موريتانيا، 2016.

ب- المراجع باللغة الأجنبية.

111. Gérard Crespo : Les Espagnols ou Maroc 1856-1975 De la guerre d'Afrique à l'indépendance du Sahara Espagnol, Edilivre, France, 2016.
112. Manuel Mulero Clemente: Los Territorios espanoles del Sahara y sus grupos Nomadas, El siglo, Las Palmas, 1945.
113. Max F Hubner: Die franzosische Sahara, Dietrich'sche Verlagsbuch handling, Leipzig, 1907.
114. Notes et Etudes Documentaires, Le Sahara Occidental Espagnol, Paris, 1950.
115. Paul Marty: les Tribus de la Haute Mauritanie, Paris, 1915.
116. Paul Marty: Les Fadelîa, Revue du Monde Musulman, tome 31°, Paris, Ernest Leroux, 1915-1916.
117. Tomas Garcia Figueras: Santa cruz de Mar Pequena – Ifni-Sahara, La accion de Espania en la costa Occidental de Africa, Edit. FE. 1941.

ت- الرسائل الجامعية.

118. شبية عبد الرحمان: لبانة المجاهدين وبغية الطالبين للعلامة المجاهد الشيخ سيدي مصطفى بن الشيخ ماء العينين "مرييه ربه" دراسة وتحقيق، بحث لنيل الاجازة، اشرف محمد الشنتوف، جامعة القرويين، كلية اصول الدين بتطوان، المغرب، 2010/2009.
119. علي بدوى سليمان: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1960/1903م)، مذكرة ماجستير، اشرف عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2003.

120. عمرون محمد: تطور نزاع الصحراء الغربية من الانسحاب الاسباني إلى مخطط بيكر الثاني 2005/1975، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور بوقارة حسين، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2006.
- ث- المجالات والملتقيات.
121. اركيي صلاح الدين: فئة لمعلمين في المجتمع القبلي البيضاني، عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد 19، 2017.
122. دحمان محمد: الكتابات التاريخية الإسبانية حول منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب قراءة سوسيو تاريخية، مجلة المناهل، العدد 89 و90، وزارة الثقافة المغربية، المغرب، 2011.
123. الرشيد حمزة: إضاءات تاريخية وشخصيات جهادية من الصحراء الشيخ ماء العينين نموذجاً، قوت القلوب، العدد 5 و6، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، 2015.
124. سيد سليمان حسن: ابعاد قضية الصحراء الغربية، دراسات افريقية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد 13، يونيو 1995.
125. شقلية احمد رمضان و جلال شوقي: الصحراء الغربية دراسة جغرافية، مجلة الدارة، العدد 04، دار الملك عبد العزيز، السعودية، 1402هـ.
126. الظريف محمد: مساهمة الشيخ ماء العينين في توحيد الطرق الصوفية، اعمال ندوة: مدينة السمارة - الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، المغرب، فبراير 1999.
127. ماء العينين حمداتي شبيها: الفكر السلفي عند الشيخ ماء العينين وأثره في مواجهة الاستعمار، أعمال ندوة: الحركة الجهادية في المغرب العربي - جمعية المحيط الثقافية، المغرب، 2010.
128. ماء العينين: جريدة السعادة، سياسية تجارية ادبية، طنجة، عدد 373، 2010/06/28.
129. محمد الأمين ولد أن: من أعلام موريتانيا: الشيخ سعد أبيه ودوره في منطقة نهر السنغال 1265هـ-1335هـ/ 1848-1917م، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة نواكشوط، العدد 25، 2018.
130. نعائم محمد: قراءة في كتاب: مقاومة شيوخ الزوايا للوجود الاستعماري الفرنسي بالمغرب من خلال جريدة السعادة (1907-1920)، قوت القلوب، العدد 8/7، نوفمبر 2017.

131. Rahal Boubrik : Fondateur et héritiers. La gestion d'un succession confrérique (Mauritanie), Etudes El Essais, Cahiers d'Études africaines, 159, XL-3, 2000.
132. Rahal Boubrik: Homme de religion et de résistance au Maghreb: Maal-Aynayn(1831-1910), the Magreb review, volume24, nos 1-2, 1999.
133. Pierre Bonte: La Politique coloniale Française et les Ahl Shaykh Ma al-cAynin. Jihad et résistances tribales, archivos, numéro 11, julio- diciembre 2011.



فهرس الأعلام

والقبائل

## فهرس الأعلام والقبائل

ا

- إبراهيم السوداني البوار: 143.
- إبراهيم بن أعلي بن محمد لحسن: 72.
- أبكاك: 197، 201، 208.
- أبكرال: 194.
- ابن الكلبي: 24.
- ابن حامي الغلاوي: 100.
- ابن حامي الغلاوي: 103، 104، 124.
- ابن حوقل: 33.
- ابن خلدون: 23، 24، 28، 32، 43.
- ابن عطاء الله السكندري: 151.
- ابن مقداد: 193، 203، 238.
- ابناء يحي بن عثمان: 72.
- أبو المهاجر دينار: 27.
- أبو دجانة الأنصاري: 36.
- ابي الوليد إسماعيل العطار: 59.
- ابي بكر بن عمر: 41.
- أبي زرع الفاسي: 14.
- ابي سعيد عثمان بن سعيد (بورش): 59.
- أبي هريرة: 59.
- إجاكوجا: 125.
- أحمد ابن الشمس الشنقيطي: 64، 86، 95، 98، 105، 106، 111، 112، 117، 118، 124، 127، 153، 220، 253.
- أحمد ابن علي الشيخ المصطفوي: 167.

- أحمد البرناوي بن علي بن أحمد البرناوي: 156.
- أحمد البرناوي بن علي: 94.
- أحمد التيجاني: 57، 64.
- أحمد الحبيب الفلاي: 59.
- أحمد العمراني الصوفي: 112.
- أحمد الهيبة بن ماء العينين: 58، 86، 88، 89، 95، 112، 113، 118، 119، 120، 125، 208، 251، 254.
- أحمد بن أباه: 204.
- أحمد بن اسويد احمد: 245.
- أحمد بن الأمير أحمد بن عيدة: 72، 202.
- أحمد بن الأمين الشنقيطي: 53، 78، 81، 82.
- أحمد بن الخياط الذكاري: 111، 114، 121، 122.
- أحمد بن الخياط الزكاري: 109.
- أحمد بن الشيخ: 235، 241.
- أحمد بن الغلاوي: 136.
- أحمد بن بوفريوه السباعي البقاري: 116.
- أحمد بن حبيب الله اليعقوبي: 95، 119.
- أحمد بن سيدي اعلي: 252.
- أحمد بن عبد العزيز بن حامي: 235.
- أحمد بن عبد الله الشمشوي: 95.
- أحمد بن عبد المولى العلمي الفاسي: 55.
- أحمد بن مليم: 203.
- أحمد بن محمد البشير الغلاوي: 122، 236.
- أحمد بن محمد الحنشي: 100، 101.
- أحمد بن محمد العباسي السناري: 111.
- أحمد بن محمد المجلسي: 94.

- أحمد بن محمد المختار الغلاوى: 101.
- أحمد بن موسى: 115.
- أحمد بوبىط: 203.
- أحمد سالم بن أعلى: 186، 187، 190، 191، 193، 194، 195.
- أحمد فال بن محمد الأمين: 96.
- أحمد محمود بن بكار: 199.
- أحمد هنون: 203.
- أحمد ولد الديق: 190، 250.
- أحمد ولد الديق: 228.
- أحمد ولد عيدة (أمىر ادرار): 106، 170، 202، 209، 210، 220، 225، 242، 246، 247، 248، 250، 255.
- أحمد ولد محمد سالم: 75.
- إحىاء بن مسعود الطالى: 135، 136.
- أختيار السوڤانى: 114.
- أختيار القلزمى الشنقىطى: 126، 127.
- أختيار بن الشىخ ماء العىنن: 208.
- اڤبىجة: 38.
- آڤڤ بن وائل: 24.
- إڤرىس الأكىر: 55.
- إڤرىس القائڤ العلوى: 116، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 219، 222، 224.
- إڤرىس بن يعىش: 112، 113، 123.
- إڤو الحاج: 118.
- إڤوعلى: 68، 104، 203، 220، 239.
- إڤوعلى: 195، 196، 197، 199، 200، 208، 213، 218، 239.
- إڤىشف: 38.

- إديشلي: 203، 225، 229، 233.
- إديعقوب: 38.
- أرنو: 225.
- أرنيست روم: 185.
- أزوافيط: 72.
- إسماعيل الشريف العلوي: 37.
- أصبير: 169،
- أعلي بن أحمد بن سالم الزفاطي الحنوسي: 72.
- أعلي بن مولود اليكوتي: 98.
- الاغلال: 68، 236، 237.
- أغلانة بنت الوالي: 70.
- أفيرجان: 194، 199، 200، 201، 202، 204، 232، 233، 239، 240،
- 242، 243، 244.
- أفريقش: 22.
- الإكاون: 41، 45.
- أكلوديل: 238، 244، 247، 250.
- آل الشيخ ماء العينين: 36، 37، 42، 43، 54.
- آل بارك الله: 102، 116.
- آل عبد الحي: 207.
- أالارد: 235.
- ألبُ بن عبد الرحمان أخليف: 208.
- ألودفار: 179.
- أمحمد بن عبد الله بن كروم: 192.
- إمراكن: 44، 45، 46.
- أميت: 231، 244، 247.
- إنجورن: 42.

- أندريو: 211، 212، 228.
- أنطونيو كانوفاس دي كاستيو: 166، 178، 179.
- أهل أبا ابراهيم: 34.
- أهل إبراهيم أوداود: 34.
- أهل ابيجاره: 35.
- أهل أحمد لعللي: 38.
- أهل اعمر ابيجة: 225.
- أهل الطالب المختار: 36، 54، 55، 56، 60، 61، 75، 187.
- أهل الطالب بن أحمد: 34.
- أهل بارك الله: 40، 43.
- أهل دادا: 34.
- أهل داود أوعبد الله: 42.
- أهل سيدي علال: 34.
- أهل عبد الله بن عمر: 34.
- أهل محمد سالم: 34.
- أوبير: 195، 227، 228.
- أوسعيد الزركي: 39.
- أولاد إبراهيم: 38.
- أولاد أبي السباع: 37، 79، 68، 42، 114، 116، 194، 202، 196، 207، 208، 211، 212.
- أولاد ابيير: 199.
- أولاد السيد: 192.
- أولاد الشيخ: 34.
- أولاد الطالب: 34، 250.
- أولاد اللب: 39، 42، 73، 250.
- أولاد امحمد بن اعلي: 39.

- أولاد بعمر: 167.
- أولاد بن منصور: 39.
- أولاد تيدرارين: 35، 36، 43، 51، 169.
- أولاد دامان: 190.
- أولاد داود بن محمد: 30.
- أولاد داود: 30، 34.
- أولاد دليم: 34، 35، 42، 71، 90، 111، 167، 179، 171، 246، 250.
- أولاد رزق: 30.
- أولاد سدوم: 39.
- أولاد عقبة: 30.
- أولاد علي ولد داود: 42.
- أولاد غيلان: 207، 208، 246.
- أولاد لحسن: 34.
- أولاد مبارك: 30.
- أولاد موساني: 38.
- أولاد موسى: 34.
- أولاد نغماش: 192.
- أولاد يحي بن عثمان: 30، 220.
- أولاد يونس: 30.
- آيت بلا: 42.
- آيت لجمال: 42.
- آيت لحسن: 42، 72، 73.
- آيت محمد ولد لحسن: 42.
- آيت مسعود: 39.
- آيت موسى: 168.
- ايتوسة: 72.

- إيتوشن: 73.
- ايتياف: 199.
- إيدوشر: 38.
- إيفرار: 231.
- ايميليو بونيلي: 166، 167، 169.

## ب

- بابا أحمد: 101، 169.
- بابا ولد الشيخ سيديا: 43.
- بابلون: 227، 243، 244، 246، 247.
- بارك الله الدليمي: 106.
- بارك الله بن العتيق الشمشوي: 95.
- باروخا: 43، 45، 50، 59، 61، 73، 75، 77، 78، 79.
- بارون لاهير: 169.
- بالي: 184، 185.
- البرابيش: 30، 73.
- براند: 194.
- البربر: 21، 22، 23، 24، 26، 27، 31.
- بسمارك: 164.
- بكار ولد اسويد أحمد: 195، 197، 200، 201.
- بكالري ديالو: 247.
- البكري: 13، 22، 28، 32.
- بلوميه: 239.
- بنس: 224.
- بنو حسان: 29، 30، 34، 191، 192.
- بنو سليم: 29، 30.



- بنو هلال: 29، 30.
- بحدل بن اللب: 39.
- بول مارتى: 35، 55، 60، 63، 78.
- بيريجى: 228.
- البيضان (البيضان): 14، 41، 44، 45، 47، 48، 50، 51، 21، 104، 183، 187، 189، 194، 196، 204، 221، 226، 227، 228، 230، 231، 234، 237، 239، 240، 242، 248، 254.
- البيهات: 34.

### ت

- تجكانت: 37، 70، 71، 124، 199، 207، 220.
- ترانشات: 233.
- ترغة: 33.
- تشامبر: 234.
- تكنة: 38، 42، 246.
- تنواجيو: 208.
- التهامى المكناسى: 114، 115.
- توبالت: 39.
- توماس غارسيا فيغراس: 162، 176.
- تيسو: 211.

### ج

- جالو بولون دياز: 78.
- جالوت: 23.
- الجاه بن المعيوف: 232.
- جريبر: 226.

- جعفر بن ابي طالب: 30، 38.
- جعفر بن ادريس الكتاني: 111.
- جناش: 165.
- جون إبانيش: 162.
- الجيتول: 31.
- جيلالي بن سرحان: 235، 239، 241.
- جيليه: 186، 187، 198، 200، 202، 204، 211، 212، 213، 221، 226، 233.
- الجيه بن الشيخ محمد فاضل: 250.
- الجيه ولد الشيخ ماء العينين: 155.

## ح

- أحميدة بن اللب: 39.
- الحاج محمد بريتيل: 109.
- الحافظ ابن انبال: 86.
- حام بن نوح عليه السلام: 22.
- حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة: 28.
- الحراطين: 41، 44.
- حسان بن النعمان: 27.
- الحسن الأول الشريف العلوي (السلطان): 66، 75، 76، 113، 115، 116، 164، 169، 176، 177.
- الحسن بن سيد أحمد الحسن: 98.
- الحسن بن محمد الزرهوني: 109.
- حسنا بن الشيخ المامي البخاري: 242.

- حسنا بن الشيخ ماء العينين: 89، 120، 203، 208، 210، 214، 215، 218،  
224، 225، 226، 229، 235، 237، 240، 242، 243، 245، 251،  
255.

- الحسين بن محمد العروسي: 106.  
- حماد ولد علي ولد عمر الفاسي: 79.  
- حماه الله ولد السالم: 13.  
- حمير: 22، 23.

### خ

- أحدىجتنا بنت الشيخ ماء العينين: 89.  
- الخرشبي بن عبد الله الحاجي: 102.  
- الخضرامي بن الشيخ احمد السباعي: 78، 86.  
- الخضرامي بن الشيخ محمد الأمين: 119، 167.  
- الخضرامي بن الشيخ محمد فاضل:  
- خهاو رودريغز: 162.  
- خوسي ألبريث: 167.  
- خوليو ثريبيرا: 168، 172، 176.

### د

- داود بن اللب: 39.  
- دبلان: 186.  
- دو لافو غويو: 198.  
- الدوبلاي: 209.  
- دونالد ماكيتري: 164، 169، 170.  
- دي سولير: 235.  
- دي فرانسوا: 211.

- دي لابرير: 234، 239.
- دبير تيوس: 244، 248، 249، 250.
- الديد بن محمد عبد الله: 193.
- ديفور: 195.
- ديلكاسي: 173، 178، 179، 180، 181، 182.

ر

- ربعة بنت الشيخ محمد فاضل: 98.
- الرحالة: 196.
- رحال بوبريك: 42، 44، 46، 73.
- رقيبات الساحل: 34.
- رقيبات الشرق (القواسم): 34.
- الرقيبات: 33، 42، 43، 51، 68، 78، 207، 208، 211، 246، 250.
- الرماطين: 38.
- روبول: 236.
- روبيرت: 234، 239.
- رومانونيس: 180.
- ريبو: 225، 226.
- رينييه لوكلير: 216.

ز

- ازركيين: 38، 42، 51، 168، 179.
- ازناكية: 41، 42، 43، 54.
- ازوافيط: 38.
- زروق الفاسي: 63.
- الزلامطة: 38.

- الزواىا: 41، 43، 125، 191.
- الزىن بن البكاى القلزمى: 104، 127.

س

- السامورى: 189.
- سعد بوه: 58، 62، 63، 177، 187، 188، 189، 192، 206، 209.
- سعىد الزركى: 38.
- سلام (قباثل): 35.
- سلبىلا: 179،
- السمامىد: 101، 220.
- سن على كلن: 56.
- السواعد: 34.
- سولىر: 227.
- سىد أحمد الرقىبى: 34.
- سىد أحمد لعروسى: 35، 74، 98.
- سىد الخىر بن الشىخ محمد فاضل: 184.
- سىدى ابراهىم: 35.
- سىدى أحمد بوغمبور: 35، 36.
- سىدى اعمر الهامل: 37.
- سىدى التناوجوى: 59.
- سىدى امبارك ولد أحمد بها: 79.
- سىدى أوسىدى: 39.
- سىدى بن محمد فال: 186، 191، 252.
- سىدى بوبكر: 42.
- سىدى بومدىن: 35.
- سىدى بومهدى: 35.

- سيدي جامع: 39.
- سيدي حرمة: 240.
- سيدي هية: 93، 94.
- سيديا الصحراوي البكري التميمي: 93.
- سيديا بابا: 188، 189، 192، 199، 206، 209، 245، 249.
- سيكولي: 193، 194، 198.
- السيوطي: 137.

### ش

- شارل صولير: 170.
- الشاطبي: 131، 134.
- شتراتيت: 197، 201، 208.
- الشرف: 41، 42.
- الشريف ولد مولاي الزين: 203.
- شفاغ الخطاط: 73.
- شميت: 225، 226.
- الشناكلة: 35.
- شهاب الدين القسطلاني: 158.
- شوفو: 194، 195.
- شوقي الجمل: 15.
- الشوكة: 212.

### ص

- الصرنكة: 42.
- صنهاجة: 22، 23، 24، 31، 32، 33، 49، 197.
- صوليه: 61.

ط

- الطالب أختيار بن الشيخ مامينا: 68، 75، 78، 82، 86، 114، 213، 220، 227، 228، 240.
- الطالب أختيار: 55، 57، 214.
- الطالب اعلي: 35، 56.
- الطالب أعمار الكتري: 59.
- الطالب المختار (الجييه): 55، 56، 63، 94.
- الطالب سيدي أحمد الهيبة: 56.
- الطالب عبد الله: 56.
- الطالب محمد (ابي الأنوار): 56، 62، 63.
- الطالب محمد لحبيب: 56، 63.
- الطاهر الإفراي: 113، 252، 254.
- الطبري: 24.
- الطوارق: 29، 40، 209.

ع

- العالية بنت الشيخ ماء العينين: 89.
- عبد الباقي بن أحمد بن أعلي مولود المسومي: 58، 59.
- عبد الجليل بن أحماد بن إبراهيم: 72.
- عبد الحفيظ العلوي (السلطان): 114، 115، 221، 222، 223، 251، 252، 253.
- عبد الرحمان أفندي: 69، 108.
- عبد الرحمان الشريف العلوي (السلطان): 68، 69، 70، 74، 76.
- عبد الرحمان الكتري: 110.
- عبد الرحمان الوجدي: 126.
- عبد الرحمان بن القاضي الفاسي: 59.

- عبد الرحمان بن حبيب: 28.
- عبد الرحمان بن محمد: 59.
- عبد السلام القلبي: 123.
- عبد السلام بن أحمد المشيشي: 113.
- عبد السلام بن امشيش: 106.
- عبد السلام بن رزوق العرائشي الصوفي: 108.
- عبد السلام ولد الشيخ مفتاح: 155.
- عبد العزيز الجرجاني: 24.
- عبد العزيز الشريف العلوي (السلطان): 115، 116، 206، 207، 214، 216، 217، 220، 221، 222، 251.
- عبد القادر الجيلاني: 62، 63.
- عبد القادر الفكيكي: 79، 128.
- عبد القادر بن النعمان السباعي البقاري: 116.
- عبد القادر بن محمد أبي نور الكيالي: 152.
- عبد القادر بن محمد الوزان: 109.
- عبد القادر بن محمد بن محمد سالم: 137.
- عبد الله ابن باريك الجكني: 78، 225، 227، 228.
- عبد الله ابن جنوب: 103، 104.
- عبد الله الفاسي الفهري: 111، 112.
- عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي: 13.
- عبد الله بن أبي السرح: 26.
- عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي: 137.
- عبد الله بن الخضر بن باريك الجكني: 100.
- عبد الله بن بركني: 193.
- عبد الله بن محمدن الحسيني: 103.
- عبد الله محمد بن محمد الرعييني: 135.



- عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري: 135.
- عبد الملك بن مروان: 27.
- عبد الواحد الفهري الفاسي: 114.
- عبد الوهاب بن منصور: 24.
- عبداتي بن الشيخ المعلوم البصادي: 97.
- العبيد: 44، 41.
- عثمان بن بكار: 210، 214.
- عثمان بن عفان: 26.
- عثمان ولد الفضيل: 201.
- العرب: 21، 25، 31.
- العربي بن علي السباعي: 116.
- العروسيين: 35، 43، 51، 71، 73، 74، 90، 167، 207.
- عقبة الخضرامي: 62، 63.
- عقبة بن نافع: 26، 27، 28، 32.
- علال الفاسي: 55، 62، 115.
- علي الوجدي: 79.
- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: 55، 63.
- علي بن اللب: 39.
- علي بن جاك: 124.
- علي بن شمس الدين: 55، 56.
- العمالقة: 22.
- عمر بن العاص: 25، 26.
- عمر بوسبع: 37.
- عمران بوسبع: 37.
- عيشة بنت الناجم: 70.
- وعبد الله بن الهاشمي ابن خضراء السلاوي: 109.

## غ

- غاستون دوفو: 186، 187، 198، 204، 213، 214، 217، 220، 228، 229.
- غاستون دوميرغو: 192.
- غبريال ماورا: 181.
- الغمارات بن الجليل: 209.
- غورو: 223، 232، 236، 238، 240، 241، 242، 243، 245، 247، 248، 250، 252.

## ف

- فرانسيسكو بنس أرجونادا: 176.
- فرانسيسكو كيروغا: 168.
- الفقرة: 34.
- فلوريت: 212.
- فيكس: 243.
- فيلالة: 36، 42.
- فيليب ريزو: 168.
- فيليب: 196، 212.
- فيليمان: 196، 202.
- فيوليت: 239.

## ق

- القاسم بن ابراهيم الدكالي: 59.
- القبط: 22.
- قريش: 22.
- القلاقمة: 54، 55، 56.

- القلقشندي: 24.

### ك

- كارل بروكلمان: 26.
- كاستون دونيت: 171.
- كامى: 234.
- الكاهنة: 27.
- كتامة: 22، 23، 24.
- كدالة: 22، 31، 32، 33.
- كراتيس: 195.
- الكرن (قبائل): 40.
- كزافييه كوبولاني: 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191،  
192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 201، 202، 203،  
204، 206، 208، 238، 246.
- كزولة: 33.
- كسيلة: 27.
- كليمانتي: 35، 38، 46.
- كنتة: 195، 218.
- كنعان بن حام: 23.
- كوتاس: 227.
- الكوري بن الشويخ: 203.
- كويسبي: 229، 231، 243.
- كيساريو فيرنانديز دورو: 180.
- كيمي دولس: 170، 172.
- كيهين: 243.

### ل

- لاروك: 231.
- لاماري: 184.
- اللب بن شويخ: 39، 42.
- لحبيب بن بيروك: 169.
- لفيكات: 39، 44.
- لكواليل: 38.
- لمتونة: 23، 32، 33، 49، 197، 220.
- لمعلمين: 41، 44، 45.
- لميار: 39، 44.
- لواتة: 26.
- لوغيس: 228.
- ليستر دي ري: 195، 199.
- ليوبولد الثاني: 169، 170.
- ليون دي كاستيوا: 173، 174، 176، 178، 179، 180، 181، 182.

م

- مازيغ: 23.
- ماء العينين ابن العتيق: 54، 62، 63، 58، 64، 81، 86، 116، 121، 127.
- 149، 159، 167، 221، 251، 254.
- ماء العينين أصبي: 94.
- ماء العينين: 36، 53، 54، 55، 56، 57، 63، 62، 58، 64، 65، 66، 68.
- 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 81، 82، 83، 84.
- 86، 85، 87، 88، 89، 90، 91، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100.
- 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111.
- 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122.

- 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 131، 132، 135، 136،  
 138، 139، 140، 141، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149،  
 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160،  
 163، 164، 167، 169، 170، 171، 176، 177، 179، 183، 187، 189،  
 198، 201، 202، 206، 207، 208، 209، 210، 213، 214، 215،  
 217، 218، 220، 221، 222، 223، 224، 230، 233، 236، 242،  
 245، 250، 251، 252، 253، 254، 255.
- ماركنى: 234.  
 - مالافوس: 233.  
 - المامى بن البخارى القرعى: 121.  
 - المامى بن المختار الدلىمى: 107.  
 - مامىن: 55، 57، 62، 59، 64.  
 - مانجان: 229، 230، 231.  
 - ماورىس: 226.  
 - ماى: 248.  
 - مجاط: 40، 44،  
 - المحارىبن (حسان): 41، 60.  
 - محمد ابن أحمد المانوزى: 88.  
 - محمد ابن ادرىس القادرى الصوفى: 110، 111.  
 - محمد إبن المختار التىشىتى: 104.  
 - محمد ابن عبد العزىز: 86.  
 - محمد الأعظف بن مصباح الدين: 103، 104.  
 - محمد الأعظف: 224، 228، 230.  
 - محمد الإمام بن ماء العىنبن: 125.  
 - محمد الأمىن القلقمى: 86.  
 - محمد الأمىن بن أحمد مزىد الحكىنى: 70.

- محمد الأمين بن الطاهر البصادي: 99.
- محمد الأمين بن محمد محمود: 96.
- محمد الأنصاري الولاقي: 101.
- محمد الحسن بن القائد ادريس بن يعيش: 209.
- محمد الخضر بن مايايا: 215.
- محمد الخضرام بن الشيخ محمد الأمين: 98.
- محمد الدرباكي السباعي: 116.
- محمد السالم بن الهاشمي السملالي: 99.
- محمد السالم بن حابوس: 124.
- محمد الشريف الحسني: 59.
- محمد الضوء السباعي البقاري: 116.
- محمد العاقب ابن مايايا الحكني: 55، 58، 62، 63، 86، 124، 127، 159.
- محمد العتيك بن محمد الشنقيطي: 100.
- محمد القادري الصوفي: 108.
- محمد الكتاني الصوفي: 110.
- محمد الكتاني الصوفي: 110.
- محمد الكنتي الصغير: 73.
- محمد المأمون: 116.
- محمد المختار السوسي: 81، 82، 87، 88.
- محمد المختار الكنتي: 197، 201، 203.
- محمد المختار بلعمش: 71.
- محمد المختار بن حامد: 208، 210، 215، 233، 234.
- محمد المختار بن سيدي محمد بن الشريف: 97.
- محمد المصطفي بن الشيخ محمد فاضل: 68.
- محمد المهدي البربوشي: 104، 105.
- محمد بابا لصحراوي: 125.

- محمد بن أحمد ابن الحاج السلمي: 109.
- محمد بن أعلي بونا الفاغي: 227.
- محمد بن السيد الدليمي: 226.
- محمد بن السيد حسن: 158.
- محمد بن الصالح بن الطالب محمود (القريشي): 59.
- محمد بن الطيب الصبحي: 109.
- محمد بن امبارك بن الشيخ المعلوم: 99.
- محمد بن انباله التيشيبي: 127.
- محمد بن أنبال: 123.
- محمد بن بيروك: 164.
- محمد بن حامي الغلاوي: 78، 226، 227، 230، 235.
- محمد بن حبت الغلاوي: 208، 249.
- محمد بن عبد الرحمان (السلطان): 75.
- محمد بن عبد الله السلطان العلوي: 163.
- محمد بن مولاي القاسم: 105.
- محمد تقي الدين: 249.
- محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: 24، 42، 63، 59، 66.
- محمد سالم الصحراوي: 102.
- محمد سالم المجلسي: 96، 241.
- محمد سالم بن حابوس التقاطي: 86.
- محمد سيديا بن برو: 245.
- محمد شين: 197.
- محمد عبد الجليل بن الشيخ القاضي: 195.
- محمد عبد الرحمان بن المبارك القناني: 102.
- محمد عبد الله بن تكررور اليعقوبي: 148.
- محمد عبد الله بن جنوب: 103.

- محمد عبد الله بن محمد المختار اليعقوبي: 97.
- محمد عبد الله بن مختار بن تكررور: 90.
- محمد علي التتمزي: 59.
- محمد فاضل بن الحبيب اليعقوبي: 58.
- محمد فاضل بن مامين: 53، 54، 55، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 64، 66، 68، 90، 94، 124، 158، 187.
- محمد فاضل بن محمد الحسن: 143.
- محمد فاضل بن محمد بن أعبيدي: 71، 72.
- محمد فاضل بن محمد ناجم: 187، 188.
- محمد فال: 186.
- محمد محمود البيضاوي: 86.
- محمد مخلوف: 90.
- محمد ولد خوننا: 197.
- محمدو ولد محمدان امين: 30.
- المختار الكبير الكنتي: 55، 60، 59.
- المختار بن ابيش: 240.
- المختار بن أحمد بن عثمان التواجيوي: 57، 252.
- المختار بن حامد: 28.
- المدني الغرقي: 209.
- المدني بن المبارك الفيلاي المراكشي: 116.
- مربيه ربه: 86، 89، 113، 119، 120، 209، 220.
- المستنصر بالله: 29.
- المسعودي: 24.
- مسوفة: 23، 32.
- مُضر: 22.
- معاوية بن أبي سفيان: 26.



- معاوية بن حديج: 26.
- المعز بن باديس: 29.
- المغيلي: 45.
- المثلثين: 13، 14، 21، 29، 31.
- مليكة بنت الدرجة: 74.
- المناصير: 35، 44.
- المهدي الوزاني: 109.
- موانيه: 253.
- الموذنين: 34.
- مورييه: 87.
- موسى بن أفيفة: 39.
- موسى بن النصير: 29.
- موسى كوليبالي: 247.
- موسي بن سيدي أحمد بوغمبرور: 35.
- ميمونة بنت احمد بن علي: 73.

## ن

- النابي ولد الحسين: 14، 23، 25، 33.
- الأنصار: 38.
- النعمان بن حمي: 23.
- النعمة (صاحب الفواكه): 86،
- النعمة بن التراد القلّمي: 105،
- النعمة بن ماء العينين: 89، 90، 94، 119، 247.
- نغزة: 26.
- نفوسة: 26.
- نوصيدال: 181.

- النומר بوسبع: 37.

ه

- الهاشمي بن الحنفي: 88.
- هدارة: 113.
- هلال بن ثوران اللواتي: 27.
- هوارة: 26.
- هومان: 172.

و

- والو: 231.
- ولد حامدون: 45.
- الولي بن الشيخ ماء العينين: 246، 249.

ي

- يحظيه: 93.
- يحي الأول: 55،
- يحي التادلي: 56،
- يحي الصغير: 56، 63.
- يكوت: 38.

# فهرس الأماكن والبلدان

## فهرس الأماكن والبلدان.

ا

- آبار دامان: 226، 227.
- أخروفة: 191، 193، 196، 218.
- ادرار: 28، 37، 54، 71، 73، 78، 82، 94، 101، 106، 121، 122، 168، 170، 173، 177، 179، 189، 192، 197، 198، 201، 203، 204، 210، 211، 212، 215، 216، 217، 218، 223، 225، 229، 230، 238، 239، 240، 241، 245، 249، 251، 252.
- إندون العلوشية: 230.
- أركين: 162، 163، 170.
- أروان: 13.
- أزويكة: 242.
- إسبانيا: 78، 162، 163، 164، 169، 171، 172، 172، 173، 174، 176، 178، 179، 180، 181، 182، 206، 224.
- اسديمات: 74.
- أطار: 106، 240، 242، 244، 245، 246، 248، 249.
- أعكيلة الرفكة: 225، 227.
- اعكيلة النعجة: 218، 240.
- أغرمست: 246.
- أفران: 113.
- افريقيا الغربية: 33، 118، 162، 164، 165، 209، 210.
- إقيدي: 70.
- أكجوجت: 225، 226، 227، 228، 231، 232، 233، 235.
- أكرارت الفرس: 241، 242.
- اكردوس: 40، 88، 99، 119، 120، 126.

- إكرزيم: 75، 113.
- أكلال فاي: 191.
- اكلميم: 82.
- أكنينت التكويت: 227.
- اكنينت التيكويت: 104.
- ألاك: 193، 195، 228، 235.
- ألمانيا: 164، 190.
- إليغ: 113.
- أليكانتي: 172.
- أم العويتكات: 232.
- أماطيل: 241، 242، 243، 244.
- أمخيترات تمادي: 227.
- آميت: 223.
- انشيري: 104، 223، 224، 225، 226، 232، 233.
- أودغست: 29، 32.
- إيجل: 174، 172، 175.

## ب

- باريس: 112، 173، 180، 182، 198.
- البراكنة: 102، 186، 189، 192، 193، 194، 195، 196، 208، 212، 218، 220، 239.
- البرتغال: 162، 164.
- برلين: 164، 171، 172، 182.
- بريطانيا: 164، 171، 174، 180، 190.
- بغداد: 29.
- بكة: 194، 195.

- بلاد التكرور: 27.
- بلاد الساحل: 75.
- بلاد فارس: 25.
- بلجيكا: 169، 180.
- بوتلميت: 235.
- بوجادور: 17، 76، 178.
- بودور: 193، 235.
- بوقادوم: 200.

### ت

- تادلة: 253.
- تارودانت: 39.
- تازة: 180.
- تافيلالت: 27.
- تالمست: 229، 231.
- تامورت الحاج: 199.
- تجكجة: 117، 200، 201، 204، 211، 213، 214، 215، 223،
- الترازة: 102، 103، 163، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191،
- 192، 193، 196، 198، 200، 208، 220، 223، 225، 233، 238،
- 239، 248، 250.
- تطوان: 163.
- تكانت: 56، 102، 184، 189، 193، 195، 197، 198، 199، 200،
- 202، 208، 212، 218، 229، 233، 235، 236، 238، 239.
- تكبة: 124.
- تل البدر: 199.
- تمبكتو: 56، 59، 165.

- تمنطيط: 30.
- تندوف: 18، 32، 37، 38، 49، 71، 72، 77، 114.
- توات: 30، 45، 165.
- تورشين: 63.
- تورين: 246، 250.
- تونس: 35، 109.
- تيدرة: 170.
- تيرس: 68، 73، 75، 94، 95، 102، 103، 106، 119، 125.
- تيزنيت: 37، 49، 53، 87، 88، 93، 94، 102، 110، 113، 119، 120، 131، 251، 252، 253، 254.
- تيشيت: 86، 123، 184، 250، 255.

### ج

- الجزائر: 14، 16، 17، 18، 63، 65، 76، 109، 183، 184، 203.
- جزر الكناري: 16، 162، 165، 166، 224.
- جزيرة العرب: 24، 25.
- جومبوا: 56.

### ح

- احسي السعادة: 103.
- الحنيكات: 82.
- الحوض الشرقي: 36، 53، 60، 68، 74، 75، 93، 105.
- الحوض الغربي: 125.
- الحوض: 36، 56، 57، 59، 60، 62، 63، 70، 71، 75، 100، 105، 184، 212، 186، 187.

د

- الداخلة: 99، 166، 167.
- الدار البيضاء: 221، 222، 251.
- درعة: 30، 32، 33، 38، 167، 178، 179، 182.
- دكار: 204.
- دكانا: 186.

ر

- الراس الأبيض: 170، 175.
- رأس بوجادور: 170.
- الرباط: 88.
- الرشيد: 233.

س

- السودان الغربي: 32، 56، 109، 127، 184، 189.
- سلا: 109.
- سانكال: 82.
- السنغال: 28، 49، 62، 186، 187، 190، 198، 203، 204، 226.
- الإسكندرية: 69، 70، 111.
- سيدي افني: 180.
- سان لوي: 163، 184، 185، 187، 194، 196، 197، 198، 204، 213، 232.
- سوسيداد: 172.
- سهوة الماء: 186، 191، 196، 223.
- السويس: 21.
- سجلماسة: 32.



- السمارة: 17، 37، 65، 69، 76، 77، 78، 79، 81، 85، 86، 87، 88، 93، 96، 97، 98، 100، 101، 102، 104، 107، 111، 116، 117، 118، 119، 120، 122، 123، 128، 131، 202، 206، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 220، 222، 224، 225، 227، 228، 230، 233، 234، 240، 245، 246، 250، 251.
- الساقية الحمراء: 13، 15، 16، 17، 18، 20، 30، 32، 33، 34، 37، 39، 62، 71، 73، 74، 75، 76، 78، 96، 98، 100، 102، 112، 121، 129، 167، 169، 170، 198، 207.
- السوس الأقصى: 17، 22، 27، 28، 30، 32، 33، 101، 116، 132، 180، 181، 182، 217، 252.

### ش

- الشام: 22، 23، 25، 29، 36.
- الشاوية: 217، 222، 251، 253.
- شكار: 195.
- شنقيط: 13، 30، 37، 54، 68، 77، 84، 93، 122، 128، 174، 183، 185، 187، 188، 206، 247.
- الشياظمة: 221.

### ص

- الصحراء الغربية: 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 21، 27، 31، 33، 34، 35، 37، 39، 49، 75، 76، 77، 90، 98، 118، 119، 120، 128، 132، 160، 163، 169، 171، 172، 174، 175، 177، 178، 179، 180، 184، 206، 207، 208، 222.
- الصويرة: 68، 124.

ط

- الطرفاية: 40، 78، 120، 169، 170، 213.
- طنجة: 27، 69، 70، 177.
- الطنطان: 76، 99، 102، 121.

ع

- العراق: 25.
- العرائش: 108.
- العزلات: 228.
- العيون: 17، 38، 50، 76، 96.

غ

- غامبيا: 62.
- غانا: 27، 31.
- غينيا: 62.

ف

- فاس: 57، 100، 105، 108، 109، 110، 111، 112، 114، 115، 116، 118، 121، 122، 126، 131، 141، 143، 145، 150، 156، 180، 216، 217، 220، 221، 245، 251، 253، 254.
- فرنسا: 163، 164، 168، 171، 173، 174، 175، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 184، 185، 188، 190، 197، 217، 224، 252، 254.
- فزان: 33.
- فقيق: 128.
- فم البطحاء: 199.

ق

- القبلة: 62.
- قصير الطرشان: 224، 248، 249.
- القيروان: 26، 29.

ك

- كدية إيجل: 168.
- الكعدة: 36، 38.
- كوش: 62.
- كيهيدي: 195، 199.
- كيوة: 193.

ل

- ليبيا: 63.

م

- مال: 196.
- مالي: 209.
- المجرية: 238.
- مدريد: 163، 179، 224.
- المدينة المنورة: 69، 116، 118.
- المذرذزة: 223.
- مراکش: 29، 35، 58، 68، 70، 75، 100، 111، 115، 116، 117، 127، 217، 220، 221، 223، 224، 233.
- مصر: 14، 22، 23، 25، 26، 29، 36، 63، 69، 70، 74، 111.

- المغرب الأقصى: 16، 29، 30، 35، 36، 37، 56، 63، 77، 93، 99، 109،  
111، 113، 116، 119، 120، 163، 176، 182، 217، 222، 245،  
251.

- مكة المكرمة: 13، 97، 108، 113.

- مكناس: 68، 70، 112.

- مليلة: 123.

- ممرات حمدون: 242، 244، 245.

- موريتانيا: 13، 16، 17، 21، 34، 38، 76، 77، 101، 102، 103، 123،

129، 168، 171، 173، 185، 187، 190، 201، 203، 204، 206،

208، 214، 217، 223، 228، 232، 233، 235، 238، 242، 252.

- موكادور: 252.

- المينان: 229، 231.

## ن

- النعمة: 56، 63.

- نهر السنغال: 21، 28.

- نواذيبو: 107.

- نواكشوط: 49، 191، 194، 228، 232.

- النيجر: 31، 32، 34.

- النيملان: 210، 211، 212، 213.

## ه

- هولاندا: 163، 164، 190.

## و

- واجان: 88.

- وادي الذهب: 13، 15، 17، 34، 35، 37، 40، 166، 171، 173، 174، 179.
- وادي المخازن: 162.
- وادي تازروالت: 181.
- وادي سلوان: 77.
- وادي شببكة: 121.
- وادي ماسة: 181.
- وادي نون: 32، 38، 46، 68، 72، 73، 79.
- وجدة: 126، 217، 221.
- ودان: 162، 239، 246، 247، 250.
- ولانة: 46، 56، 62، 250.

## ي

- اليمن: 24، 63.
- يغرف: 225.

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات

رقم الصفحة	العنوان
01	مقدمة:.....
12	الفصل الأول: جغرافية الصحراء الغربية وأوضاعها الاجتماعية.
13	المبحث الأول: جغرافية المنطقة.
13	أ- التسمية.....
15	ب- الموقع.....
16	ج- الأقاليم.....
17	د- التضاريس.....
19	هـ- المناخ.....
21	المبحث الثاني: الملامح الديموغرافية.
21	أ- أصل السكان.....
31	ب- أهم القبائل.....
41	المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان الصحراء.
41	1) الحياة الاجتماعية.....
46	2) الحياة السياسية والاقتصادية.....
52	الفصل الثاني: الشيخ ماء العينين المولد والنشأة وتأسيس السمارة.
53	المبحث الأول: مولده ونشأته.
53	1) مولده ونسبه.....
57	2) طلبه للعلم.....
68	المبحث الثاني: استقراره بالصحراء الغربية وتأسيس مدينة السمارة.
68	1) رحلة الشيخ ماء العينين إلى الحج.....
70	2) علاقة الشيخ ماء العينين بالقبائل الصحراوية.....
74	3) أهم الدروس المنتقاة من رحلته الأولى للحج.....

74	4) استقرار الشيخ ماء العينين في الصحراء.....
76	5) تأسيس الشيخ ماء العينين لمدينة السمارة.....
81	المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والتعليمية في مدينة السمارة.
81	1) الحياة الاجتماعية.....
83	2) الحياة التعليمية.....
92	الفصل الثالث: تلاميذه وإجازاته
93	المبحث الأول: تلاميذه ومريدوه من الأقاليم الصحراوية.
108	المبحث الثاني: تلاميذه ومريدوه من باقي مناطق إفريقيا والعالم.
119	المبحث الثالث: جهود تلاميذ الشيخ في الحركة العلمية بالمغرب الأقصى وإفريقيا الغربية.
130	الفصل الرابع: المؤلفات العلمية للشيخ ماء العينين
132	المبحث الأول: مؤلفاته في الفقه وأصوله.
143	المبحث الثاني: مؤلفاته في الأدب والتصوف.
155	المبحث الثالث: مؤلفاته في العلوم والفنون الأخرى.
161	الفصل الخامس: الاحتلال الإسباني والفرنسي للمنطقة وبداية الحركة الجهادية للشيخ ماء العينين
162	المبحث الأول: الأطماع الأجنبية في الصحراء الغربية.
162	1) الجذور الأولى للتواجد الأجنبي في المنطقة.....
164	2) الأطماع الأجنبية في الصحراء الغربية بعد مؤتمر برلين 1885م.....
172	3) المفاوضات الإسبانية الفرنسية حول الصحراء الغربية.....
184	المبحث الثاني: بداية التوسع الفرنسي والإسباني في تراب البيضان وردود أفعال الشيخ ماء العينين.
184	1) التوسع الفرنسي في بلاد شنقيط.....
207	الفصل السادس: المواجهات المباشرة بين الشيخ ماء العينين والاستعمارين الفرنسي والإسباني
208	المبحث الأول: مؤتمر السمارة الأول (1321هـ / 1904م).



208	أولاً: التحضيرات الأولى لعقد المؤتمر.....
211	ثانياً: فعاليات المؤتمر.....
212	ثالثاً: المواجهات العسكرية بعد مؤتمر السمارة الأول.....
222	المبحث الثاني: مؤتمر السمارة الثاني (1325هـ/1907م)
222	1- قدوم الوفود إلى السمارة والسفر إلى مراكش.....
225	2- عودة الشيخ ماء العينين إلى السمارة وبعث حركة المقاومة.....
227	3- أهم المعارك.....
240	المبحث الثالث: احتلال أدرار وباقي الأقاليم الصحراوية.
240	1- بداية التحضيرات الفرنسية للزحف على أدرار.....
241	2- مؤتمر أدرار.....
242	3- المواجهات الأولية وإخضاع أطار.....
259	خاتمة
262	ملاحق
280	السييلوغرافيا
293	فهرس الأعلام والقبائل
319	فهرس الأماكن والبلدان
330	فهرس المحتويات.

## الشيخ ماء العينين القلقمي ودوره العلمي والجهادي في الصحراء الغربية (1831-1910م).

الملخص.

يعد الشيخ ماء العينين القلقمي الشنقيطي أحد رجالات العلم والجهاد بالصحراء الغربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ميلاديين، حيث بدأت مسيرته العلمية بمسط رأسه في منطقة الحوض الموريتاني، لينتقل بعدها إلى الساقية الحمراء أين شيد قسبة السمارة التي كانت صرحاً علمياً، ومركز قيادة لمقاومته الجهادية التي قادها ضد الاستعمار الأوروبي، بدعم وتأييد من طلبته ومريديه من مختلف القبائل البيطانية، وبذلك يكون الشيخ ماء العينين قد نجح في توظيف مركزه العلمي لدعم موقفه الجهادي ضد الاستعمارين الإسباني والفرنسي لتراب البيطان.

الكلمات المفتاحية:

ماء العينين؛ الصحراء الغربية؛ السمارة؛ تراب البيطان؛ الاستعمار الفرنسي؛ الاستعمار الإسباني؛ المقاومة؛ الجهاد.

**Sheikh Ma al ainin Qalqami and his scientific and jihad role in the Western Sahara 1831–1910.**

**Abstract.**

Sheikh Ma al ainin Qalqami Shanqeeti is considered as one of the schoolers and of those of whom make jihad in the western Sahara during twenty –ninth centuries AD. He started his scientific life learning at home where he born in the Mauritanian basin zone. He moved than to Sakia El Hamra where he built Smara Kasbah which was scientific edifice and leading station for his resistance battles that he led against European colonization, and with the help of both of his students and attendances, from various Bidan tribes and thus, sheikh Ma al ainin has succeeded in employing his scientific center that gives an extra back for his jihadist point of view against Spanish and French colonization of Baidan locations.

**Key words:**

Ma al ainin; western Sahara; Smara; Baidan locations; French colonization; Spanish colonization; resistance; jihadist.

**Cheik Ma El Ainin Al Qalqami et son rôle scientifique et djihadiste au Sahara Occidental 1831-1910.**

**Résumé.**

Cheik Ma El Ainin Al Qalqami Al-Shanketi était considéré comme l'un des hommes du savoir et du djihad au Sahara Occidental au cours des XIX<sup>e</sup> et XX<sup>e</sup> siècles après J.C. La ou sa carrière scientifique a commencé par étendue sa tête dans le Haute Mauritanien, il s'est ensuite déplace vois la veine rouge, ou il a construit le roseau Smara, qui était un monument scientifique et un centre de commandement pour sa résistance djihadiste qu'il a menée contre le colonialisme européen avec le soutien et le soutien de ses étudiants et partions des différentes tribus Baydanie. Tinsi Cheik Ma El Ainin a réussi a employer son centre scientifique pour soutenir sa position djihadiste conte le colonialisme Espagnol et Français du sol d'Al- Bidhan.

**Les mots clés:**

Ma El Ainin; Sahara Occidental; Smara; poussière de Baydan; le colonisation Française; le colonisation Espagnol; le résistance; le djihad.